

المركز القومي للترجمة

لويس عوض

ميراث الترجمة

الراهب

دراما تاريخية فى ثلاثة فصول

تقديم

رمسيس عوض

الطبعة الثانية



المركز القومي للترجمة

الراهب
(مسرحة)

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: ١٠٦٤ / ٢

- الراهب (مسرحية)

- لويس عوض

- رمسيس عوض

- ٢٠٠٩

هذه ترجمة

The Monk

A Historical Drama in three Acts

by: Louis Awad

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦

فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com

Tel.: 27354524 - 27354526

Fax. 27354554

الراهب (مسرحية)

تأليف وترجمة: لويس عوض

تصديـــــر: رمسيس عوض

رقم الإيداع: ١١١٩٧ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي: 3 - 357 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز .

تصدير

قبيل وفاته فى سبتمبر عام ١٩٩٠ عهد إلى شقيقى المرحوم لويس عوض بحفظ بعض أوراقه الخاصة ، وتاه عنى المكان الذى احتفظت فيه بهذه الأوراق نحو ستة عشر عاماً أو ما يزيد . وفجأة عثرت عليها ؛ فوجدت فيها عملين يستحقان الاهتمام : أولهما ترجمة عن اللغة الفرنسية لمسرحية «رقصة الموت» للكاتب السويدى الشهير سترندبرج ، وثانيهما ترجمة إنجليزية أعدها بنفسه لمسرحية «الراهب» التى نشرها عام ١٩٦١ عقب خروجه من المعتقل .

كان لويس عوض فى تلك الفترة من حياته يتجرع كأس الخسف والاضطهاد على يد زبانية النظام الناصرى . وفى اليوم المحدد للإفراج عنه انتظرت خروجه من بوابة سجن أبى زعبل فوجدته حطام إنسان ؛ فحزنت عليه حزناً لا مزيد عليه . غير أن تجربة الاعتقال أوجت بتأليف مسرحية «الراهب» ، وبسبب إحساسه بالزلزل بالاضطهاد لم يجد غير عصر الشهداء المسيحيين ينكفى عليه ويستلهمه لعله يعزى عما فعله بنو جلته . ولعل القنوط منهم بلغ به كل مبلغ ، فقام بترجمة مسرحيته بنفسه إلى اللغة الإنجليزية ، ربما أملاً فى أن يجد من الأغراب من يستمع إلى أُنينه .

مادام أهله قد تخلوا عنه ، وأذاقوه صنوف المر والعذاب . ويبدو أن مشاغل الحياة وعمله كمستشار ثقافى لجريدة الأهرام قد أنسياء هذه الترجمة الإنجليزية .

وعندما اكتشفت فى أوراق لويس عوض هذه الترجمة الإنجليزية لمسرحية «الراهب» اقترحت على الأستاذ الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة نشر نصها العربى وترجمتها الإنجليزية فى مجلد واحد فرحّب بهما مشكوراً . وأعتقد أن نشر مثل هذا العمل الفريد من نوعه ينطوى على نفع كبير لعشاق كتابات لويس عوض بوجه عام ولدارسى الترجمة بوجه خاص . ولا غرو ؛ فلويس عوض المؤلف الخلاق هو الذى تصدى بنفسه لترجمة مسرحيته ، ومن ثم فهو أقدر على فهم روحها من أى مترجم آخر ، فضلاً عن أننا لن نجد مترجماً إلى اللغة الإنجليزية فى مثل شموخ لويس عوض وعظمته .

وأملئ أن تكون هذه الترجمة الإنجليزية درساً للأجيال القادمة التى تولى الترجمة من العربية إلى الإنجليزية اهتمامها .

والله ولى التوفيق

د. زمسيس عوض

القاهرة يونيه ٢٠٠٦

اشخاص المسرحية

والى الاسكندرية ونائب اميراطور روما ثم اميراطور الاسكندرية	لوثيوس دومتيوس دومتيانوس ، الشهير ياخيل
ولى عهد بيونطة	الامر قسطنطين
كبير امناء الولى	ماتيتون : نبيل مصرى
قائد حامية الاسكندرية	روستيكان
قائد حامية القصر	افريكان
قواد فى الجيش الرومانى	ديوجين بوميبان سفرس
اميرال الاسطول الرومانى	ماركوس سكستوس
ياور روستيكان	اييب : ضابط مصرى
ضابط رومانى بحامية القصر	ارمان
ضابط مصرى بحامية القصر	فيلامون
قائدان مصريان	دامون الارمنى فريسكا
رسول دقيانوس	شيبو الاصفر
راهب مصرى	ابانوفر
راهب مصرى	اريوس
زوجة اخيل	فاوستينا
راقصة مصرية	مارتا
كبيرة كاهنات ايزيس	هاتور
وصيفات فاوستينا	فيلامينه : فتاة مصرية تفيتة : فتاة مصرية مارينا : فتاة يونانية

ضباط . حرس . رسل . جنود . غوغاء

DRAMATIS PERSONAE

**Lucius Domitius Domitianus (Achilleus), Constantinus,
Manetho, Rusticanus, Africanus, Diogenes, Pompeianus,
Severus, Marcus Sextus, Apepi, Armanus, Philammon,
Damon, Frisca, Scipio, Panofer, Arius, Faustina, Martha,
Hathor, Philammena, Tafeeta, Marina.**

الفصل الاول

قاعة بقصر الوالى الرومانى دومتىوس دومتيان ، الشهير
بأخيل ، فى الاسكندرية . نحن فى عام ٢٩٦ ميلادية . القاعة
كورنثية الأعمدة فى أركانها الأربعة . زخارف القاعة بالسقف وعلى
الأبواب كلها مذهبة . الباب الأيمن يفضى الى قاعة الاحتفالات
والأيسر الى ديوان الوالى . باب مغلق فى الصدر يفضى الى قاعة
العرش . على جانبى كل عمود طاقتان . الطاقات منحسوة فى
الجدران وبكل منها تمثال نصفى من المرمر لاله من آلهة الرومان .
التمائيل بالترتيب هى جوبيتر وجونو ثم مارس وفينوس ثم أبولو
وديانا . العمودان الأماميان يجاور كلا منهما تمثال واحد من
الداخل . فيما خلا هذا فالقاعة عارية تماما . أما أرضها فبلاطها
مربعات جسيمة لامعة سوداء وبيضاء . أرمانوس ، أو باختصار ،
أرمان ، ضابط روماني فى الحرس عمره نحو الأربعين . واقف
بالباب الأيسر كامل السلاح حاملا حربة يدق بها الأرض .

تدخل فيلامينة ، وصيفة فاوستينا زوجة الوالى ، من الباب
الأيمن . فيلامينة فتاة مصرية فى نحو الثالثة والعشرين . تلتفت فى
حذر ، وحين يقع بصرها على أرمان تثبت فى مكانها مرتبكة .

أرمان (بتنغيم) : فيلامينة ، فيلامينة .. لا نحيفة ولا سمينية .

فيلامينة (تشير باصبعها) : هس . هل مولانا هنا ؟

ارمان (متلمظا) : لا أحد هنا . تعالى . تعالى هنا ، تعالى يا بطة .
(يفتح ذراعيه دون أن يتحرك من مكانه) : تعالى في أحضاني .

فيلامينة : اخلع سيفك وارم الحربة احضنك ؟

ارمان : اخلع سيفى وأرمى الحربة ؟

فيلامينة : نعم ، اخلع سيفك وارم الحربة .

ارمان (مقتربا منها وهو يقهقه) : عندى حربتان فايهما أرمى ؟

فيلامينة (فى خجل) : بعد ياسافل . (فى عتاب) اسمع يا ارمان :
إذا لم تكف عن الكلام الداعر فلن أتزوجك . (تهز كتفيها)
ولكنك رومانى والدعارة فى دمك .

ارمان : يعنى المصريين ما شاء الله ؟

فيلامينة : لولا انى احبك ، يا ارمان .. (تتهجد)

ارمان (مقهقها) : تعالى . لا تخافى من الحربة . تعالى . هاتى
(يحدث صوتاً بشفتيه معناه : قبله)

فيلامينة : قلت اخلع سيفك وارم الحربة تأخذ (تحدث صوتاً
بشفتيها معناه قبله)

ارمان (مقهقها) : الرومانى لا يخلع سلاحه ولو كان فى فراش فينوس

فيلامينة : والمصرية لا تعطى قبلتها الا اذا خلع مارس السلاح

ارمان : هل نسيت ان مارس اغتصب فينوس ؟

فيلامينة (ساخرة) : طبعاً . انتم الرومان اساتذة فى الاغتصاب
حتى آلهتكم ..

أرمان (محدرا) : فيلامينة !

فيلامينة : اعذرني نسيت لحظة انك روماني .. واننا في قصر نائب
الامبراطور . ومع ذلك كفى ثرثرة يا أرمان .. أخى فيلامون
ينتظرك .

أرمان : أين فيلامون ؟

فيلامينة : عند الباب الكبير مع .. الراهب (تنطق كلمة «الراهب»
بنشوة خاصة)

أرمان : كيف اترك مكاني ؟ الديدبان الآخر لن يأتي الا بعد ساعة .

فيلامينة : الدار أمان . لن تغيب اكثر من ربع ساعة . اما انا فعندي
شغل كثير مع السيدة فاوستينا زوجة الوالى . هيا اسرع .

أرمان : طيب . طيب . طيب (يحتضنها ويقبلها دون ان يتخلى عن
سلاحه . تسكره القبلة) فيلامينة .. يا حياتى .. متى
نتزوج ؟ (بضمها بعنف فيحس بجسم صلب بين طيات ثيابها
فيتركها غاضبا) ما هذا ؟ ماذا تخفين تحت ثيابك ؟

فيلامينة (في تحد) : أرمان .. انت تعرف جيدا ماذا اخفى تحت
ثيابى .

أرمان : سامحيني يا فيلامينة . حبك يشتد في قلبي كل يوم رغم
معتقداتك السخيفة . متى نتزوج يا حبيبتي ؟

فيلامينة (تبتعد عنه وتنظر الى السماء شبه حاملة) : عندما تعرف
ان الله واحد يا أرمان . عندما يأذن الله .. (تضحك) او يأذن
جوبيتر .

أرمان (في امتعاض) : وما شأن جوبيتر بالزواج ؟ آه من المسيحيين
.. المسيحيين . انهم يدخلون جوبيتر في كل شيء . اطلبى
بركة فينوس يا غبية .

فيلامينة : أسرع . أسرع . اذا أردت أن نتزوج فأسرع .

ارمان (متافنا) : الاله الواحد ! الاله الواحد ! (يخرج من الباب الأيمن)

(فيلامينة تلتفت يمنة ويسرة في حذر وتطل من الباب الأيسر ثم تتنفس الصعداء . تخرج من ثيابها صليبا خشبيا طوله نحو ٣٠ سنتيمترا وتضعه على تمثال جوييتر ثم تركع وتضم يديها وتصلى متطلعة الى الصليب)

فيلامينة : ابانا الذى فى السموات . فليتكس اسمك . فليات ملكوتك . فلتكن مشيئتك . كما فى السماء كذلك على الارض .

(ينخفض صوتها تدريجيا حتى يتلاشى ثم يرتفع من جديد) :

painyôt ait khain ni-viouwwee maraif-toovo enjai

paikran, maraissee enjai taik-mait-ooro (ينخفض صوتها)

Pait aihnâk maraif shopi, em-evreety khain et-vai,

naim heejain pi-kâhi (يتلاشى صوتها تدريجيا) Pain-ôyk

entai rassti meef nân em-vo-oo .. (بصوت مسموع)

Ameen (تظلى تتمم لحظات)

(تنهض وتخفى الصليب فى ثيابها وتخرج صورة صغيرة

للعدراء محدثة نفسها وهى تفتش فى ثيابها : « اين صورة

العدراء ؟ .. اين صورة العدراء ؟ » تتجه الى تمثال ديانا

وتضع الصورة فوق راسها . تركع وتصلى)

فيلامينة : يا مريم .. يا بتول .. من اجل ابنك الحبيب ، افتحى

عينى ارمان ليرى ان الله واحد ، وان المسيح (يتلاشى صوتها

وتتمم لحظات ثم يرتفع صوتها) علميه ان يتترك الاوثان .

باركى حبنا من اجل ابنك الحبيب .

(وقع اقدام فى الخارج . جلبة وتقاش . تنهض فيما يشبه

الدمر وتخفى الصورة فى ثيابها . يدخل من الباب الأيمن ارمان

وفيلامون . ارمان ، عليه امارات الغضب ، يعود الى مكانه
بالباب الايسر . فيلامون ضابط مصرى فى حرس القصر يناهز
الثلاثين وزيه روماني كزى ارمان . يقف بالباب الايمن) .

فيلامينة (تسرع الى فيلامون) : اتفقتم ؟

(فيلامون لا يجيب ويشير بيديه ورأسه وكتفيه بما معناه : لم
نصل لنتيجة)

فيلامينة : فيلامون ! ماذا حدث يا فيلامون ؟

فيلامون : قلت : كل واحد على دينه . قال : لا .

ارمان (بحفاف) : الراهب يشترط . ان اصبح مسيحيا (بعد شفثيه
فى تائف) مستحيل .

فيلامون : الراهب يقول : اوامر جديدة .

ارمان (مقتربا منهما) : قلت نتزوج فى معبد فينوس . قال تتزوج فى
الكنيسة . قلت : لا المعبد ولا الكنيسة . . نتزوج عند مسجل
العقود . قال : تتزوج فى الكنيسة . قلت : اذن نتزوج فى المعبد
وفى الكنيسة . قال : تتزوج فى الكنيسة ولا تتزوج فى غير
الكنيسة . (غاضبا) ماذا يظن هذا ال . . . (يكتسم غضبه فى
كبرياء) انا روماني . انا ابقى على دين جوبيتر . دين اجدادى
كل واحد على دينه والاولاد يختارون . هل رايت تسامحا
اكثر من هذا ؟ من منا المتعصب : الرومان ام المصريون ؟

فيلامينة (مخاطبة اخاها) : ماذا جرى يا فيلامون؟ ألم يتزوج يوحنا
الفيومى من ابنة عمه الوثنية نفى ست ؟

فيلامون : معروف . معروف . لكن الراهب ابانوفر يقول ان
المجمع المقدس افتى منذ اسبوع بان المسيحيين لا يتزوجون
الا من المسيحيين .

فيلامينة : يعنى ان مارية المسكينة لن تتزوج من ابيسب ياور
روستيكان .

فيلامون : لا . لا . التحريم فى زواج المصريين بالاجانب فقط . اما
بالنسبة للمصريين فالجمع المقدس منقسم على نفسه . غبطة
البطريك ومنه اقلية يرى منع المسيحيين من الزواج بالوثنيين
على الاطلاق ، ولكن الراهب ابانوفر اثار ضجة وخرج من
الاجتماع صايحا : هذا ضد الوطن . هذا ضد الوطن .

ارمان : هذه فتنة . تمرد على جلالة الامبراطور . من الحاكم هنا ؟
امبراطور روما ام المجمع المقدس وشراذم الرهبان وجماعاتكم
السرية التى تلتقى فى الخرائب وفى مدينة الموتى وتتكلم عن
معبود جديد مصلوب يصعد الى السماء ؟ لو علم الوالى بهذا
لامر باعتقال البطريك نفسه . الزواج المختلط سنة وضعها
الامبراطور كونستانس خادم جويتر الامين منذ ثلاثين سنة
يوم زار مصر ونزل بمدينة الرها وقتى بجمال هيلانة المصرية
واصطفاه من الدير واجلسها على عرش بيزنطة ، ورزق منها
مولانا الامير قسطنطين . ويوم اصطحبها الى معبد فينوس لم
نسمع رهبانكم يقولون : تزوجها فى الكنيسة (تسمع اقدام
فى الخارج)

فيلامون (محدرا) : اسكت . ارجع مكانك (ياخذ كل مكانه)

(يدخل من الباب الايمن روستيكان قائد حامية الاسكندرية
الرومانى مائة فى المائة ، وهو فى نحو الخمسين ، وخلقه ياوره
اييب ، وهو ضابط مصرى وسيم الطلعة شديد الدهاء فى
الثلاثين ، انخرط فى الجيش الرومانى واكتسب ثقة روستيكان
وبعد القائد يدخل مانيتون ، كبير امناء الوالى ، وهو شيخ
وقور بطيء الحركة تجاوز السبعين ولكنه واضح القوة
بالنسبة لسنه ، طويل اللحية ايضا ، مهيب المنظر . مانيتون

يحمل طروس البردى . عند دخول روستيكان يؤدى ارمان
وفيلامون التحية على طريقة الرومان) .

روستيكان (لارمان وفيلامون) : الليلة تقبضان عليه .

ارمان (في حيرة) : على من يا سيدى ؟

فيلامون (في حيرة وفي نفس الوقت) : على من ياسيدى القائد ؟

روستيكان : على الراهب يا غبى . على الراهب يا غبى .

فيلامون (جزعا) : ابانوفر ! (فيلامينة تنكمش بحركة عصبية ثم تكتم
المها . ارمان يبدو عليه فرح صياني)

روستيكان (ملاحظا يخاطب فيلامون باستهزاء) : عندك اعتراض ؟
هل انت منهم ؟

فيلامون (سرعة) : لا . لا يا سيدى . انا في خدمة مولانا الامبراطور .
وفي خدمة سيدى الوالى . تحت امرك يا سيدى .

ارمان (متهللا ولكن بصوت خفيض) : الحمد لله يا جوبيتر ! (يرنو
الى تمثال جوبيتر)

روستيكان : ماذا قلت ؟

ارمان : لا شيء يا سيدى القائد .

روستيكان (مخاطبا فيلامون) : هل انت مسيحي ؟

فيلامون (مترددا) : نعم يا سيدى .

اييب (متدخلا) : ولكنه مخلص لمولانا الامبراطور .

روستيكان (للائيتون بأدب متكلف مشيرا الى اوراقه) : ارجوك . .
بمجرد وصول السيد الوالى تعرض عليه امر اعتقال الراهب
لتوقيعه . الخيانة . الفتنة . الخيانة انتشرت في كل مكان .

في القصر نفسه . ربما في ديوان الوالى . ولكن شكرا للآلهة
(يضع يده على مقبض سيفه) الجيش لا يزال سليما . لو
كان الامر يبدى لفتكت بهذا الراهب . بالبطريك نفسه . بكل
المسيحيين . (ينسى نفسه) بكل المصريين !

اييب (مبستما في ادب) : سيدى !

مانيتون (هازئا) : لا اظن مولانا الامبراطور يرضى عن هذا الكلام .

روستيكان : عفوا يا اييب . لم أقصد الاوفياء من امثالك .. ومن
امثال (مخاطبا مانيتون بنظرة استفهام غامضة) .. مانيتون ؟

مانيتون : كلنا في خدمة الامبراطور يا روستيكان .

روستيكان : ماذا تعبد يا مانيتون ؟

مانيتون : الا تعرف ؟

روستيكان : ذكرنى .

مانيتون : اعبد توت ، مثل ياورك الامين اييب .

روستيكان : ولماذا انتشرت الفتنة في شيعة الاله توت ؟

اييب (مصححا في ادب) : الفتنة انتشرت في كل الشيع يا سيدى
القائد .

روستيكان : انت على حق يا اييب . توت . آمون . بتاح . المسيح .
فلاسفة افلوطين . الخونة منبثون في كل شيعة . في كل مكان .
ساطهر منهم البلاد . ولكن افظعهم جميعا المسيحيون . انهم
يزدادون بسرعة مرعبة . روما نفسها امتلات بهم . الرعاع في
كل مكان يلتفون حولهم . حتى حاشية الامبراطور اندسوا
فيها . ولكنى سأجتهم (يضع يده على مقبض سيفه) .
سأجتهم قبل ان يفتك السرطان بالامبراطورية . (يخرج من
الباب الايسر ووراءه ياوره . يسمع نفيير بعيد) .

مانيتون (يتنهد) : ايتها الالهة ! ارفعى هذا البلاء .

ارمان (مقطبا) : ماذا تقول يا سيدى ؟

مانيتون (متلججا) : أقصد الفتنة . أقصد بلاء الفتنة .

فيلامينة : الوالى !

فيلامون : الوالى آخيل !

ارمان : الوالى دومتيوس دومتيان . انه رومانى لحما ودما . انتم
اهل الاسكندرية تسمونه آخيل لتفروا به .

فيلامون : اخفض صوتك !

ارمان : دعنى أتكلم .

فيلامينة : سيدتى فاوستينا ، زوجة الوالى .

(تدخل فاوستينا زوجة الوالى الرومانية ، جميلة ، متفطرسة ،
عمرها نحو ثلاثين سنة ، وخلفها الوصيفتان تفيثة المصرية
ومارينا اليونانية ، وكلتاها نحو خمس وعشرين سنة ، ومعها
هاتور كبيرة كاهنات الربة ايزيس ، امرأة فى الخمسين ، اطلال
جمال رائع قديم ، تكلم فاوستينا فى وثوق بيديها وحركات
راسها ، وصوتها غير مسموع . فيلامينة وفيلامون وارمان
ومانيتون يحيون فاوستينا .)

فاوستينا : فيلامينة . هل ارسلت الدعوات لسيدات البلاط ؟

فيلامينة : نعم يا سيدتى . منذ الصباح .

فاوستينا : كيف حالك يا مانيتون ؟

مانيتون : بخير يا فاوستينا .

فاوستينا : وثوبى الجديد ؟

فيلامينة : وصل يا سيدتى . وأزلت منه الطيات المصرية عند الخصر

فاوستينا (مخاطبة هاتور) : من الآن فصاعدا : الأزياء من روما .
كفى مجاملة للمصريين يا هاتور .

هاتور (في برود) : اذا شئت يا فاوستينا .

فاوستينا : تفيتة . فيلامينة . مارينا . أعددن الستائر في قاعة
الاحتفالات . لا . انتظري يا فيلامينة (تخرج تفيتة ومارينا
من الباب الأيمن . مخاطبة هاتور) ومن الراقصة في حفلة
الليلة ؟

هاتور : مارتا .

فاوستينا (في انزعاج وغضب) : مارتا ! مارتا المسيحية ؟ الم تجدى
الا هذه البغى المسيحية ؟

هاتور : انها ليست مسيحية .

فاوستينا : ولماذا تسمى نفسها مارتا ؟

هاتور : اسمها الاصلى مريت آمون ، حبيبة آمون ، فسماها الناس
مارتا . ومع ذلك فهي أحسن راقصة في الاسكندرية
يا فاوستينا .

فاوستينا : لا ، لا ، يا هاتور . هي تعيش من السحر الاسود . الرعاع
يسجدون امامها . السادة يقبلون قدتها . حتى نبلاء الرومان
يتركون زوجاتهم ويشربون الخمر في حدائقها . هل سمعت
الاغاني البذيئة التى يغنيها الجنود ؟ « المسيح عنده فردوس
جميل . ادخلوا الفردوس مع مارتا » . انها امرأة خطيرة .

هاتور : لا داعى للتهويل يا فاوستينا . انت تعرفين ان المسيحيين
يكرهون الحب . مارتا تعلمت الرقص المقدس في معبد ايزيس .
انا بنفسى علمتها كل الشعائر منذ ان جاءت بها امها وهى في

التاسعة (تتهجد) كانت اذكى بنت عندي . ولما تعلمت كل شيء تركتنا . قالوا انها عشقت صاحب حسان مسيحي في حى كليوبترا . ولكنى عرفت بعد ذلك انها مجنونة بشيين (تضحك) الفن والرجال .

فاوستينا (غاضبة) : انا اعرف انها امرأة خطيرة . سيرتها على كل لسان . لماذا يتعلق بها رعاى المدينة ؟ مانيتون . اطلب من الوالى ان ينفيها من الاسكندرية . . لا . . لا . . من البلاد . مانيتون (حائرا) : مارتا امرأة معقدة ، ولكنها لم ترتكب جريمة . فاوستينا : قلت اطلب من الوالى ان ينفيها .

مانيتون : ماذا يقول الناس ؟

هاتور : مارتا بنت طيبة توزع اموالها على الفقراء .

فاوستينا : لهذا يجب وضع حد لها .

هاتور : وهل هذه جريمة ؟

فاوستينا : يقولون انها تشفى المرضى .

هاتور (تضحك) : لا بأس . هذا يوفر على الوالى ارسال الاطباء لاهياء الفقراء

مانيتون : السيدة فاوستينا على حق . هذا ينشر الخرافات بين البسطاء ، سمعتمهم يقولون ان مارتا قديسة تتجول فى الظلام . تدخل الاكواخ قبل الفجر وتترك كل يوم زاد النهار . . ولكن النفي شيء آخر .

ارمان (باحترار) : سيدتى هذه دعايات مسيحية .

فاوستينا : سنرى . سنرى . هذا امر يامانيتون . فيلامينة !

فيلامينة : سيدتى .

فاوستينا : هل ايسيدور بين المدعين ؟

فيلامينة : نعم يا سيدتى . والسيدة زوجته . ارسلت الدعوة الى معهد التربية .

فاوستينا : الفى الدعوة .

مانيتون : لا . لا . مدير جامعة الاسكندرية يحضر دائما حفلات البلاط .

فاوستينا : قلت الفى الدعوة . سنعلم هذا المشاغب كيف يزعج مولانا الامبراطور بالعرائض ويطالب بمجلس تشريعى فى الاسكندرية (ساخرة) ويقول انه منحة فرعون لشعبه من قديم الزمن اخذها الرومان .

فيلامينة (حائرة) : ولكن سيدى الوالى ..

فاوستينا : سيدى الوالى رجل طيب . يطعم الافاعى . هيا بنا يا فيلامينة نراجع قائمة الضيوف (تتنهد) كانت فيلامينة تقوم بكل هذه الاعمال النافهة . اما الآن فلا بد ان اراجع كل شئ بنفسى . لا بد . لا بد من الحذر (ينخفض صوتها) حتى السقاة . حتى الطهاة . اتبعينى يا فيلامينة (تخرج فاوستينا ومعها هاتور من الباب الايسر تتبعها فيلامينة . يسمع نكير بعيد)

فيلامون : الوالى آخيل .

ارمان (هازئا) : آخيل ! آخيل ! اسمه دومتيوس دومتيان ، ابن روما ، نائب دقيانوس امبراطور روما . ولكن حيلكم لن تنطلى عليه . انتم تقولون له : (يغير صوته مقلدا المنافقين) « انت فى باس آخيل ! انت فى قوة هرقل ! » ولولا خوفكم من سيفه لقلتم له : « انت فى جيروت جويتر رب الارباب ! » ولكن دومتيان النبيل لن تنطلى عليه حيلكم لانهرومانى لحما ودما .

فيلامون (بخبت) : تماما مثل مولانا دقيانوس .

أرمان (ينظر اليه في شك) : ماذا تقصد يا فيلامون ؟

فيلامون (بخبت) : هل أخطأت ؟

مانيتون (لأرمان) : لا تعرض يا ولدى . كلنا خدام الإمبراطور .

فيلامون : الفضب يعميه .

أرمان (يسترسل) : طبعاً . أنا ضابط صغير لا يصح له أن يتكلم في حضرة مانيتون كبير الامناء ، ولكن هى الحقيقة . ألم تخذعوا قبله الوالى اميليان المسكين وتعلنوه امبراطورا على الاسكندرية ؟ ألم تتوجوه فى قاعة العرش (يشير الى قاعة العرش) وتجعلوه يرفع سيفه على مولاه الإمبراطور جاليان ؟ اين اميليان المسكين الآن ؟ هيكل عظمى بلا رأس واسمه فى سجل الخونة . لا زلت اذكر اميليان النبيل ، ذا الجبهة العالية ، يسير فى ردهات القصر فينحنى له الجميع ، رجالكم والنساء (حالاً) كنت يومئذ صبياً فى الثامنة حين ادخلنى زوج امى فى حاشية الوالى . وفى يوم تتويجه على كرسى الإباطرة فى هذه القاعة المشئومة ، رأيت اميليان يلبس ارجوان الملك . كنت أحمل البخور وأسير خلف الكاهن وأرتل مع الصبيان هذه الاغنية الفظيعة : « المجد لك يا فرعون .. »

فيلامون (ينسى نفسه) : « يا ملك الأرضين . الاسكندرية تاجك .

مصر عرشك . الدنيا موطىء قدميك . »

أرمان (يشدد استهزاؤه) : فرعون ! فرعون ! أين فرعون الآن ؟ بعد سنة واحدة .. خرائب . خرائب . الاسكندرية كلها حرائق وخرائب .

مانيتون (متأسفاً) : خمسون الفا من الأبطال الأشداء سقطوا عند أسوار الاسكندرية . فى الميناء . فى الشوارع . على الأبواب .

ارمان : نعم . خمسون الفا من العصاة المصريين والخونة الرومان
والمرتزة من كل جنس وملة سقطوا في ساحة العار . رأيت
زوج أمي يسقط عند باب القصر ، ولولا ان أمي هربت بي الى
صفوف الفازي ثيودوت ، حامل سيف الامبراطور ، لمت
خائنا بين الخونة .

مانيتون (بهز رأسه في ذكرياته الحزينة) : ما زلت اذكر هذه المدينة
الحزينة ، وجنود ثيودوت المخمورة بالدم والتبيس تملأ
الشوارع .

فيلامون : تذيب الشيوخ والنساء .

مانيتون : تحمل الاطفال على الحراب وكأنها تحمل الاعلام .

فيلامون : تضرم النار في الكنائس والاديرة

مانيتون : حتى معابد الآلهة المصرية العريقة لم تسلم من الدمار .
ربطوا خيولهم في معبد بتاح الكبير . وبعد أن احرقوا معبد
ايزيس اجلسوا على هيكل الربة العظيمة بغيا قبرصية ، غارية
كما ولدتها امها وقدموا لها القرابين وهم يقهقهون ويسخرون
(يتصبب عرقا ويصبيه دوار) .

فيلامون : كيف ننسى ؟

مانيتون (يتنسى نفسه) : والوباء ! كيف ننسى ؟ (مستدركا) لا . لا .
دعونا من هذه الذكريات الحزينة . كلنا خدام الامبراطور .
كلنا اوفياء لروما . (نغير قريب . يعتدل كل في وقفته .
مانيتون يخاطب ارمان وفيلامون) كفى شجارا يا ولدي . كلنا
اخوة . (يدخل اييب من الباب الايسر ليأخذ مكان ارمان)

اييب : القائد روستيكان ارسلني لاجل محلك .. (هامسا) بسبب
المهمة . الراهب ابانوفر عنده موعد مع الوالى . ايساك ان
تقبض عليه في القصر . انتظر حتى يخرج .

مانيتون : لو قبضت عليه وهو ضيف الوالى تلوث شرف الامبراطورية
وتسبب لنا متاعب شديدة (بتهمكم) مع الفوغاء الذين يعبدونه.

أبيب (الارمان) : سارسل لك الامر بعد توقيعه (يسلم مانيتون بردية
ملفوفة . يخرج ارمان من الباب الايسر . فيلامسون يهم
بالانصراف فيشير له مانيتون بالبقاء)

(يدخل من الباب الايمن القائدان المصريان دامون الارمنى
وفريسكا فيما يشبه العجلة)

دامون : معذرة . تأخرنا . هل وصل الوالى ؟

مانيتون : مرحبا يا دامون . مرحبا يا فريسكا .

فريسكا : متى يصل ؟

مانيتون : نحن فى انتظاره .

(يدخل من الباب الايسر الوالى دومتيان الشهير بأخييل ،
وهو رومانى فى نحو الخمسين هادىء الطبع ، ومعه الامير
قسطنطين ابن الامبراطور كونستانس ، وهو فى نحو الثالثة
والعشرين ، معشوق القامة وسيم الطلعة ، وافريكان قائم
حامية القصر ، وهو من مواليد الاسكندرية ولكنه مجهول
الجنسية ، والأغلب انه مغربى . الكل يحيون بالتحية المصرية.
تقع عين مانيتون ودامون وفريسكا على الامير قسطنطين .
يندفع مانيتون اليه ويقبل يده)

مانيتون : مولاي الامير قسطنطين !

دامون (بحملى فيه) : ولى عهد بيزنطة !

قسطنطين (مشيرا بيده) : لا ! لا ! لا !

فريسكا : ابن هيلانة المصرية !

دامون : الامبراطورة الحزينة

فريسكا : كل القلوب تأسى لها .

**مانيتون : لولا ان دقيانوس الغادر ارغم اباك على طلاقها وزوجه من
ثيودورا لكانت هيلانة المصرية تجلس اليوم على عرش
الامبراطورية .**

**قسطنطين : ولكنها الآن .. والاسفاه (يتنهد) منزوية في قصرها
الصغير على ضفاف البسفور .**

مانيتون : تبكى بيتها المحطم .

**فريسكا : وتلعن ثيودورا التى اغتصبت مكانها في بيت ابيك ، مولانا
الامبراطور كونستانس .**

دامون : تتأسى بالمجد الفابر .

مانيتون : وتحطم بالمستقبل الفامض .

آخيل : كفى . كفى . هذا دامون الارمتى

**قسطنطين : سمعنا كثيرا بشجاعتك مع قبائل ابريم يا سيدى
القائد (ينحنى دامون) .**

آخيل : وهذا فريسكا

**قسطنطين : وانت يا سيدى ، ولاؤك لآخيل حديث الجميع (ينحنى
فريسكا)**

**آخيل : الامير قسطنطين جاء الى هنا خفية . اياكم ان يذاع النبا .
هو مقيم في جناح افريكان (يشير الى افريكان) باسم الضابط
نرسييس ، وسيعود بعد غد الى بلاط دقيانوس في نيكوميديا .**

مانيتون : كيف حال مولاتى الامبراطورة ؟

قسطنطين : تحييك ، وتحىي شعب مصر ، وترجو ان تلتفوا حول
آخيل وان تعملوا بوصاياها .

مانيتون : كل اوامرها نافذة يا سيدى الامير .

آخيل (يومئ لايب ان يقترب) : ما اخبار روستيكان يا ايب ؟

ايب (مقتربا) : كل يوم يزداد هياجا وضراوة ، يؤلب الرومان على
المصريين جهارا ويهين آلهتنا في كل مناسبة . اما المسيحيون
فهو يتشنج كلما جاء ذكرهم : انه يجهز لهم مذبحه في حى
النبي دانيال يوم الأحد القادم . اوامره لى ان اذهب على رأس
عشرين فارسا الى كنيستهم هناك ونقتحم الكنيسة بحجة
التفتيش على جندى مسيحي هارب من الجيش ، وان نحطم
الهيكل ونقتل من نستطيع ثم نضرم النار في المكان .

آخيل (مطرقا) : يوم الأحد يوم بعيد .

مانيتون (يسط لقائف البردى) : وهذا امر اعده روستيكان بالقبض
على الراهب ابا نوفر .. وهو يطلب توقيعه . وسيدتى
فاوستينا تطلب نفى الراقصة مارتا من البلاد .. آه ..
وروستيكان له طلب آخر غريب . يطلب اصدار امر .. لا ..
قانون .. يحتم على جميع المسيحيين ان يسموا انفسهم
ومواليدهم بالاسماء الجديدة القريبة التى يأخذونها عن كتابهم
المقدس : لوقا . متى . مرقس . يوحنا . زكريا . مريم .
مارتا .

آخيل : طلب غريب !

مانيتون : وان يدق كل مسيحي وشم الصليب على معصمه .

قسطنطين : وما غرضه من ذلك ؟

مانيتون : هو يقول بهذا يسهل تمييزهم وحصرهم . يقول ان اتباع
المسيح يسمون انفسهم اتوم . اباهور . ابا نوفر . فكيف

يمكن تمييزهم من اتباع آمون وتوت وبتاح ؟ وهو يطلب أيضا
حظر اتخاذ المصريين لاسماء يونانية او رومانية ويعتبر هذا
وقاحة منهم .

قسطنطين : هذا الرجل مجنون .

أخيل : حتى الامبراطور نفسه لا يستطيع ان يصدر هذا القانون .
ومع ذلك فهذه فكرة زوجتى فاوستينا .

مانيتون : وهو يقول اذا استمر الشغب على هذا النحو فسيطالب
باعتقال البطريك نفسه وكل اعضاء المجمع المقدس ، وبسحب
التصريح الامبراطورى الذى حصل عليه المسيحيون باقامة
شعائهم علنا ، ولو ادى الامر ان يسافر بشخصه الى
نيكوميديا لاقتناع دقيانوس .

أخيل (هازئا فى هدوء) : او الى روما لاقتناع السناتو . ربما جاء
دقيانوس بشخصه الى الاسكندرية ليقنع .

مانيتون (يسط الامر باعتقال ابانوفر) : امر اعتقال ابانوفر .

أخيل (ياخذه ويتمعنه) : لا بأس . الريشة (مانيتون يناوله الريشة
فيوقع الامر ويناوله لافريكان وهو يهمس فى اذنه ، فيناوله
افريكان لفيلامون . فيلامون يأخذ الامر على مضض)

افريكان (هامسا وهو يضحك) : اراك تتردد يا فيلامون . اذا اصدر
المسيح امرا والوالى امرا فايهما تطيع ؟

فيلامون (مرتبكا) : المسيح .. اقصد والى .. اقصد المسيح .

افريكان (ضاحكا وبمنظرة خاصة) : اذا داومت على هذا الارتباك
ارضيت والى .. وارضيت المسيح !

فيلاميون (مبتسما) : فهمت يا سيدى .

أخيل (بجد وهدوء) : والامر الآخر ، هل اعددتَه ؟

مانيتون (ببسط الورقة) : نعم ، يا أخيل .

(أخيل يأخذ الورقة ويتمناها ويهيم بتوقيعها)

مانيتون (محفراً) : هل تدبرت الامر جيداً ؟

أخيل (يبتسم ويهز رأسه طويلاً علامة الإيجاب ويوقع الامر ويسلمه لافريكان) : وبقية الاوامر ؟ (افريكان يسلم الورقة لأيب)

أيب (مندهشاً في فرح بعد أن يقرأ الورقة) : بحق توت العظيم !
اقبض على روستيكان ! (الكل يلتفت اليه ، بعضهم عاجباً)
هذه مفاجأة كبرى .

مانيتون : تما لك نفسك يا أيب ، هذه ليلة المفاجآت ، وامامك اعمال كثيرة . انا اعرف انك تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر ، ولكن تما لك نفسك (ببسط ورقة فيوقعها أخيل ويسلمها لافريكان)
وهذا امر بعزل روستيكان وتعيين افريكان في مكانه (يخرج من ثيابه ورقة أخرى كبيرة يوقعها أخيل . أخيل يسلم الورقة لافريكان ، فيسلمها افريكان لدامون الارمنى)

أخيل (لدامون) : دامون . راجع الاسماء ٣٨ اسماً . تقبض عليهم بعد حفلة الليلة .

دامون : فوراً يا سيدى .

أخيل : وانت يا فريسكا . لا تترك اللازاريتا حتى تسلم الحاميصة الشرقية تماماً .

فريسكا : مؤكد . مؤكد .

(يدخل ضابط من الباب الايمن ويعلن : «الراهب ابانوفر»
فيومئى الوالى برأسه . ينصرف الضابط ويدخل ابانوفر وهو راهب فى نحو الأربعين ذو لحية كثة سوداء يلبس جبة سوداء وعلى كتفيه عباءة سوداء وعلى رأسه قلنسوة سوداء .

ومع أبانوفر راهب شاب تجاوز العشرين بقليل في مثل زيه .
يُؤديان التحية على الطريقة المصرية) .

آخيل : ماذا قال غبطة البطريرك ؟

أبانوفر : قال انه لا يستطيع . قال هو يخدم بالروح ولا يخدم بالجسد . ولكنه سيصلى من أجلك يا آخيل . قال انه سيصلى وحده في المحراب ويصوم ثلاثة أيام (تقع عينه على الامير قسطنطين : ذاхла) مولاي الامير ! (يسرع اليه ويقبل يده).

آخيل (يحذر باصبعه على شفتيه ثم يشير الى الراهب الشاب) :
ومن صاحبك هذا ؟

أبانوفر (لا يزال متطلعا الى قسطنطين) : ربما استطاع مولاي الامير قسطنطين ان يقنع ابانا البطريرك (ملتفتا الى آخيل ثم الى الراهب الشاب) هذا . . آريوس ، هو هديتي اليك يا آخيل . الراهب آريوس . المع رهبان الجيل الجديد . انهم لا يحبونه كثيرا في المجمع المقدس . افكاره الدينية لا تعجبهم . ولكن هذا الراهب الشاب شعلة من نار حين يخطب في الجموع : يبكي فتسيل الدموع على الخدود ، ويصرخ فتلتهب الدماء في العروق . وهو يستطيع ان يجادل الاحبار وحده عشر ساعات دون أن يتعب . ان فيه روحا من الله (يهز كتفيه) ولكنهم لا يحبونه كثيرا .

قسطنطين (باهتمام) : وماذا يفضيهم في افكاره الدينية ؟

آريوس (رافعا اصبعه كأنه على المنبر) : أنا اقول أن الله لم يتعذب في المسيح . اقول ان المسيح الذي صلب وتعذب كان بشرا من لحم ودم ، والجسد مجرد ظل . . مجرد مظهر . اما جوهر المسيح فهو روح الله وكلمة منه ، والجوهر لا يصلب ولا يتعذب

انا اقول انهم بما صليوه الا في الظاهر فقط . اقول ان المسيح
الكلمة رفع الى السماء، اما المسيح البشر فصلب على الأرض،
ولكن العامة تتوهم ان روح الله تعذب في جسد المسيح ، وان
المسيح صعد الى السماء روحا وجسدا .

(آخيل وقسطنطين وفيلامون يبدو عليهم الاضطراب)

قسطنطين : لا عجب انهم يكرهون افكاره .

آخيل (مخاطبا ابانوفر) : ولماذا جئت به يا ابانوفر ؟

ابانوفر : لانه ساعدى الايمن في تنظيم المقاومة الشعبية .

آخيل : وما رأى المجمع المقدس ؟

ابانوفر (في حيرة) : عشرون مع البطريرك وعشرون معى . ابونا
البطريرك يقول : المسيحى لا يحمل السلاح . المقاومة السلبية
هى طريق الخلاص . اقول : الرومان يزرعون الشر في البلاد.
ولا بد من اقتلاع شرهم . فيجيب : المسيح قال : «سمعتم انه
قيل للقدماء عين بعين وسن بسن . اما انا فاقول لكم : لا
تقاوموا الشر بالشر . من لطمك على خدك الايمن ادر له
الايسر ايضا . » اقول : ابغضوا اعداء البلاد ، فيجيب : سيدى
وسيدك قال : « سمعتم انه قيل للقدماء : احب قريبك وابغض
عدوك . اما انا فاقول لكم : احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ،
احسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم » .
« طوبى للودعاء لانهم يرثون الأرض » . « طوبى لكم اذا عيروكم
وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من اجلى كاذبين » .
اقول : الرومان ينهبون اموالنا ، فيجيب : المسيح قال : « من
اخذ منك رداءك فاعطه قميصك ايضا » . اقول : الرومان
يسخرون المصريين ، فيجيب : المسيح قال : « من سخرك ميلا
فاذهب معه ميلين » : لقد تعبت معه . تعبت . تعبت .
(فيما هو يتلو هذه الآيات يجثو قسطنطين على ركبتيه ثم

يحدو آخيل وفيلامون حدوه ويتمتمون بالصلاة ، وبعد أن
يفرغ ينهضون)

قسطنطين (يدفن وجهه في راحتيه) : كفى ! كفى ! الدين شيء والدولة
شيء آخر .

ابا نوفر (مخاطبا آخيل في ذهول) : سيدي الوالي ! انت واحد منا !
آخيل (يومئ في حزن عميق) : نعم ، نعم ، (ينظر الى مانيتسون
ودامون وفريسكا واينيب بنظرة ساهمة ثم يتجه كالسائر في
نومه الى تماثيل الالهة الرومانية القريبة منه واحدا بعد واحد
ويمسحها في رفق وهو يقول) ما أسعدك يا مانيتون ! انت
تعبد ربك جهارا . وانت يا اييب ، انت تمشي رافع الراس
الى معبد ربك توت . اما انا فأعبد ربي في الخفاء .. كلمسا
خلوت الى نفسي .. في مخدعي .. حتى في مخدعي اخاف
شر زوجتي فاوستينا ، وفي ردهات القصر اطلقت بمنقوسرة
لكيلا يراني احد . انا الوالي .. نائب الامبراطور دقيانوس،
على ان اظهر التقديس لهذه الأوثان لأن الامبراطور يعبد
آلهة روما . ما أشقاني ! ما أشقاني !

قسطنطين : وانا يا آخيل ، هل اقل عنك شقاء ؟ امي التقية هيلانة
ارضعتني من المهد الايمان بالله الواحد وبمخلصنا المسيح .
ومع ذلك فاننا اخفى عقيدتي وامشي في موكب العبد دقيانوس
واحرق البخور لأوثان روما . ولو افتضح امرى لفتكوا بي
.. ولكن هيلانة المصرية علمتني ان البس مائة قناع وقناع
حتى يشاء الله ان تنفذ كلمته .

آريوس (بصوت رهيب) : المسيح قال ايضا : « ما جئت لالقي سلاما
على الأرض بل سيفا » .

ابانوفر : نعم ولكن البطيريك لا يفهم هذا . انه يعيش في برج عاجي .
يتكلم عن قوة الضعفاء .. عن القوة العزلاء . عن الانتصار

بالروح . من حسن الحظ ان اعوانى فى كل مكان سيجملون
السلاح . ولكنه وعد ان يساعدنا من طريق آخر . وعد بان
يأمر كل جندى مسيحي بان يلقى السلاح ويهرب من جيش
الامبراطور . . ان يعيش للمسيح .

قسطنطين : من أجل هذا نقاتل .

اييب : عفوك يا مولاي . من أجل مصر نقاتل (الكل ينظر اليه)

آخيل : غدا يعبد كل ربه فى سلام . افريكان . بعد ان نفرغ .
امض مع الراهب الى مكتبي وأدرس معه الخطة . اعطه كل
ما يطلب من سلاح لتوزيعه على رجاله . كلمة أخيرة
يا ابانوفر .

ابانوفر : نعم يا آخيل .

آخيل (فى حزم) : ارفع سلاحك على الاعداء وحدهم .

ابانوفر : هذا ما افعل .

آخيل : لا . لا . روحك الجامحة بحاجة الى زمام قوى . انت تشكو
من الاضطهاد . وتوقع بغيرك الاضطهاد . لقد أثبت لى
روستيكان أنك المسئول عن الشغب الذى حدث فى معبد
جويتر وجوتو .

ابانوفر : آلهة الرومان آلهة الاعداء .

آخيل : اعلم اذن انها آلهة الكثيرين من رجالى .

ابانوفر : (لا يجيب) ...

آخيل : لهذا وقعت امرا باعتقالك .

ابانوفر (ماخوذا) : ولكن ...

آخيل : دبر امرك مع أفريكان حتى الصباح ، ثم اختبئ ، وحذار
ان يراك جنودى بعد الشروق فى الاسكندرية . آخيل يحكم
بقانون واحد : حرية العقيدة للجميع . حرية العبادة للجميع ،
العدل والمساواة للجميع . اين كنا يا مانيتون ؟

مانيتون : هذا نداء للجنود الرومان المحرجين فى ولائهم بين آخيل
ودقيانوس ، ان يلقوا السلاح لنضمن لهم الامان .

آخيل (يوقع) : وابن ورقة تيماجين ؟

مانيتون (يسنط الورقة الاخيرة) : وهذا قرار بتعيين الامير تيماجين
حاكما على طيبة والصعيد . اما بقية الأوراق فهى فى الديوان .

آخيل (يوقع) : ارسل نسخة من هذا القرار الى كل من يعنيه الامر .

مانيتون : هل ابلغ دقيانوس ؟

آخيل : ابتداء من الغد لن يعنى دقيانوس فى نيكوميديا من نعين
من رعايانا فى مصر المستقلة . هل انت مستعد يا أفريكان ؟

أفريكان : الاستعداد كامل . القواد الثلاثة أجريبا وليسيساس
ومكسيموس موزعون على ابو قير وكليوبترا والمينساء .
والقائد المصرى فريسكا سيرابط فى مستشفى اللازاريتا ،
ودامون الارمنى سيحتل كرموز ، وفيلق الفرسان سينتشر
من باكوس الى الميناء تحت امره اغاييوس ، اما اوامر الاعتقال
فسينفذها ايبب وفيلامون بتوجيه دامون الارمنى . بقية
الخطه عند سيدى الوالى .. (ينحنى امام آخيل) اقصد
عند مولاي الامبراطور .

آخيل : مهلا ، مهلا ، يا أفريكان .

أفريكان : الرسائل كلها وردت ؟

آخيل : الخطة منسقة تماما . الكل يهبون في وقت واحد . جوليان في قرطاجنة وكاما في موريتانيا وخمسون من قبائل البربر والطوارق تتحرك من الصحراء وتناوش الرومان في جبال أوراس وأطلس .

أفريكان : رسول جوليان يقول انه سيحاصر قرطاجنة قبل أول الشهر .

آخيل : ويؤكد أنها ستسقط في يده .

قسطنطين : الأمل كبير .. الأمل كبير .

أفريكان : اذا كانت روما لا تعرف كيف تحكم نفسها ..

مانيتون : فلتترك كل شعب يحكم نفسه .

قسطنطين : الأسطول الصغير الموالى للامبراطورة هيلانة أبحر من بيزنطة سرا منذ اسبوع ، وسيصل غدا الى أبو قير . تسع قطع .

أفريكان : والملابس اللازمة أرسلناها مع الأعلام المصرية للبحارة .

قسطنطين : في سرية تامة بحسب الاتفاق ؟

آخيل : نعم ، نعم ، حتى لا تحدث أزمة بين هيلانة ودقيانوس . الاسكندرية مضمونة في أربع وعشرين ساعة .

مانيتون (يهز رأسه في حزن وانزعاج) : المشكلة ليست في الاسكندرية .

قسطنطين : أين المشكلة ؟

مانيتون : تكلم يا آخيل .

آخيل : لا تقلق يا مانيتون (يربت على كتفه)

مانيتون : المشكلة في اسوان والعريش .

آخيل (مخاطبا قسطنطين) : آخر أخبار تيماجين المصرى ان رؤساء قبائل ابريم عاهدوه على عدم التحرك من سواحل البحر الاحمر وغزو الاقصر كما فعلوا ايام ثورة اميليان .

افريكان : والنوبيون عاهدوه على عدم التحرك شمال اسوان .

آخيل : وقد ارسلنا له المال اللازم لارضاء قبائل ابريم ، وتبرع امراء الصعيد بالمال اللازم لتهدة النوبيين .

افريكان : والامير تيماجين جهز مع الامير تادرس قوة من خمسين ألف جندي .

مانيتون : ستين ألفا .

افريكان : موزعة بين اخميم وايدوس ، والقيادة في مدينة قفط ، وبمجرد وصول الأنباء سيتحرك الى الاقصر ويحاصر حاميتها ويحكم في طيبة والصعيد باسم الامبراطور آخيل .

مانيتون (في كآبة) : وهل تثق في ابن زنوبيا ، ملكة تدمر ؟

قسطنطين : وهب اللات ؟

مانيتون : نعم .

افريكان : من ناحية وهب اللات فانا اضمن انه لن يهاجم العريش

مانيتون (ساهما) : وهب اللات . النوبيون . قبائل ابريم (يتنهد) وإسفاه .. كل هذا يذكرني بثورة اميليان المسكين .

افريكان (مؤنبا) : مانيتون .

مانيتون : هل اصمت يا آخيل ؟

قسطنطين : بل تكلم .

ماتيتون : اذن استعدوا للمزاد . دقيانوس يرشو النوبيين وقبائل ابريم ليغيروا على اسوان والاقصر ، وأخيل يرشسوهم يلزموا الحياذ . ترى ماذا يحدث لو زادت رشوة دقيانوس على رشوة أخيل ؟ ينضمون لدقيانوس . هل نسيتم أن دقيانوس هو الذى أقطع التوبة لقبائل النوبيين المتجولة فى صحراء ليبيا ليحموها من قبائل ابريم ؟

أخيل : باختصار ماتيتون كان يرى الانتظار .

قسطنطين : الى متى ؟

ماتيتون : حتى ندرب جيشا من الفلاحين ، مائة الف على الاقل . لن يحرر مصر الا المصريون هل نسيتم اميليان ؟ كان اميليان قويا ، فى قوتك يا أخيل ، ولكنه ذكر الاسكندرية ونسى الصعيد . نعم ، طرد الرومان . ولكنه لم يحسب حساب احباش اكسوم المغيرين على الصعيد . فلما استولوا على اسوان وطيبة سحب اكثر جنوده من الاسكندرية لسحقهم وطردهم الى ما وراء الشلال ، فترك الاسكندرية شبه عزلاء ، وهكذا استردوها ثيودوت وأشاع فيها الدمار . والامير تيماجين ؟ ماذا فشل ؟ بعد سبع سنوات ، سبع سنوات فقط ، من مأساة اميليان ؟ تيماجين النبيل ، كان يطوف بنفسه القرى والضياع يدكى روح الوطنية فى الفلاحين والامراء ، فلما اجتمع له عشرون الف مقاتل ، ثار على الامبراطور كلوديوس واستنجد بزنوبيا ملكة تدمر فارسلت اليه قائدها زيدا على رأس سبعين الف مقاتل .

دامون (يتدخل فى حماس) : وسحق تيماجين وربدا جيش الوالى فروبوس على يابلليون فاتحر فروبوس تخلصا من اثمصار ، واوشكت مصر ان تستقل .

هانيتون : نعم ، اوشكت . فى كل مرة اوشكت . وهل استقلت ؟
لا . لا . ماذا اجدى يا ولدى ؟ ماذا اجدى ؟

فريسكا : لولا جشع زنوبيا لكنا اليوم احرارا . الم يتفق تيماجين
مع زنوبيا على ان تكون مصر للمصريين وتدمر للتدمريين ؟

هانيتون : نعم . ولكن ماذا حدث ؟ زنوبيا بسطت سلطانها على مصر
ورضيت بأن تحكمها باسم اوريليان امبراطور روما . باعتنا
زنوبيا لاوريليان ، فعين ولدها وهب اللات واليا علينا ،
فصفى جيشنا ، وطارد اميرنا ، وسك العملة فى الاسكندرية
ظهرها بصورته ووجهها بصورة الامبراطور . ثم ازداد جشع
وهب اللات فاعلن ان مصر ضيعة من ضياع تدمر ، وتحدى
الامبراطور ، وسك العملة بصورته وحده . فخرج اليه
اوريليان وخرب مصر وتدمر جميعا ، وأسر زنوبيا ، وساقها
الى روما فى موكب العار مكبلة بالاصفاد .

ايب : سيدى فريسكا على حق . لولا جشع زنوبيا لكنا اليوم
احرارا .

هانيتون : وانا اقول لولا سذاجة تيماجين لما كنا اليوم عبيدا . اجنبى
يطرد اجنبيا . بديهى . يحل محله . أنا لا اعتمد على
الحلفاء . أنا اعتمد على نفسى وعلى الآلهة .

آخيل : لا لا يا هانيتون . انت متشائم . لو علمت هذه الملكة العظيمة
ان الكفاح المشترك هو سبيل الحرية لما نزلت بكم كل هذه
الكوارث .

ايب : بستين الفا نحى الجنوب .

هانيتون : حماس الشباب . تقصد بالاحلاف نحى الجنوب . لم
تمض ثلاث سنوات على فشل تيماجين حتى أشعل
فيرموس نار الثورة فى الاسكندرية من جديد ، وطرده الرومان

واعلن استقلال مصر . ولكنه اخطأ نفس الخطأ .. نفس الخطأ : اعتمد على جنود تدمر وعلى قبائل ابريم . انا اقول وهب اللات ينسحب من العريش ويحرر بلاده . يحرر انطاكية وتدمر .

افريكان : ولكن .. ربما احتجنا اليه .

قسطنطين : مانيتون على حق . افتحوا في سوريا جبهة ثانية .

آخيل : اكتب يا مانيتون لوهب اللات ان يتحرك الى سوريا ويحاصر تدمر ، وان يحاول الاستيلاء على الترسانة ومصانع السلاح التي انشأها دقيانوس في انطاكية وحمص ودمشق . واكتب للامير تادرس ان ينقل قيادته الى تانيس ليدافع عن العريش . تيماجين وحده يدافع عن الصعيد . تادرس معبود المسيحيين ، وهم يتبعونه الى الموت دون تردد .

مانيتون (سأهما وهو يهز رأسه) : ولكن اتباع امون وبتاح وتوت لا يتبعونه الى الموت دون تردد .

اييب (بتأفف) : سيدى مانيتون لا يرى الا ظلاما .

مانيتون (غاضبا) : تادب يا فتى .

اييب : لو سمعنا كلامه لما فعلنا شيئا .

مانيتون (مستنجدا) : سيدى الوالى .

آخيل : هذه حكمة الشيوخ يا اييب .

مانيتون : البلاد ممزقة . خمسون شيعة وشيعة . كل شيعة لا تثق في الاخرى . الكل يكرهون الرومان ، ولكن كل شيعة تريد ان تحرر البلاد لحسابها . الكل يسأل : ما مصرنا اذا استولى هؤلاء على السلطة .

ابانوفر : ايد خفية تعمل فى الظلام: نؤلب المصرى على المصرى . اتباع
توت يمتقنون اسباع آمون . اتباع آمون يمتقنون اتباع بتاح
الجميع يمتقنون المسيحيين . والفلاسفة يمتقنون الجميع .
الالهة الاجنبية ملات المدينة . انهم اليهود . . يهود الاسكندرية
يعملون فى الظلام . يتجسسون لدقيانوس . .

مانيتون : اهدأ يا ابانوفر . لا تصب الزيت على النار .

آخيل : غدا يعيش الكل فى سلام . المصرى والاجنبى فى سلام .
حرية العقيدة للجميع . حرية العبادة للجميع . العدل
والمساواة للجميع .

مانيتون : من اجل هذا نحارب .

آخيل : مانيتون . بلغ اباكير كبير كهنة آمون وابانوب كبير كهنة توت
واورى كبير كهنة بتاح ان يسافروا الى الريف فوراً . . قبل
بزوغ الفجر ليؤلفوا القلوب حول الامير تادرس .

افريكان : لا يا آخيل . . هل نسيت حفلة التتويج ؟

آخيل : يمكن ان يرسلوا من ينوب عنهم .

افريكان : لا . لا . فليسافروا بعد التتويج . آخيل سيجلس على
عرش فرعون . لابد من حضورهم شخصياً ، والا استهانت
الرعية بسلطانك .

مانيتون : ماذا تقول يا افريكان !

ابانوفر (بصوت راعد) : عرش فرعون لا يجلس عليه الا مصرى .

آريوس : عرش فرعون لا يجلس عليه الا قسطنطين .

مانيتون : ستلبس تاج الامبراطور لا تاج فرعون يا آخيل .

آخيل : نعم ، نعم . سأحكم باسم مولاتى هيلانة المصرية .

ابانوفر : حتى يعود الينا قسطنطين .

اييب (بصوت رهيب) : ويجلس على عرش اجداده .

آريوس (بصوت رهيب) : هذا ما وعدنا به الشعب .

آخيل : نعم ، نعم .

ابانوفر (بحماس) : قسطنطين !

آريوس : سيف الله المسلول .

قسطنطين : لن اعود اليكم حتى اجلس على عرش ابي كونستانس النبيل ، واحكم بالحق والعدل من بريطانيا الى اسبانيا ، واسترد عرش روما الذي اغتصبه السفاح مكسيميان وهو تركة اجدادى ، ثم اطرد العبد دقيانوس من بيزنطة المجيدة عرش امى القديسة هيلانة المصرية . وبعد ان اوحده العالم تحت صولجان واحد انقل عاصمة ملكى الى الاسكندرية والبس تاج اجدادى الفراعنة .

اييب (كالحالم) : المجد لك يا فرعون .

فيلامون : يا ملك الارضين .

مائيتون (بتحمس) : الاسكندرية تاجك .

اييب : مصر عرشك .

فيلامون : الدنيا موطىء قدميك .

مائيتون (يفيق ويكلم نفسه بصوت خفيض) : هكذا كنا نغنى لاميليان (تسمع جلبة شديدة قرب الباب الايمن وصوت امرأة ناثرة تصرخ : «اترك ذراعى» «لايد ان اراه» مختلطة باصوات رجال : «مستحيل» «ارجعى .. ارجعى» تدخل الراقصة مارتا فى ثياب الرقص مندفة وهى تصرخ «سيدي الوالى !

سيدى الوالى ! « ومن ورائها حارسان يبدو عليهما الارتباك
وفى ملابسهما اضطراب نتيجة لغضب الراقصة . مارتا بنت
جميلة عنيقة تجاوزت العشرين تفيض بالحيوية والانوثة ،
متقلبة المزاج ، يمكن أن تكون كاسرة كالنمرة ، ووادعة كنسيم
الربيع . كل من فى القاعة يضطرب لدخولها الا آخيل
وقسطنطين ، فهما يتسلمان فى هدوء)

آخيل (يصرف الحارسين بإشارة من يده) : اتركوها فى سلام (يخرج
الحارسان من الباب الايمن) تعالى . اقتربى . من انت ؟ ماذا
تريدى ؟

مارتا : سيدى الوالى ؟

آخيل : انا الوالى .

مارتا (ترتبك لهدوئه) : انا .. انا مارتا .. الراقصة مارتا

آخيل (يتأملها) : آه .. سمعنا عنك كثيرا .. انت فى الاسكندرية
اشهر من الوالى .

مارتا (فى خجل) : عفوا يا سيدى .

آخيل : وماذا تريدى من الوالى .

مارتا (يعود اليها غضبها) : منعونى من الدخول . اتفقت معى هاتور
كاهنة «الربة» ايزيس (تعض شفها السفلى) اتفقت معى ان
ارقص الليلة فى حفلة البلاط . وجئت ومعى الرجال والآلات
والبنات المساعدات ، ولما اردنا دخول قاعة الاحتفالات تعرض
لنا الحراس وقالوا انى ممنوعة من دخول القصر بأمر
فاوستينا ، اقصد سيدتى فاوستينا زوجتك . ارادوا ان
يخرجونى بالقوة . ولكن (فى كبرياء) انا مارتا .. (تتقلص
يداه) .. مارتا .. كاسرة كالنمرة .. (تخطر فجأة امام

الوالى فى ايقاع هادىء جدا وقد عقدت بديها خلف شعرها فى اغراء) ناعمة كنسيم الربيع .

آخيل : واضح . واضح . ولكن اذا كانت سيدتك فاوستينا تفضل راقصة اخرى ، فيجب ان تفهمى .

مارتا (تعود الى غضبها) : تفضل؟ تفضل؟ (فى كبرياء) انا احسن راقصة فى الاسكندرية . المسألة ان مارتا .. مسيحية (تظهر صليبا ذهبيا صغيرا معلقا على صدرها فى تحد شيطاني) هذا هو .. هل رايت ؟ لا مكان فى البلاط لراقصة مسيحية . هذا راى فاوستينا . كل المصريين يعرفون ذلك . واذا كان هذا راى آخيل ايضا فليتكلم بصراحة . الاسكندرية تنتظر الجواب

آخيل (ينظر الى قسطنطين والآخرين حائرا) : ماذا اقول ؟ العادة جرت انى لا اتدخل فى مثل هذه المسائل . ولكن اهدئى يامارتا . سترقصين الليلة فى حفلة البلاط (تسمع من قاعة الاحتفالات انغام ايقاعية ناعمة وخافتة . مارتا تتحرك امام الجميع بعرض المسرح فى رقصة ايقاعية قصيرة تستغرق دقيقتين ، وتنتهى عند قدمى الوالى . الوالى يأخذ بيدها وينهضها ويربت على يدها) .

آخيل : قولى للاسكندرية ان فى البلاط مكانا لراقصة مسيحية .

(تقترب مارتا من الامير قسطنطين كأنما تجذبها اليه قوة سحرية ، وتتفرس فى وجهه بمزيج من الدلال والجد العميق . تضربه على خده بمنديل حريرى صغير) .

مارتا : ومن يكون هذا الفارس الجميل ؟

آخيل : كم انت محبة للاستطلاع يا مارتا ؟

مارتا (كمن يقرأ الغيب) : اقرا فى عينيه اسراراً عظيمة !

آخيل : تقرئين الغيب الى جانب الرقص !

مارتا : نعم ، تعلمت الكهانة فى معبد ايزيس . اقرأ فى عينيه انه
سيغير وجه الدنيا .

ابانوفر (ينتحنى جانبا ويتمتم بصوت مسموع وعيناه تنتقلان
كالمسحور من مارتا الى السقف) : رؤيا ! رؤيا !

افريكان : ماذا يقول ؟

ابانوفر : ارى حمامة سوداء .. قادمة من المشرق .. من معبد
الشمس .. ظمأنة .. رفرفت على وجه المياه .. سقطت فى
البركة المقدسة .. خرجت منها بيضاء .. ناصعة .. كتلوج
الجبال .. كالروح القدس .. جطت على مذبح الرب .. لا
تبرحه .. تغنى انا القربان ! انا القربان !

افريكان : انه يهذى .

آخيل : ماذا تقول يا ابانوفر ؟

ابانوفر : لا شىء يا سيدى . لا شىء .

مارتا (كالمسحورة كأنها تفهم ما يقول) : آمين . آمين .

افريكان : ما معنى هذا ؟ ما معنى هذا ؟ ويل لنا من الكهان .

آخيل (مبتسما) : هيا استعدى للحفلة يا مارتا . امض معها
يا فيلامون واجعلهم يكرمون وفادتهل وعد لنا سريعا (تنحنى
مارتا وتراجع بظهرها الى الباب الايمن . آخيل ينظر الى
قسطنطين ثم الى مارتا) كلمة أخرى يا مارتا .. قولى
للاسكندرية .. ان المسمى كانا بين هذه الالهة (يشير الى
تمائيل الالهة . مارتا تنحنى انحناء عميقة وتخرج يتبعها
فيلامون) .. تقدم يا اييب .

اييب (يتقدم نحوه) : سيدى .

آخيل : بعد الحفلة مباشرة تبدأ الاعتقالات .. تبدأ بروستيكان .

أييـب : بالتأكـيد يا سيدى

آخـيل (فى تـؤدة كانه يـملى) : و انت يا مانيتون . اكـتب رسـالة بشـان روستيـكان الى دقيـانوس امـبراطور رومـا . قل انـنا مـزلنا واعتـقلناه بعـد ان ثـبت لدينا انه ، وهـو قائـد جاميـة الاسـكندريـة، يهين آلهـة المـصريين ، ويعـمل على الاـخلال بالامـن بدلا من العـمل على اقـرارـه فى المـدينـة ، وانه يـتـمـن . كل يوم الامر الامـبراطورى القـديم الذى يـخـول لـابـناء كل مـلة اقـامة شعائـرهم الدينـية فى حـرية مـطلـقة ، وانه يـدبر المـذابـيح للمـسيحيين ويرسل جنـوده المـخمورة لتـدنيس كنائسهم وتـخريبها . ولا تـسـ ان تـذكر الاتـاوات التى كان يـفرضها على سـراة المـصريين ليعـفيهم من عـدوانه . اذكر كل شـئ بالتفـصيل ..

(جلبـة فى الخـارج . يـدخـل فيلامون من الباب الـايمن على عـجـز لاهـثا شـاحـب الوجـه)

فيـلامون : سيدى . سيدى . لـقد قـتل روستيـكان . وجـدوه صـريـحـا على درج القـصر وفى ظهـره خـنجر (الاضـطراب يسود الجـميع)

آخـيل (بعـد صـمت) : لا تـكتب شيئا يا مانيتون (يهـز رأسـه آسـفا) ستظن رومـا اننا قـتله سـفـاحون . فى الصـباح سنـتـدبر ما نقول . والى ان يأتى الصـباح ، فليـجر كل شـئ حـسب الخـطة المـرسومة .

(سـتـار)

الفصل الثانى

بهو فى قصر رأس التين ، بابان على اليمين وعلى اليسار ، فى الصدر باب يؤدى الى شرفة تطل على حديقة القصر . بجوار كل من الجدار الأيمن والأيسر مائدة من الرخام ضيقة مستطيلة ذات أرجل عالية مخروطة مقوسة ، وفوق كل مائدة مرآة جسيمة عليها دنان وكتوس فضية ضخمة . فى الصدر أريكتان من الرخام ، وفى الأركان فوتيلات من المرمر . أعمدة البهو أربعة ورومانية . فى نهاية الجدار الأيمن قبو عالى السقف يفضى الى دهليز ، ويقابله مثيله تماما فى الجانب الأيسر . القادة الرومان سويروس وديوجين وبومبيان وأركان حريهم ، وماركوس سكستوس أميرال الأسطول الرومانى فى الاسكندرية ، وروفينوس ، كبير كهنة جوبيتر فى هيئة اجتماع ، يناقشون تسليم القصر .

بومبيان : والموقف فى ابو صير ؟

سويروس : فى منتهى السوء .

بومبيان : وفى فقط ؟

سويروس : اسوأ .

بومبيان : اذا ضاعت فقط ...

ديوجين : اذا ؟ اعتبرها ضاعت ..

بومبيان : اذن لن يمكن تحويل تجارة الهند الى طريق ليبيا .

سويروس : نحن انتهينا في داخل البلاد يا بومبيان منذ ان استسلمت حامية طيبة . ولم يبق لنا الا هذا الجناح من قصر رأس التين .

ديوجين : انا اقول لابد من اخلاء هذا الجو . المصريون اسنولوا على حديقة القصر وعلى الاسطبلات والمطابخ .

سويروس : وعلى الديوان الكبير والديوان الخاص .

ديوجين : لم يبق لنا الا البرج وجناح الشاطئ ، واذا دافعنا عنهما نرغمنا باستمرار .

سويروس : بومبيان ! رأي ان نسلم القصر وننضم الى آخيل .

بومبيان : هذا جنون يا سويروس . الامبراطور دقيانوس أبصر بأسطوله من نيكوميديا . اذا ثبتنا يومين جاءت النجدة .

سويروس (باحتقار) : انت تعرف رأيي في امبراطورك المبجل
انا لن أحارب تحت راية هذا العبد اللعاسي .

بومبيان : لا تذكرني يا سويروس .

سويروس : آه .. تذكرت . هذا العبد الاجنبي اشتراه عمك انوليتوس من سوق النخاسة .

بومبيان : نعم ، نعم في ديوكله . بالقرب من قوله ، مسقط رأسه ، عمي اشترى اباه وامه بخمسين قطعة من الفضة . الأسرة كلها : الثلاثة بخمسين قطعة : الاب والام والابن . نعم ، نعم ، وهم الآن سيد الدنيا . اتعرف انهم ينادونه

الآن بصاحب الجلالة ؟ يوليوس نفسه واغسطس العظيم
لم ينتحل لنفسه هذه الألقاب الالهية . ولكن دقيانوس تعلم
هذه الابهة الجوفاء من ملوك المشرق منذ حروبه مع الفرس .
وقد عشنا لنرى الرومان يساسون كعبيد المشرق .

سويروس : الطاغية قضى على الجمهورية .

ديوجين : وحطم السناتو .

سويروس : وصادر حريات الرومان ، وشئت اشرافهم .

بومبيان (يتنهد في حزن) : أكثر من هذا . نقل عاصمة الامبراطورية
من روما الى آسيا الصغرى . ديوجين ! سويروس ! كفى ،
كفى . هذه افطع جريمة ارتكبتها هذا العبد الأجنبي ...
ومع ذلك فرايى لن يتغير . سأحارب تحت لوائه الى أن
يقضى جويتر بيننا وبينه .

سويروس : أنا روماني حر . ولن أحارب من أجل حكم الأغوات في
امبراطورية المشرق .

روفينوس : أنا روفينوس كاهن الاله الأكبر جويتر ، أكثركم
حقدا عليه ، ومع ذلك أقول لكم - من أجل روما - قاتلوا
تحت رايته . من زعزع دين جويتر ؟ دقيانوس . من زعزع
مكانة الالهة العظيمة ؟ دقيانوس . من نشر المسيحية اللعينة
في الامبراطورية فتركها تسعى كالحية الرقطاء تنفث سمومها
في كل مكان ؟ دقيانوس . ومع ذلك أقول : من أجل روما
قاتلوا تحت رايته .

سويروس : روفينوس . أنا سمعت أن زوجته بريسكا اعتنقت
المسيحية سرا .

روفينوس : نعم ، بريسكا مسيحية . وبنته فاليريا مسيحية
ايضا . هذه ليست مجرد اشاعات . هذه حقائق .

اتعرفون أن أربعة من خصيان قصره في نيكوميديا من
المسيحيين ؟!

بومبيان : من ؟ من ؟

روفينوس : لوسيان وجورجون ودوروتوس واندراوس . انها
الحية بريسكا ، واللعينة فاليريا ملاتا الوظائف العامة
بالمسيحيين .

بومبيان : وضباط القصر يا روفينوس ؟

سوريوس : نعم ، نعم ، نصفهم من المسيحيين .

روفينوس : وأسفاه ! زال مجد الآلهة ! دقيانوس ترك للمسيحيين
الحبل على القارب وأباح لهم عبادتهم علنا فطفوا وبغوا
وامتلأت بهم الاكواخ والقصور .

بومبيان : حتى الجيش أشاعوا الفتنة فيه . لعلكم سمعتم بحكاية
الضابط مارسيل ؟..

سوريوس (يضحك) : الذي قطعوا رأسه ؟

بومبيان : نعم . قالوا انه وقف خطيبا بين جنوده في موريتانيا ،
وخلع درعه وألقى بسلاحه على الأرض ، وأعلن في رجاله
أنه لن يطيع الا يسوع المسيح (ضحكات صفراء .. أصوات
تأفف) والفتى مكسيميليان في قرطاجنة ..

سوريوس : سمعنا عنه . سلمه أبوه للتجنيد ولكنه رفض أن يلبس
عدة الجنود لأن هذا يتعارض .. مع ضميره (يشير اشارة
تدل على أن رأسه قطع . ضحكات صفراء وأصوات تأفف)
مالك صامت يا ماركوس سكستوس ؟

بومبيان : ماركوس سكستوس يفكر في اسطوله العزيز .

ماركوس سكستوس : لا تضحكوا يا سادة .. هذه مأساة ..
لو انتشرت هذه الروح الخبيثة بين الجنود لما عرفنا كيف
نحمى الامبراطورية من البرابرة .

(يظهر ارمان وفيلامينا بالباب الايمن فلا يلتفت اليهما احد)

روفينوس : بدأت اشتبه في ان دقيانوس .. (ينخفض صوته
كمن يطلق سرا) مسيحي .

اصوات : مسيحي !

ديوجين : لا . لا . لا .. انتم لا تفهمون دقيانوس .. كل ما يشغله
هو السلطة . هو يقدم القرابين لجوبيتر وآلهة روما ارضاء
للرومان ، وهو يتفاضى عن مفاسد المسيحيين ارضاء لعبيد
الامبراطورية ، ولكنه في قرارته لا يقدس الا شيئا واحدا ..
هو دقيانوس . هو هادىء في الظاهر ، ولكنه في الواقع
اقسى من صاحبيه مكسيميان وجاليريوس . هو لا يأخذ
بالعنف ما يستطيع اخذه بالسياسة واللين . ولكنه اضرى
من النمر اذا وجد مقاومة فعالة . وكلما اراد ان يبطش
بأحد كلف مكسيميان او جاليريوس بتدبير المذابح والاغتيالات ،
ثم تدخل هو كالأب الرحيم ليصلح ما أفسده صاحباه .
هكذا انتهى هذا العبد الدلاسى الى عرش الامبراطورية .

روفينوس : انتهوا الى قرار . انتهوا الى قرار .

بومبيان : انا مع دقيانوس .

سويروس : انا روماني حر (يضع يده على مقبض سيفه) لن اعود
الى روما حتى يسقط الطاغية دقيانوس .

ديوجين : وأنا مع سويروس . ما دامت عاصمتي ليست روما ،
فلتكن الاسكندرية . انا مع أخيل .

روفينوس (مخاطبا الاميرال) : وسيدى الاميرال ؟

ماركوس سكستوس : انا مع أخيل ، لان أخيل مع روما .

بومبيان : كيف ؟ كيف ؟ الم تقل ...

ماركوس سكستوس : نعم ، نعم ، ولكن أخيل بحاجة الينا لنحميه
من الذئاب المصريين .. أخيل بحاجة الى رومان .. هل
فهمت ؟

بومبيان (مفكرا) : آه ...

روفينوس : انا مع بومبيان .

ارمان (يشهر سيفه) : وانا مع بومبيان !

بومبيان : ارمان ..

ديوجين : ارمان ..

ارمان (يتقدم مع فيلامينا) : نعم هربت من الازاريتا . هربتني
فيلامينة وهربت معي .

روفينوس : المصرية !

فيلامينة (في اشمزاز وكبرياء) : نعم المصرية . افضل من
الرومانيات . انا اتبع زوجي في كل مكان .

ارمان : الرعاع ملأوا رأس التين . اذا لم تسرعوا الى البرج دهمكم
الرعاع .

بومبيان : والجنود ؟ ماذا تفعل بهم ؟

سويروس : انهم رومان احرار . لا اكراه في الولاء . من اراد ان
ينضم لآخيل يبقى في البرج .

بومبيان : ومن اراد ان ينضم لدقيانوس ؟

ماركوس سكستوس : سأعطيهم قطعة من الاسطول ليجسروا عليها

بومبيان : اتفقنا ..

ارمان : هيا .. هيا ..

بومبيان : لا . انا باق . غيرت رأيي . ماركوس سكستوس رجل حكيم . اذا انفرد المصريون بأخيل أصبح تحت رحمتهم .

ارمان : ماذا افعل ياسيدي القائد .

بومبيان : ابصر فوراً مع روفينوس الى دقيانوس . انه بحاجة الى خبرتك .

(تخرج الجماعة على عجل من الباب الأسر ويدخل من الباب الأيمن في الوقت نفسه أربعة من الجنود الرومان)

الجندي الأول : انت مع أخيل ؟

الجندي الثاني : انا مع روفية المصرية .

الجندي الأول : وانت ؟

الجندي الثالث : انا مع نفسي .

الجندي الرابع : وانا مع الجميع .

الجندي الثاني : هذه مشكلة . كيف تحلها ؟

الجندي الرابع : بسيطة . احارب مع الغالب .

الجندي الثالث : وانا لا احارب أبداً (يشير اشارات معناها انه دائماً يروغ من القتال)

الجندي الأول (مقطبا) : انا مع دقيانوس .

الجندي الثاني : وماذا تنتظر ؟ هيا .. اجر .. قبل أن يأتي
المصريون .

الجندي الأول : وماذا ستفعلون ؟

الجندي الثاني : بمجرد وصولهم طبعاً نلقى السلاح (ينصرف
الجندي الأول من الباب الأيسر)

الجندي الثالث : روفية بنت حلوة (يشير الى الموائد الرخامية
ويصيح : « نبيذ ! نبيذ ! » فيندفع الجميع الى الدنان
والكنوس ويشربون بشراهة) .

الجندي الثاني : ... لوز ..

الجندي الثالث (الرابع) : عندك صاحبة ؟

الجندي الرابع : هـى ، هـى ، هـى ، خمس ! أربع مصريات وواحدة
يونانية !

الجندي الثالث : يا خبر !

الجندي الثاني : هذه مشكلة ! كيف تحلها ؟

الجندي الرابع (يخرج عملة من جيبه ويمثل بها) : بسيطة . ارمى
العملة .. ان وقعت امبراطور .. الليلة مع مارية ، وان
وقعت طرة ، الليلة مع صوفية ، وان وقعت على سنها ،
الليلة مع روزينة .

الجندي الثاني (مبهورا في ترقب) : والباقي .. والباقي ..

الجندي الرابع : يوم الفلس .. الليلة مع خرسينة .

الجندي الثالث : والخامسة ؟

الجندي الرابع : ياسمينه ؟

الجندي الثالث : اسمها ياسمينه ؟

الجندي الرابع : هذه زوجتي التي اهرب منها (يبدأ في الغناء)

ماريه غاليه عليه

صوفيه بنت طريه

روزينه حلوه سمينه

خرستينه خيرها علينا -

ياسمينه شاويش المينا

**(يدخل ابا نوفر وآريوس وأيب من الباب الأيمن شاهري
السيوف على رأس جماعة من الغوغاء المسلحين . يبدأ قتال
لا يستغرق دقيقتين ، ويلقى الجنود الرومان سلاحهم ، منهم من
يصيح : نحن معكم)**

ابا نوفر : اتركوهم . انهم سكارى .

أيب (مشيرا للجماعة) : اتبعوني .

ابا نوفر : تقدم بجذر يا أيب .

الجندي الثاني : كلهم في البرج . وفي جناح الشاطيء .

ابا نوفر : الى البرج .

الجندي الثاني : لا داعي للهجوم .

آبانوفر : ماذا تعنى ؟

الجندي الثاني : سوريوس وديوجين والاميرال مع آخيل .

أيب : ماركوس سكستوس ؟

الجندي الثاني : نعم ، نعم ، وحق جويتر .

ابانوفر : هذه معجزة .

الجندي الثاني : فاضهم على تسليم القصر .

ابانوفر : آريوس . لا ، لا . اييب . اذهب مع الجماعة . اطلب من ديوجين أن يقابلك خارج البرج (يخرج اييب من الباب الأسر وخلفه الجماعة والجنود الرومان . يبقى ابانوفر واريوس وحدهما) يدخل فيلامون من الباب الأيمن لاهثاً في فرع شديد يتبعة ثلاثة جنود مصريين شاهري السلاح)

فيلامون : ابانوفر ! الويل لك يا ابانوفر ..

ابانوفر : ماذا جرى ؟

فيلامون : ألم تعرف ؟

ابانوفر : ماذا جرى ؟ ماذا جرى ؟

فيلامون : البطريق .

ابانوفر : أين هو ؟

فيلامون : لما رأى جموع المصريين تحمل السلاح وتخرج عن طاعته ثار وصرخ بأعلى صوته في الهيكل : هذا من عمل ابانوفر .. عليك اللعنة يا ابانوفر .. لن تدخل الملكوت يا ابانوفر .

ابانوفر : يا الهى ! انا .. ملعون !

فيلامون : انه يقول لكل من صادفه : ابانوفر يحب الدماء . ابانوفر جسد بلا روح .. ابانوفر روح نجسة هائجة تهيم على وجه الأرض ولن تستقر الا في قاع الجحيم ..

آريوس : هل قال عنى شيئاً ؟

فيلامون : لا يا آريوس ، ولكن دورك آت لا ريب في ذلك .

أبانوفر (لا يزال كالمذهول) : يا الهى ! لعنة الكنيسة !

فيلامون : ويقول أنك تفسد دين المسيح .

أبانوفر (حالما) : ماذا فعلت ؟ الفداء .. الفداء : هذا دين المسيح

أنا أقول : كل مصرى يفدى مصر بدمه يدخل الملكوت .

فيلامون : ويعلم أنك مطرود من سلك الرهبان .

أبانوفر (ينظر الى ثيابه غاضبا) : مستحيل ! لن يجردنى أحد من

من مسوح الرهبان . (ينظر الى بنصر يده اليسرى حالما)

وهذا الخاتم الحبيب الذى لبسته يوم زفانى لمريم العذراء ..

لن اخلعه حتى أموت .

آريوس (ساخرا) : أبونا البطريك يهذى ! يريد أن يخرج الرومان

بالصوم والصلاة ! سمعته مرة يقول : الله وحده سيرسل

عليهم ضرباته ويطهر منهم البلاد ، وما علينا إلا أن نبتهل

وننتظر مشيئة الله . وحين سألته : لماذا لم يرسل الله

عليهم ضرباته حتى الآن ؟ نظر الى في ارتياب وقال : اتحاكم

الله يا آريوس ؟ لو لم تكن خطاة مثل الرومان باولدى

لخلصنا الله من شرهم منذ زمن بعيد .

أبانوفر : البطريك على حق . أنت تحاكم الله يا آريوس .

آريوس : ماذا دهاك يا أبانوفر ؟

وفر : لكنه ينسى أننا احدى هذه الضربات التى يرسلها الله على

الرومان . بالخطاة يضرب الخطاة ! الله السلام يأذن بالحرب ،

الله الفضيل يأذن بالرديلة ، الله الرحيم يترك الوحوش

الكاسرة . هذه عدالة الله : يعاقبنا فى الارض وفى السماء .

لا تفكر كثيرا ، والا وقعت فى الحيرة ، فى الحيرة الكبرى :

الكامل .. كيف يخلق الناقص ؟ الخير كيف يخلق الشر ؟

مرة .. سمعت راهبا في مثل سنك يقول : من يرى الشر ويستطيع ان يزيله ولا يزيله فهو شرير ، سمعته يهتدى قائلا : الله ... لماذا لا يزيل الشر ؟ اهو ناقص في الخير ؟ اهو ناقص في القوة ؟ قلت اهذا يافتى .. لحكمة خلق الله الشر .. لحكمة ترك ابليس يعيث في الوجود . اتعرف بماذا اجاب ؟ قال : اذن هو يلعب بنا .. اذن .. نحن دمي نتحرك على مسرحه وهو يحرك الخيوط . قلت : لا . لا . الله يتعذب معنا لانه قينا . قال : اذن هو الخالق والممثل والمشهد . قلت : لا تفكر كثيرا .. العقل ليس نورا يهدي .. العقل ضباب يتوه فيه الاحياء .. الايمان هو كل شيء الله في قلبك . اتبع قلبك . لا تسلك اين السبيل . اتبع قلبك يا آريوس . انا اقاتل بالايمان . والبطريك يسالم بالايمان . احدثنا سيذهب الى الجحيم . ربما كلانا . هيا الى القتال .. لا تضيعوا الوقت .. الى القتال . فيلامون خذ رجالك والحق بأيب ..

فيلامون : اباتوفر ..

اباتوفر (مستظما) : نعم ؟

فيلامون : للمرة العاشرة ، اريد وعدا بتأمين فيلامينة .

اباتوفر : انا لا اعد بشيء .. الا العدالة .

فيلامون : اكتب لآخيل .

اباتوفر : لا ، لا ، لا وساطة للخونة .

آريوس : هيا يا ابطال . الى النصر وراء اباتوفر ، بطل الابطال ، الشعب كله يهتف : اباتوفر والحرية ! (يخرج فيلامون من الباب الايسر تتبعه الجنود . وما ان يختفوا حتى تدخل مارتا من الباب الايمن في اندفاع حاملة علما ووراءها جمهرة

من أبناء الشعب المسلحين . مارتا تلبس جلبابا أسود
كالفلاحات)

أصوات : مارتا والحرية !

أبانوفر (محييا مارتا) : الشعب كله يهتف مارتا والحرية !

آريوس : مارتا وأبانوفر !

مارتا (صائحة) : مصر والحرية . لا تذكروا الا مصر والحرية
(الجماهرة تهتف : « مصر والحرية »)

أبانوفر : الى برج القصر ياأبطال .

مارتا : الى جناح الشاطئ ياأبطال .

أبانوفر : لا ، الى برج القصر يامارتا .

مارتا : هل استوليتم على جناح الشاطئ ؟

أبانوفر : لا ، لا ، هذا آخر ما نهاجم .

مارتا : وما الحكمة ؟

أبانوفر : في البرج ألف وخمسمائة روماني فيهم ثلاثة قواد .

مارتا : ديوجين وبوميان ؟

أبانوفر : نعم ، وسويروس

مارتا : هذا ادعى . تقطع عليهم الطريق فلا يهربون .

أبانوفر : لا ، لا .

مارتا : اذا استولينا على جناح الشاطئ حصرناهم في البرج .

أبانوفر : هناك مفاوضات لتسليم القصر .

مارتا : مفاوضات ؟ مفاوضات ؟ اقتلوهم عن بكرة أبيهم .

أبانوفر : لا يامارتا . ربما انضموا إلينا .

مارتا : لسنا بحاجة إليهم .

أبانوفر : سنحتاج للأسطول .

مارتا : الأميرال معهم ؟

أبانوفر : نعم . دقيانوس تحرك من اللاذقية منذ أسبوع . معه

مائة قطعة . دقيانوس بشخصه يقود الحملة .

(الجمع يهيج .. لفظ .. هتاف : « يسقط الطاغية .

يسقط السفاح » - مارتا تشير لهم بالهدوء) .

أبانوفر : ماركوس سكستوس معه عشرون قطعة . إذا انضموا

إلينا ربما منعنا الحصار .

مارتا : كما ترى .

أبانوفر (متطلعا الى وجهها في حنان بالغ) : مارتا ... عيناك :

مارتا (تحول عنه وجهها) : نعم يا أبانوفر

أبانوفر : ملتهبتان .. اكنت تبكين ؟

مارتا : (تمسح عينيها بكمها) لا ، لا .

أبانوفر : انت متعبة يامارتا .

مارتا : نعم ، نعم .

أبانوفر : يجب أن تستريحى .

مارتا (جانبا بصوت هادى غامض) : الراحة الكبرى (لابانوفر)

بعد النصر نستريح .

أبانوفر : فيلامون واينب عند البرج ، الحقى بهما ، فليقاتل الشعب

مع الجيش .

مارتا : وموضوع فيلامينة ؟

ابانوفر (نأضبا) : قلت لا شفاعة للخونة .

مارتا (تحاول تهدئته) : فيلامينة بنت مجنونة .

ابانوفر : ستحاكم محاكمة عادلة .

مارتا : تتركها للرعاغ ؟ سيمزقونها اذا قبضوا عليها .

ابانوفر : قلت ستحاكم بالعدل .

آريوس : لا تدافعى عن مجرمة ..

مارتا : انا اطلب لها الرحمة .

ابانوفر (فى قسوة) : العدل فوق الرحمة .

مارتا (تتنهد) : الحب اعمى يا ابانوفر .

ابانوفر : نعم ، نعم ، الحب اعمى يامارتا (يصيبه اعياء ويترنج
فيخف اليه آريوس ويسنده من ساعده)

مارتا (فى لهفة) : مالك ؟ ماذا اصابك ؟

آريوس : انت مريض يا ابانوفر .

ابانوفر : لا ، لا ، مجرد وعكة .

آريوس : وجهك شاحب .

مارتا (تضع يدها على جبينه) : جبينك ملتهب . انت محموم
(تمسح عرقه)

ابانوفر (يفيق ويعتدل) : نعم يا مارتا . الحب اعمى . الحب
اسم . الحب ابكم . الحب لا يعى ولا يفهم الا نفسه .
(يصرخ) هكذا حبى لمصر .. انه اعمى واصم وابكم . انه

لا يعى ولا يفهم الا نفسه . فيلامينة هربت الى معسكر
الاعداء . لا رحمة للخونة .

مارتا : فكر فى اخيها المسكين .

ابانوفر : كفى . كفى .. هيا .. هيا .

(تخرج مارتا وجماعتها من الباب الأيسر ، يتفرد ابانوفر
وآريوس . ابانوفر يعود اليه الاعياء ، يكاد يتهافت ، فيسند
آريوس) .

آريوس (بصوت عال) : طيب ! طيب ! الينا بطبيب .
(تحدث حركة عند الباب الأيمن . رأس يطل . ثم ينصرف لتلبية
النداء)

ابانوفر (فى حزن) : لا ، لا . ان مابى لا ينفع فيه طب ولا يرجى
منه شفاء .

آريوس : ماذا بك ؟ ماذا بك ؟

ابانوفر (يشير الى قلبه) : قلبى . قلبى

آريوس (بصوت عال) : طيب ! طيب !

ابانوفر (يضحك ضحكا عصبيا) : هذا جنون . جنون . جنون .

آريوس : ماذا ؟ .. تكلم .

ابانوفر : انت لا تفهم . لا تفهم . لن تفهم .

آريوس : ماذا ؟ .. تكلم

ابانوفر (يتجول فى الغرفة محملا فى الفراغ ومشيرا الى السقف
والاركان) : الشيطان ! الشيطان ! انظر ! انظر !

آريوس (مبهوتا) : ماذا دهالك يا أبانوفر ؟

أبانوفر : ألا تراه ؟ انه هنا .. يسبح في الهواء .. هنا .. يقبع في أركان الغرفة .. هنا .. يلبد في السقف . ألا ترى ؟ (يمسك عباءته) ههنا .. في هذه العباءة . في هذه العباءة (مشيرا الى الباب الأيسر) لا ، لا .. انه خرج ، خرج من الباب .

آريوس : أنت محموم . تماسك . سيأتى الطبيب بعد قليل .

أبانوفر (يضحك ضحكا أجوف) : تعال يا بنى ..

آريوس (يقترب منه) : أتريد شيئا ؟

أبانوفر : هل أعطوك في الدير سر الاعتراف ؟

آريوس (عاجبا) : نعم . لماذا تسأل ؟

أبانوفر : لا بأس . أتت أصفر منى بعشرين سنة . ولكن .. لا بأس .. لا بأس .. تعال اعترف على يدك .

آريوس (متراجعا) : أبانوفر !

أبانوفر (متلعثما) : تعال .. نصل من أجل مارتا .

آريوس : نعم .. انها تستحق الصلاة (يتمتم) .

أبانوفر : لقد عرفت رجالا كثيرين (يتمتم)

آريوس (ينظر الى السماء) : رحمة الله واسعة .

أبانوفر : أثبت مكانك (يجثو أمامه) .

آريوس (ذاهلا) : أبانوفر .

أبانوفر : صل من أجلى يا ولدى .

أريوس : أبانوفر !

أبانوفر : نعم ، نعم ، أبانوفر عاشق .. هل سمعت ؟ عاشق .
أنا عاشق .. أنا أحب مارتا ، منذ رايتها في قصر آخيل .
أتذكر كيف رقصت أمام آخيل ؟ (في ألم) أمام قسطنطين ؟
جسدها .. كان يتلوى كالحية . الإيقاع . الإيقاع .. أتذكر
الإيقاع ؟ عطرها .. أيقظ جسدي .. كالف وردة حمراء ،
لا ، لا . انها فتنة . كالف حية تلفت حول جسدي . تهصره .
تهصره . تهصره . لم أعد أصلى يا ولدي (ينظر الى الخاتم
في بئصره الأيسر) يا مريم .. عفوك عميم .. (يجهش
بالبكاء)

أريوس : يا الهى ! لعنة البطريق !

أبانوفر : لعنة الكنيسة !

أريوس : انهض ، انهض يا أبانوفر (يأخذ بيده وينهضه) هيل
بحث لمارتا بشيء ؟

أبانوفر (مطرقا) : لا . انها تجهل كل شيء .

أريوس : انت تخون عهدك مع الله .

أبانوفر : ساخلع مسوح الرهبان .

أريوس : لا . لا . لا تياس من رحمة الله . اترك كل شيء . اعتكف
في الدير ، وصل كثيرا .. كثيرا .

أبانوفر : اترك كل شيء ؟ محال . لابد من انجاز ما بدأنا .

أريوس (مطرقا) : نعم . نعم .

(يظهر فيلامون في الباب الأيسر)

فيلامون (في مظهر الحائر) : رسول من عند دقيانوس ، يطلب
أباتوفر .

أباتوفر : دقيانوس !

فيلامون : هكذا يقول .

أباتوفر : هل فحصت أوراقه ؟

فيلامون : أيبب فحصها .

أباتوفر (يمشى خطوات) : أسأله يا أريوس عما يريد .

فيلامون : هو يطلبك شخصيا يا أباتوفر .

أباتوفر : أعطوه الأمان . اسطول الرومان .. هل وصل ؟

فيلامون : لا شيء في الأفق .

أريوس : خديعة .. اطرده . اقبضوا عليه .

أباتوفر : لا ، لا . أعطوه الأمان . اذكروا حرمة الرسول .

أريوس : لا شك أنه يهدد ويتوعد .

أباتوفر : لماذا لم يذهب الى آخيل ؟

(يدخل ضابط روماني . فيلامون ينتظر بالبواب)

الضابط : من منكما أباتوفر ؟

أباتوفر : أنا هو .

الضابط (يخرج من ثيابه رسالة مختومة يفضها أباتوفر) : مولاي
الامبراطور ينتظر الجواب .

أباتوفر : أين مولاك الامبراطور .

الضابط : اسطول روما ينتظر خارج الميناء .

أريوس : كذب . كذب . لا شيء خارج الميناء .
الضابط (بأدب) : وراء الأفق ياسيدى الراهب .

أبانوفر (يقرأ على مهل بصوت مسموع) :

« من دقيانوس امبراطور روما العظيمة الى الجبر التقي
أبانوفر :

سلامنا اليك ، وسلام الرومان الى المصريين . أما بعد ،
فقد انتهى الينا ما يدور فى نفوسكم من قلق وتذمر ، واحاط علمنا
بما ترزح تحته مصر العزيزة ، جوهرة الامبراطورية ، من الظلم
والظغيان . فليعلم المصريون ان عدالة روما لا تنام ، وان لها
سيفا مسلولا لن يعود الى غمده حتى يعود لكل ذى حق حقه ،
ويعبد كل ربه فى سلام .

وقدتأكد لنا أن مشاكل ابنائنا المصريين المخلصين للامبراطورية
المجيدة لا يدركها الا مصرى من أهل البلاد . ولما كنت يا أبانوفر
موضع ثقة شعبنا العزيز فى مصر ، فقد عزلنا ابن روما الظالم
العاصى دوميتيوس دومتيانوس ، الشهير عندكم بأخيل ، ورأينا
أن نقيمك مكانه واليا على الاسكندرية ومصر كلها ، بشرط تسليم
هذا الخائن وحاشيته المتمردة وكل من اشترك فى اغتيال خادمنا
الامين روستيكان لعدالة روما ، وبشرط أن يستقر الأمن فى ربوع
مصر العزيزة . فان كنت بحاجة الى يد ضاربة فأسطولنا ينتظر
خارج الميناء رهن اشارتك » .

أريوس : اذن .. الاسطول وصل !

أبانوفر (يقهقه فى سخرية) : الماكر ! الماكر ! دقيانوس الماكر . انه
يساوم .

أريوس : قلق . تذمر . انه لا يعترف بالثورة . انه يتكلم كأنه
لا يزال سيد البلاد .

أبانوفر : انه يرشونى يا آريوس ! ها ! ها ! ها ! سلم .. نجعلك
واليا على مصر ! ها ! ها ! ها !

الضابط : مولاي الامبراطور لم يذكر التسليم .

أبانوفر : هذا افطع .. مولاك يطلب منى الخيانة .. أن انضم
اليه وافتك بالوطنيين .. حتى يستقر الأمن فى ربوع مصر
العزيرة ..

الضابط : اليس هذا ما يطلبه المصريون ؟ ان يحكمهم مصرى ابن
مصرى ؟

أبانوفر (فى تهكم مكرر) : ماذا نكتب يا آريوس ؟

آريوس (يدرك تهكمه) : نجيبه الى طلبه .

أبانوفر (كأنه يملئ) : اكتب يا آريوس : الى سيدى ومولاي وتاج
رأسى دقيانوس العظيم ، قيصر المشرق وامبراطور العالمين .
باسم مصر المذنبه اقبل طرف رداك .. لا ، لا ، لا يكفى .
اقبل موطىء قدميك (ينفجر ضاحكا) ها ! ها ! ها ! ها !

الضابط (غاضبا) : أنت تسخر من مولاي الامبراطور .

أبانوفر (مهذئا) : لا تغضب . لا تغضب .

الضابط : اذن أنت ترفض .

أبانوفر (يملئ بلهجة جادة) : اكتب يا آريوس ، قل : ان الأمن
مستتب فى ربوع مصر العزيز ، تحت راية مصر العزيرة ،
ان الاسكندرية كلها تهتف : عاش الامبراطور آخيل ، وأبانوفر
ايضا يهتف : عاش الامبراطور آخيل . اكتب ان آخيل
اختاره المصريون فلا يعزله الا المصريون . اكتب .. ان فى
مصر قضاء نزيها يحاكم قتلة روستيكان .. لا تنس أن تقول
ان أبانوفر راهب مسكين فقير الى الله لا يطمع فى شئ من

متاع الدنيا (بعض شفته) أقصد .. لا يطمع الا في ملكوت
الله (يجملق. في آريوس ويقول بمرارة) اليس كذلك يا آريوس ؟
(ينصرف آريوس الى الباب الايمن) آريوس ! ابدا الرسالة
من مصر المستقلة المحبة للسلام (يخرج آريوس)

(يدخل من الباب الايمن اثنان من النوتية وجندى مهرولين
صائحين : « أسطول روما ظهر في الأفق . أسطول روما »
فيشير لهم أبانوفر بالهدوء)

الضابط (محذرا) : فكر جيدا يا أبانوفر .

أبانوفر (مزجرا) : هل أنت مكلف أيضا بالتهديد ؟

الضابط : لا ، لا . ولكن مولاي الامبراطور يحب السلام .

أبانوفر (بلهجة تحد شيطاني) : قل لمولاي الامبراطور : اذا كان
يريد أخيل فليأت بنفسه ويأخذه (يخفف لهجته) لا ، لا .
قل لمولاي أن يعود الى بلاده ان كان يحب السلام .
يا رجال !

(يبادر اليه من البابين جمهرة من الجنود والمدنيين المتحمسين
الى البرج ، الى البرج .. وراء فيلامون (تخرج الجماعة
وهي تنشد « المجد لك يا فرعون .. » يدخل آريوس حاملا
صحيفة وريشة . يتمعن في الصحيفة ثم يتناول الريشة
ويوقع وهو يهمهم : « جميل .. جميل » ويسلمها للضابط
الرسول . (مخاطبا آريوس) أخرج معه يا آريوس . اياك أن
يتعرض له أحد (يخرج آريوس والضابط الروماني من الباب
الايمن . أبانوفر وحده يخاطب نفسه) مارتا على حق .
لا مفاوضات . اليوم نرفع راية مصر على برج القصر .

(تدخل مارتا من الباب الايسر . وتمشي الى أبانوفر في هدوء
غريب)

مارتا (في استحياء) : أبانوفر ، يا ابتاه !

أبانوفر (يحنان) : مارتا !

مارتا : باركني يا ابتاه .

أبانوفر : ماذا أرى على وجهك ؟

مارتا : أترى شيئاً ؟

أبانوفر (عاجباً) : نعم ، هالة من ضياء .

مارتا (متهللة) : هذه نعمة ربى .

أبانوفر (عاجباً) : أكنت تصلين ؟

مارتا : باركني يا ابتاه .

أبانوفر (يتسبح بوجهه عنها وهو يتعذب) : باركك الله . برحمته
يبارك الخطاة .

مارتا (في خجل) : نعم ، كنت أصلى ، لماذا تنفر منى ؟

أبانوفر (يتعرس في وجع) : ما هذا الهدوء الغريب ؟

مارتا (كالجملة) : أرى النور .

أبانوفر : أى نور ؟

مارتا : أنا سألتها ..

أبانوفر : سألت من ؟

مارتا : العذراء . طبعاً العذراء . ألا تفهم ؟ رأيتها وسألتها .

أبانوفر : انت . . رأيت . . العذراء ؟

مارتا : نعم . . رأيت العذراء .

أبانوفر (يتشكك في عقلها) : أين ؟ أين ؟

مارتا : منذ هنيهة . أغفيت ثم صحت . ألم تقل انى متعبة ؟
الم تقل يجب ان تستريحى ؟

أبانوفر : نعم ، هذا ما قلت ..

مارتا : وهذا ما فعلت .. خرجت الى حديقة القصر لاستريح ،
وهناك رقدت تحت شجرة التين وأغفيت ، وفى نومى رأيت
المذراء .. فى رداء أخضر .. لماذا تعلموننا الخطأ ؟

أبانوفر : فى رداء أخضر ؟

مارتا : نعم ، لم تكن فى رداء أزرق كما تقولون .. كانت فى رداء
أخضر ، وكان فى جبينها هلال ، عليه ثلاثة نجوم .

أبانوفر : هذه ليست المذراء .

مارتا : هل رأيت المذراء ؟

أبانوفر : لا ، لا ، فى الصورة فقط .

مارتا : أنا رأيت المذراء ، وكانت فى رداء أخضر ، تبتسم وتومى ،
لى . أشارت لى أن اقتربى .

أبانوفر : وهل قالت شيئا ؟

مارتا : فاقتربت وسألتها : هل فات الأوان ؟

أبانوفر : الأوان ؟ أى أوان ؟

مارتا : فأجابت : لا . سألتها : هل هناك أمل ؟ فأومأت وهى تبتسم
قائلة : نعم ، نعم .

أبانوفر : عم تتحدثين يا مارتا ؟

مارتا : المذراء قبلت توبتى .

أبانوفر (يلوح بيديه امام عينيها كأنها نائمة يريد إيقاظها) : سحر .
سحر . أنت مسحورة يا مارتا .

مارتا (بصوت مجلجل) : العذراء قبلت توبتى (تخفض صوتها)
رفعت اصبعها الى السماء وقالت : ولدى ، ان عفا عفوت ،
وان عفوت عفا . فركت امامها وقبلت طرف ثوبها .

أبانوفر (فى حيرة) : تباركت يا رب .

مارتا : فلما سألته ..

أبانوفر (فى حيرة) : أنت .. سألته ؟

مارتا : نعم . جاء وسألته .. الا تصدقنى ؟

أبانوفر : نعم ، لا ، لا ، اقصد نعم ، نعم .

مارتا : من الأعلى جاء ، وانحنى ، واخذ بيدى قائلا : انهضى !
انهضى ! من أجل المجادلة مغفورة لك خطاياك .

أبانوفر (مرتاعا كمن يرى الشيطان) : المسيح !

مارتا (بفخر) : انه الآن سيدى ومولاى .!

أبانوفر (فى ارتياح) : مارتا ! هذا تجديف !

مارتا (بتبسم فى هدوء) : اتعرف من كان يشبه ؟

أبانوفر : حذار يا مارتا ! حذار !

مارتا : كان يشبه الامير قسطنطين . عيناه زرقاوان من زرقاة
الغدير . ذوائبه الشقراء تدلت على كتفيه . لحيته الذهبية
كأمواج الذهب . خيل الى انى اخاطب الامير قسطنطين .
قلت مبهورة الانفاس : يا سيدى ! لماذا لم تتجل لى قبل
الآن ؟ منذ ان وقعت عليك عينى اضاء الحب فى قلبى كما

يضىء البرق حالك الظلمات . فلما فارقتنى شهدت اللبالي
وطال بكائي وفرحت عيناي . فهل تقبل هواي يا أميري
الجميل ؟ . فابتسم وريت على يدي وأجاب : ان قبلت خاتمي
هذا فانت عروسي . قلت : ومنذ الآن أنت سيدي ومولاي .
انظر (نريه يدها اليسرى) اليس جميلا هذا الخاتم ؟

أبانوفر (يحماق في يدها مسدوها فلا يرى الخاتم) : أي خانم !
أنا لا أرى شيئا ! ماذا سعادتك يا مارتا ؟

مارتا (كمن يفيق من حلم) : أبانوفر .. بعد أن نستولي على
القصر .. سادخل الدير .

أبانوفر : ماذا تقولين ؟

مارتا : سادخل الدير !

أبانوفر : أنت ؟

مارتا : نعم أنا !

أبانوفر (في ضحك هستيري) : ها ها ها ها ! مارتا في الدير !
ها ها ها ها . مارتا في الدير . أظنك ستذهبن الى الدير
بدلة الرقص ومعك آلات الطرب وفرقة الراقصات ! (مقطبا)
هذا تجديف . تجديف . تجديف . هل تفهمين ؟

مارتا : لا . لا . لا .

أبانوفر : انظنين الدير كمعبد ابزيس ؟ هل نسيت من أنت
يا مارتا ؟

مارتا (تحاول أن ترفع أمامه فيمنعها) : ساعدني يا ابتاه .

أبانوفر (وهو ينهضها بيده) : لا . لا . لا تعترقي . ذنوبك كثيرة
بعدد رمال البحر ، بعدد نجوم السماء ، لا تعترقي . لا فائدة

سأصلى من أجلك . هذا كل ما أملكه . ماذا دهاك
يامارتا ؟

مارتا (تتنهد) : الحب يا أبانوفر !

أبانوفر : الحب ؟ واى جديد فى هذا ؟ أنت ولدت بمعبد الحب
(يمسح شعرها برفق اختلط فيه الحنان والاشتهاء)
تغمضين عينيك على الحب .. تفتحين عينيك على الحب .
انفاسك من انفاس الحب .

مارتا : لا . لا . لا تذكرنى بأثامى . هذا شيء مختلف .

أبانوفر : سنرى .. سنرى .

مارتا : من أول نظرة أحببته يا أبانوفر !

أبانوفر (فى لهفة) : من ؟

مارتا : قسطنطين .

أبانوفر (يتراجع) : قسطنطين !

مارتا : لا تتركنى ..

أبانوفر : مارتا !

مارتا : من أول نظرة .. عرفت .. انى أسيرة هواه . كم بكيت
وبكيت ، حتى جف الدمع فى عيني ، وأشواك الندم نبتت فى
قلبي .. أدمتنى كالحراب . أصلى للمسيح فأرى وجه
قسطنطين !

أبانوفر : كفى ، كفى .

مارتا : ثم حل فى نفسى سلام غريب . خرجت من هذا الجحيم .
حبه طهرنى . لم أعد أفكر فى جسدى . أتعرف بماذا نحس
حين نخرج فى الليل بعد انقطاع المطر ؟ هكذا انتعش

جسدى .. وانتعشت معه روحى . عرفت أن دموعى غسلت
ذنوبى عرفت أن الله قبل توبتى : فنذرت نفسى للمسيح بعد
أن ينتهى القتال .

أبانوفر : كفى . كفى ياساقطة .
مارتا : أبانوفر !

أبانوفر : أنت لا تحبين المسيح . أنت تحبين قسطنطين .
مارتا : أنت غاضبة يا أبانوفر !

أبانوفر : هذيان . هذيان . قسطنطين فى بيزنطة . أمير الأمراء .
وأنت هنا ..

مارتا : قلها .. أميرة البقايا .. أعرف أنه عال كالسحاب ، بعيد
كالسراب ، طاهر كثلوج الجبال . لهذا هدأت نفسى . وهذا
سر سعادتى . لأنى أحب بالروح لا بالجسد . هل فهمت
الآن ؟

أبانوفر (برفق) : هيا .. هيا ، عودى الى الجماعة .. سأصلى
من أجلك يا مارتا (تخرج مارتا من الباب الأيسر تشييعها
حشرجة أبانوفر) كل شيء الا الدير ! كل شيء الا الدير !
(يدخل أيوب وفيلامون من الباب الأيسر ثم القواد : ديوجين
وبومبيان وسويروس وجماعة من الضباط الرومان ، وفى
وسطهم فاوستينا وفيلامينة . أحد الضباط يحمل علما
رومانيا)

أبانوفر : السيدة فاوستينا ! (ينحنى بتهكم) .

فاوستينا (فى غضب وكبرياء) : أيها المصرى القذر (لفظ)

ديوجين (يتدخل) : لاداعى ياسيدتى .

فاوستينا : صمتا أيها الخائن .

سويروس : أنت الآن على أرض مصرية يا فاوستينا
فاوستينا (بتأفف) : سويروس بطل جاليا .. يسلم القصر (تفعل)
وجهها بكفها) يا للعار ! (منتفضة) خونة ... كلكم خونة .
ديوجين : أنت مازلت زوجة أخيل يا فاوستينا .
أباتوفر : دعوها تفرج عن غضبها .

فاوستينا (باحتقار) صنعة المصريين ، أنا لم أعد زوجتسه .
ستجرون جميعا في موكب النصر في شوارع روما . ستقطع
رءوسكم . وأنت أيها الراهب القدر ، ستصلب على طريق
كابوا مع العبيد وقطاع الطرق وتنهش جثتك الطيور .
أباتوفر : لا بأس . لا بأس (مخاطبا الجماعة) : هل اتفقتم ؟

أييب : القائد ديوجين .

أباتوفر : مرحبا . مرحبا يا سيدى بومبيان .
(بومبيان ينظر اليه في استعلاء ولا يجيب)

فيلامون : والقائد سويروس .

أباتوفر : من لا يعرف البطل سويروس ؟ هل اتفقتم ؟
أييب : على كل شيء .

فيلامون : والعلم المصرى يرفرف الآن على البرج .

أباتوفر (يدور حولهم ويتفحصهم بنظرة مستفهمة) : اذن قبلتم .
ديوجين : نعم قبلنا .

أباتوفر : ستذهب فورا الى أخيل .

ديوجين : الي أخيل ؟ لا أنا باق هنا مع رجالى .

بومبيان : ورجالى يدافعون عن القصر .
 أبانوفر : لا ، لا ، الرومان يذهبون الى آخيل .. فورا .
 ديوجين : قلت أنا باق هنا مع رجالى .
 أبانوفر : وأنا قلت رجالى يدافعون عن القصر .
 بومبيان (متهكما) : رجالك .. لا تحدثنا عن رجالك . جماعات
 من الفوغاء يحملون المدى والبلاطى ..
 أبانوفر (هائجا) : ومع ذلك هزموكم .. لن أسمع .. لن أسمع
 (يحدث اضطراب بين الحاضرين)
 فيلامون : اهدا يا أبانوفر . سيدى ديوجين على حق ..
 أبانوفر : اسكت . أنت قاصر .
 أييب (يتدخل) : الحصار بدأ يا أبانوفر ، هذه ليست معركة
 للمدنيين .
 أبانوفر : عرفنا .. عرفنا . حصار أو لا حصار ، لابد من تغيير
 القيادة .
 بومبيان : نحن لسنا أسرى يا أبانوفر .. نحن جئنا ..
 أبانوفر : باختياركم .. نعم .. نعم (يفكر)
 سوبروس : نحن رومان . دقيانوس خرج على روما فخرجنا نحن
 على دقيانوس .
 أييب : سيدى ديوجين على حق .
 أبانوفر : سلم العلم يا سوبروس .
 بومبيان : لا .. علم الرومان يبقى فى يد الرومان .

سوريوس : لبنا أسرى ، نحن انصار .

أبانوفر : انصار . انصار . نحن هنا رعايا .. كلنا رعايا لآخيل
امبراطور الاسكندرية .

ديوجين : فليكن .. فليكن .. لن نضيع الوقت في الجدل .

سوريوس : آخيل سيد البلاد . سلمه العلم بنفسى .

أبانوفر . وأين الباكون ؟

ديوجين : ابعدوا الى دقيانوس ..

أبانوفر : أبعدوا الى دقيانوس ؟ ماذا اسمع !

فيلامون : نعم ، ابعدوا الى دقيانوس

أبانوفر : كم عددهم ؟

فيلامون : ارمان وروفينوس وعشرة ضباط وثلاثمائة جندي .

الباكون في البرج .

أبانوفر (غاضبا) : لماذا لم تقبضوا عليهم ؟

بومبيان (ساخرا) : تقبض عليهم ؟ انهم رومان . أحرار . اختلفنا

في الرأي .. هم يخدمون روما تحت راية دقيانوس ، ونحن

نخدم روما تحت راية آخيل .

أبانوفر (نائرا يتجول في الغرفة) : الأفاعى .. الأفاعى .. مارنا

كانت على حق .. رومان يخدمون روما .. تحت راية آخيل

(مهلدا بقبضته) أيبب ! فيلامون ! اقبضوا عليهم . ليس

هنا رومان . آخيل نفسه يخدم مصر تحت راية مصر ..

بومبيان : خديعة ! خديعة ! نحن أسرى !

(الضباط الرومان يبادرون الى سيوفهم فيشهرونها)

أييب (هادئا) كل سيف في غمده . انت جاد الطبع يا أبانوفر .

أبانوفر (يقدر الموقف رائحا غاديا) : عفوا . عفوا . أييب

أييب (يتقدم) : نعم يا أبانوفر .

أبانوفر : اتستطيع ان تدافع عن البرج ؟

أييب : بالمدينين ؟

أبانوفر : حتى ياتي آخيل ..

أييب : متى ؟

أبانوفر : هو في طريقه إلينا .

أييب : نعم . أستطيع .

أبانوفر : وانت يا فيلامون . أنت تدافع عن الشاطئ . عن واجهة

القصر (لأييب وفيلامون) اجلوا الرومان عن القصر .

المصريون يدافعون عن الساحل والرومان ينسحبون الى

الداخل . لا يبقى في رأس التين الا المصريون . هذه أوامر

تنفذ بمنتهى الدقة . من يقاوم اذبحوه . مزقوه .

سويروس : اسمع يا أبانوفر : أنت جاهل . أنت لا تفهم شيئا في

فنون الحرب . ألا تعرف أن الروماني الواحد بخمسة

مصريين ؟ تحمل المسؤولية . ستسقط الاسكندرية بعد

أسبوع واحد من الحصار . ولولا أننا نقاوم الطاغية دقيانوس

لكان لنا معك شأن آخر . أنت تنسى أنك رجل مطارد ..

ليس هناك أمر بالقبض عليك ؟ نحن لا نتعرض لك في هذا

الوقت الحرج لأنك رجل .. مفيد .. حرصا على شعور

الغوغاء .

أبانوفر (في ملاطفة) : لا تفضب ياسيدي القائد سويروس . . .
افهم الموقف .. انها الضرورة .

سويروس : اية ضرورة ؟

أبانوفر : فلنتكلم بصراحة . أنتم رومان ونحن مصريون، أنتم حلفاء،
ولكنكم .. رومان .. ربما اختلفتم الآن مع دقيانوس ،
ولكن غدا .. ربما اصطلحتم مع دقيانوس . كيف أترك
القصر في أيديكم ؟ لا القصر ولا أسوار المدينة . القصر
والأسوار في يد المصريين .

سويروس : باختصار .. هل نحن أسرى ؟

أبانوفر : لا ، لا .. (معاتبا) أنت شكاك يا سويروس (يمد له
يده) كلمة شرف .. من شرف مصر . خذ الحامية الرومانية
وانسحب بها الى قصر آخيل .. وهو يتصرف بك كما
يشاء . ربما طلب اليك ان تدافع عن القصر الملكي .. أو
عن قلب المدينة . كل شيء الا الشاطئ والأسوار . هل
رايت ؟ أنت حر طليق . أنت ورجالك . لا تتحدث اذن عن
غدر المصريين . قلت كلمة شرف . أترفض يدي ؟

سويروس (غاضبا) : نعم .. أرفض يدك .

ديوجين : بومبيان كان على حق .

سويروس : لا ، لا . آخيل سيضع كل شيء في نصابه (يهم-
الرومان بالخروج)

أبانوفر : ديوجين . قبل ان تذهب . اتعرف دقيانوس ؟

ديوجين : نعم .

أبانوفر : شخصيا ؟

ديوجين : شخصيا . لماذا تسأل ؟

أبانوفر : أتعرف انه ماكر ؟

ديوجين : ربما ..

(فيلامون يقترب منه ويهمس في أذنه)

أبانوفر : قل لسيدك آخيل (يفكر) لا داعي .. لا داعي .. هيا
انطلق قبل أن ينصب حولك حائله (يهمون بالانصراف)
سيدتي فاوستينا تنتظر ..

(ينصرف الرومان وإيب من الباب الأيسر . يهم فيلامون
وفيلامينة بالانصراف فيستوقفهما أبانوفر . يسمع نغير)

أبانوفر : لحظة يا فيلامون ..

فيلامون : تحت أمرك ..

أبانوفر : في طريقك .. سيدتي فاوستينا .. ضمها مع أسرى
الحرب .

فاوستينا (تبصق احتقارا دون أن يخرج لعاب)

أبانوفر (بهدوء) : هي رومانية .. وسنمنحها امتيازات الأعداء .

فاوستينا (تشير بيدها احتقارا)

أبانوفر (بتهكم) : وإذا استمرت في احتقارنا فسنعاملها معاملة
المصريين .. الخونة .. لا تنس أنها زوجة آخيل ، وآخيل
الآن .. مصرى .

(يهم فيلامون بالخروج مع فاوستينا من الباب الأيسر .
فيلامينة تتبعهما)

أباتوفر (يستوقفها) : الى أين يا فيلامينة ؟

فيلامون (قبل أن يختفى) : اتركها في حراستي .

أباتوفر : هيا انصرف (يختفى فيلامون) .

فيلامينة : انا اتبع أخى .

أباتوفر (جادا) : هذه حكمة .

فيلامينة : اتركنى الحق بأخى .

أباتوفر (متهمكا) : من علمك هذه الحكمة ؟

فيلامينة : اتركنى اذهب .

أباتوفر : هل علمك أرمان درسا فى حب الوطن ؟

فيلامينة (فى تحد) : أنت مخطيء يا أباتوفر ، انا أردت اللحاق

بأرمان . ولكن الجنود ثاروا وقالوا : لا نساء فى السفينة .

أباتوفر : آه .. هذا هو السبب (يتنهد فى تهكم) الحب .. دائما

هو السبب .

(يدخل آخيل ومعه مائيتون وحرس . أباتوفر ينحنى

محيا وفيلامينة تحيى)

آخيل . (مبتسما) اسمع كلاما عن الحب .

أباتوفر (متهمكا) : مولاى الامبراطور . فيلامينة بنت شجاعة

فيلامينة تعترف .. ستعترف أمام المحكمة (بلهجة قاسية)

بالخيانة !

فيلامينة (فى كبرياء) : نعم سأعترف . افعلوا ما تشاءون . أنت

تسمى هذا خيانة . متى كان الحب جريمة . انا لا افهم

في السياسة . قتال . قتال . قتال . لا أرى حولي الا القتال . مصر . روما . مصر . روما .. كل هذا لا يعنيني .. بعد أن هربنا ، اختبأنا في الكنيسة ، ارمان قبل الصليب ، تناول الأسرار المقدسة : تزوجنا أمام الكاهن ، كنا نحلم بالأطفال . بأسرة سعيدة . بيتي هو عشي .. مملكتي ، وطني .. روماني ، مصري .. ماذا يهم ؟ هو انسان ، هو حبيبي ، وهو يحبنى .. هذا يكفى ، يكفى ، يكفى ..

أبانوفر (بلهجة القاضي) : الحب ليس حبا الا اذا باركه الله ..
عدو الوطن عدو الله .

مانيتون : فيلامينة أخطأت .

أبانوفر : بالعدل ستحاكم .

مانيتون : لا ، لا . أنا التمس حياتها من مولانا آخيل .

أبانوفر : قلت بالعدل ستحاكم .. أمام محكمة الشعب .. لتكون عبرة للخونة ..

مانيتون : أبانوفر ! أتركها للرعا ؟!

أبانوفر (ينظر الى السماء) : أتركها للعدالة .

مانيتون : ربما كان لآخيل رأى آخر .

أبانوفر : رأى آخيل من رأى الشعب (آخيل رائج غاد يفكر في امتعاض)

مانيتون : من يحكم البلاد؟ أبانوفر أم آخيل ؟

أبانوفر : الشعب يحكم البلاد .

فيلامينة (متهكمة) وأبانوفر يحكم الشعب (تتعذب في صمت وكرامة) : افعل ما تشاء .. سأقف أمام الشعب وأصرخ

بأعلى صوتى : نعم . اقتلونى . أنا مجرمة .. وجريمتى هى
الحب ! الحب لا يعرف الأوطان . الحب لا يعرف الأديان .
الحب لا يعرف الأسماك والارجوان . الحب لا يعرف ما
رسم الانسان . لانه من جوهر الرحمن .

أبانوفر : هيا خذوها ... (يدخل حارس . يهمس أبانوفر فى
أذنه)

الحارس : نعم . نعم . بالتأكيد .

أبانوفر : اتبعيه يا فيلامينة .

فيلامينة (تنظر اليه فى ارتياب) : الى أين ؟

أبانوفر : هو يعرف . لا تخافى ..

فيلامينة : سأنتظر مع مولاى أخيل .

أبانوفر : لا . لا . (أخيل يدير ظهره ويقف كالتمثال)

فيلامينة : سأنتظر حتى تأتى مارتا .

الحارس (يجذبها من ذراعها) : هيا بنا

فيلامينة : لا ، لا ...

الحارس (يجذبها بخشونة نحو الباب الأيمن) : هيا بنا ...
هيا بنا ..

فيلامينة : فليكن دى لعنة عليك يا أبانوفر .

أبانوفر (بصوت خائف حنون) : لا تخافى .. لا تخافى .

فيلامينة (مستغيثة وهى تخرج من الباب الأيمن) : مارتا !
مارتا ! مارتا !

(يتلاشى الصوت تدريجيا . تدخل مارتا على عجل من الباب الأيسر وقد بلغتها اصدااء الاستغاثة . يثبت بصرها على الباب الأيمن)

مارتا : هذا صوت فيلامينة ..

أبانوفر : نعم .

مارتا : ماذا فعلت بالبنية ؟

أبانوفر : لا شيء .

مارتا : ولماذا تستغيث ؟

أبانوفر : لأنها ذاهبة الى السجن .

مارتا : أبانوفر !

أبانوفر : قلت كل شيء يجرى فى عدالة .. لا تخافى .

مارتا (حائرة تفرك يديها) : اطلق سراح فيلامينة .

أبانوفر : دعينا من هذا .

آخيل (فى برود) : هل انتهيت ؟

(مارتا تتنبه الى وجود آخيل فتحبى تحية عميقة قائلة

مولاي آخيل)

أبانوفر : لا . لا .

آخيل : تكلم .

أبانوفر : سيدتى فاوستينا .

آخيل (بحركة اضطراب) : أين هى ؟

أبانوفر : قبضنا عليها

آخيل (يخفى وجهه في راحتيه لحظة ثم يقول بصوت خفيض) :
أرسلها الى القصر الملكى .

أبانوفر : هى مع الأسرى .

مانيتون : أبانوفر ! انها لا تزال .. جلالة الملكة .

أبانوفر : لا ، لا . انها لم تحضر حفلة التتويج . رفضت تاج الاسكندرية . هربت للرومان .

مانيتون : اذن سلمها لزوجها آخيل .

أبانوفر : نحن فى حالة حرب . مكانها مع الأسرى .

مانيتون (مهددا) : أيها اللعين ..

آخيل (فى ألم بالغ) : كفى . كفى . ابلغه الأخبار يامانيتون .

مانيتون : آخر الأخبار : حامية الرومان فى أبو صير استسلمت
للامير تادرس ، وحامية فقط استسلمت للامير تيماجين .
أربعون الفا استسلموا فى قفط وأبو صير .

أبانوفر : تباركت يا رب ! كل البلاد فى ايدينا . أخيرا تحقق ..
الحلم الكبير (يتمم بصلاة قصيرة)

آخيل : هل صحيح ما سمعت عن ديوجين وسويروس ؟

أبانوفر : صحيح ..

آخيل : كيف تجلبهم عن البرج ؟ الا تعلم ان الاسطول ..

أبانوفر : نعم .. ولكنهم رومان .

مانيتون : لماذا لم تنتظر أوامر مولانا آخيل ؟

أبانوفر : وهل اتركهم لمساومات دقيانوس ؟

آخيل : ومن يدافع عن القصر ؟

أبانوفر : أيب وفيلامون .

مانيتون : برعاع الاسكندرية ؟

آخيل (لمانيتون) : دعه وشأته . كل المدنيين يجلون عن القصر .
سأقود الجيش بنفسى . هيا يا مانيتون . . هيا (فى عتاب
ومرارة) أبانوفر ملك غير متوج (حارس ينفخ فى النفير عند
الباب الأيسر ، ينصرف آخيل ومانيتون من نفس الباب)

مارتا : أبانوفر . . آخيل غاضب عليك .

أبانوفر (بعد اطراق) : ربما ، ربما .

مارتا : ماذا كان ينتظر ؟ أنت تؤدى الواجب

أبانوفر : هو حائق بسبب فاوستينا .

مارتا : انه يفار من سلطتك .

أبانوفر : لا ، لا . سيشكرنى حين يعرف كل شىء . فلنشرب نخب
النصر . (يملأ كأسين كبيرتين مصنوعتين من الفضة من
الدنان القائمة فوق المائدة ويعطى كأسا لمارتا . يرفسح
كأسه) فى حب مصر (يشرب) .

مارتا : فى حب مصر (تشرب)

أبانوفر (يشرب) فى حب آخيل .

مارتا (تشرب) : فى حب قسطنطين .

أبانوفر (يبدو عليه الألم . يشرب) : فى حب مارتا .

مارتا (تشرب) فى حب أبانوفر .

أبانوفر (يتنهد في حزن) أبانوفر الحزين .

مارتا (عاجبة) : وماذا يحزن أبانوفر ؟

أبانوفر (يشرب) : وهذه لمارتا .

مارتا (تشرب عاجبة) : وهذه لأبانوفر .

(أبانوفر يبتعد عنها . تتجول عيناه في الفراغ وفي السقف)

أبانوفر : انه يعود . . .

مارتا (لا تفهم) : من يعود ؟

أبانوفر : هو . هو . اغرب عن وجهي . هيا انصرف

مارتا (حائرة) : اتكلم احدا ؟

(أبانوفر يحملق فيها)

أبانوفر : مارتا ؟

مارتا : مالك يا أبانوفر !؟

أبانوفر : هل أنت سعيدة ؟

مارتا : سعيدة ؟ نعم ، نعم ، لماذا تسأل ؟

أبانوفر (يبتعد عنها) : لا داعي . لا داعي . .

مارتا (تقترب منه في عطف) : اتشكو من شيء ؟

(أبانوفر يحملق فيها ولا يجيب)

مارتا : لماذا تحملق في هكذا ؟

- أبانوفر (يمسك بدراعها في عنف) : أتعرفين ؟ .
- مارتا (تصرخ ضاحكة وتخلص ذراعها) : انت تؤلمنى .
- أبانوفر : انك أبدع راقصة فى الاسكندرية ؛
- مارتا (مبنسمة) : صحيح ؟ أنا نسيت .
- أبانوفر : وأعظم فنانة ؟
- مارتا (تتنهد فى عتاب) : أوه .. لا توقظ الماضى .
- أبانوفر : وأجمل امرأة .
- مارتا : أبانوفر !
- أبانوفر : وانتك فى ثياب الرقص .. أجمل منك فى هذه الثياب ..
- مارتا : هذيان ! هذيان ! عم تتحدث ؟
- أبانوفر (يمسك وجهها براحتيه لحظة) كالياقوتة الحمراء تشع لهيبا فتوقظ الأحلام الحمراء .
- مارتا : لست أفهم . لست أفهم . الرقص . الفن . الجمال .
- أبانوفر الراهب يلتفت لهذه الأشياء ؟
- أبانوفر (مخاطبا الفراغ) : كاللآساة السوداء تنشر الليل المخيف فيفر أمامها الضياء .
- مارتا (غاضبة) : لماذا تذكرنى بالخطيئة ؟ هل نسيت ؟
- أبانوفر : ماذا ؟
- مارتا : ائنى سأدخل الدير !
- أبانوفر : مستحيل .
- مارتا : كيف تمنعنى ؟

أبانوفر : لن يقبلوك .

مارتا : الله قبل توبتي .

أبانوفر : ولكن الناس لن يقبلوها .

مارتا : سأهيم على وجهي في البراري .

أبانوفر (يمسك بذراعها) : وأنا سأهيم معك في البراري .

مارتا (مشتبهة في أمره) : ماذا تقول يا أبانوفر ؟

أبانوفر : مارتا ! اسمعي . أريد أن أقول شيئاً (يتلفت حوله)
لك وحدك (يترك ذراعها) .

مارتا : تكلم ..

أبانوفر : يجب أن تنهني ..

مارتا : سأفهم كل ما تقول .

أبانوفر (يشير الى قلبه) : أنا .. أحبك ..

مارتا : ماذا تقول ؟

أبانوفر : تعالى . اقتربي مني .. دعيني المس جسدك الجميل ..
دعيني أتنفس من أنفاسك (يأخذها بين ذراعيه ويقبل
ذراعها في كل موضع)

مارتا (تفر منه غاضبة) : اليك عنى

أبانوفر (مستعظفا) : لا تركيني . لا تركيني . ان تخليت عنى
انتهت حياتي .. انت امرأة مجربة . عرفت الحياة .
عرفت رجالا كثيرين . أنا لم أعرف امرأة واحدة . هل
تفهمين ؟ هل تفهمين ؟ لم أعرف امرأة واحدة . رأيت ألف
امرأة ، ولم أحفل بواحدة .. حتى رأيتك ترقصين في قصر

آخيل . عطرك ايقظ في نفسى شيئاً مدمراً . مدمراً كالايمان
نعم .. الايمان يدمر ، يأكل القلب . ينهش العقل ، يفرى
الجسد . هكذا الخطيئة ، تدمر ، تدمر كالايمان (يطاردها
ليحتويها بين ذراعيه) .

مارتا : اياك ان تقترب (ساخرة) ماذا تعرف عن الايمان ؟ (تشير
الى قلبها) انه ينزل على القلب يردها وسلاماً .

أبانوفر : تعالى بلا خطيئة ! بلا خطيئة ! من أجلك أخلع مسوح
الرهبان . سينتزوج . آه ! الحب ! من قال ان الحب
خطيئة ..

مارتا : ماذا تعرف عن الحب يا أبانوفر ؟!

أبانوفر : علمينى . علمينى .

مارتا : انت اوصدت ابواب الرحمة .. ثم تتكلم عن الحب ؟ اطلب
التوبة ، فتقول : لا غفران ! لا غفران ! فيلامينة تطلب العفو
فتقول : العدل فوق الرحمة !

أبانوفر (ينسى نفسه) : كلمة واحدة منك ترد لها الحياة .

مارتا : تعالىا .. اشهدوا .. أبانوفر .. البطل العظيم .. يساوم
على حياة خائنة !

أبانوفر (يطأطئ رأسه خجلاً) : اصفح عني .

مارتا : صفحت عنك ، فاصفح انت عن الآخرين .

أبانوفر : نعم ، نعم . فى يدك خلاصى . فى يدك خلاصى .

مارتا : اهدا يا أبانوفر .

أبانوفر : متى نتزوج ؟

مارتا : انا اخترت حبيبى .

أبانوفر (فى لهفة) : حبيبك ؟ من حبيبك ؟

مارتا : المسيح .

أبانوفر (نائرا) : هذا تجديد . انه قسطنطين ، باعاهرة .

مارتا (تعض شفتها) : نعم ، قسطنطين . وأنا فخورة بحبه ، جاء كالطيف ومضى كالطيف ، فخورة ، لأن حبه الطاهر هدانى الى الحق ، أما حبك الآثم فيدفع بك الى هاوية ما لها قرار .

أبانوفر : العاهرة ! العاهرة !

مارتا (بصوت مجلجل) : تعالوا اشهدوا .. أبانوفر .. الراهب العظيم .. يتعمرغ فى الأوحال (تخرج نائرة من الباب الأيمن)

أبانوفر (بعد لحظة صمت) : يا الهى ! ماذا فعلت ! ماذا فعلت ! (كمن يكلم نفسه) أنا خدمت الله .. خدمت الناس .. ولا اطلب الا حقى فى الحياة !

(ستار)

الفصل الثالث

قاعة العرش بقصر آخيل ، امبراطور الاسكندرية ، أعمدها
فرعونية مذهبة التيجان ، البابان ، على اليمين وعلى اليسار ،
فرعونيان عاليان يعلو كلا منهما العقاب حوريس ويحيط بكل منهما
خطوط مذهبة . السقف نقشت عليه أبراج السماء نظير الأبراج
الموجودة في معبد دندرة . شموع مشتعلة في أعواد اللوتس النحاسية
تنير القاعة من كل الأركان . نافذتان جسيمتان في الصدر على
يمين العرش وعلى يساره من زجاج مغلق عليه نقوش ملونة .
العرش في الصدر عال ومذهب يرتقى اليه بدرجات كستها أبسطة
حمراء من أنفاس الأرجوان . وفوق العرش علق تاج مينا ، تاج
الوجهين : الأبيض والأحمر . قطع أثاث فرعونية قليلة مبسوطة
هنا وهناك . وعلى يمين العرش جلست تغيته في رداء فرعوني
وفي يدها قيثاره فرعونية جسيمة . وعلى يسار العرش جلست
مارينا في زي يوناني وفي يدها قيثاره يونانية صغيرة . على حين
يسمع صوت ناى حزين من قاعة الاحتفالات المجاورة ، تتخلله
دقات طبل بعيد عميق حزين . هاتور جالسة على أريكة في زى
فرعونى بيدها منديل تفركه في تفجع صامت) .

تفیتة (تنشد وهى تعزف) :

كلما ناحت مع اليل للرياح
غنت الطير اغانيها الحزينة
كلما أصبح في الدنيا صباح
غمغم الموج ونادى : فيلامينة

مارينا (ترد عليها) :

ذكرياتي مثل اشجار الخريف
نفضت اوراقها روى السجينة
ذوت الأحلام في قصرى المنيف
فبكت عيني وناحت فيلامينة

تفیتة :

ذوت الأغصان في روضة حبي
وبكى الورد بآملاق سخيئة
لم يفن الطير في بستان قلبي
فبكى قلبي ونادى فيلامينة

مارينا :

يا بنات البحر ان غاب شراع
كل احلامي على ظهر السفينة
اقلعت روى بها دون وداع
فمتى ترجع روى فيلامينة

تفتيته :

يا بنات النيل ان غاب القمر
ايقلخوا بالدف عشاق المدينة
ان يرى البندر هزيع او سحر
بعد ان ولى وغابت فيلامينة

هاتور : كفى يا بناتى .. كفى يا بناتى .. ما احيا البكاء ميتا
ولا ارجع فقيدا !

تفتية : لم يبق الا امل واحد .

مارينا : ان يضرب آخيل .

تفتية : ضربة واحدة .

مارينا : فيريخنا من هذا الذئب المسيحى .

تفتية : بأمره ذبحوا فيلامينة .

مارينا : كما تذبح الحمامة الوديمة .

هاتور : قربان مقدس فى هيكल الحب (تتجه الى الباب الايمن
وتصفق مرتين وتنادى : « بخور ! » يدخل عبد حاملا
مجمرة يتصاعد منها البخور ويطوف بأرجاء القاعة
ثم ينصرف (هاتور تبتهل) ايزيس ! يامولاتى ! ياذاذ الحجاب
قدسى روحها الطاهرة ، قدسى جسدها الممزق . اجمعى فى
الارض اوصالها كما جعت اوصال زوجك الحبيب . ارفعى
روحها الى السماء لتضىء كما تضىء النجوم .. بشفاعة
زوجك الجميل اوزيريس خنت أمتى ، ملك حابو وسيد
اهل الغرب . آمين .

مارينا : استجب يا زيوس لدعاء افروديت .

تفئمة : استجب يا بتاح لدعاء طفنوت الزهراء .

(يدخل آخيل ، امبراطور الاسكندرية ، فى زى فرعونى ؛ ولكن فوقه عباءة الملك الارجوانية ، يتبعه مانيتون وهو لا يزال محافظا على زيه اليونانى ، وافريكان وايبب وفيلامون فى زى فرعونى ، وسويروس وديوجين وبومبييان فى زى رومانى ، تنحنى النسوة بالتحية حتى يمسسن الأرض . وينحنى الرجال عند جلوسه على العرش . آخيل يشير بيده فيعتدل الرجال وتنهض النساء) .

آخيل (متسائلا بعد أن شم البخور) : فيم البخور ؟

هاتور : كنا نصلى يا مولاي .

آخيل (عاجبا) : فى قاعة العرش يا هاتور ؟

هاتور : على روح فيلامينة يا مولاي

(آخيل يهز رأسه أسفا . فيلامون يخفى وجهه فى راحتيه يسود وجوم عميق)

آخيل : من منكم شهد المحاكمة ؟

هاتور : كلنا يا مولاي .

مانيتون (فى نفس الوقت) : كنت هناك مع فيلامون

آخيل : ماذا تم ؟

مانيتون (جامدا لا يجيب وقد جحظت عيناه)

هاتور : تكلم يا مانيتون ..

مانيتون : ماذا أقول ؟

هاتود (تمشى فى القاعة كالسائر فى نومه المحدث نفسه) : كانت القاعة جرداء .. فى الثكنات .. فى معسكر قيصر .. صفت بها مائة اريكة خشبية . وسرعان ما تدفقت الجموع وامتلأ المكان بالفوغاء الثائرين ، واختلط هدير الرجال بضحكات النساء الفاجرة وصراخ الصبية ، واختنق الجو بكسريه الروائح . وعلى المنصة جلس تسعة قضاة كأنهم تاسوع من الأبالسة خرجوا من بطن الجحيم : الفران والطحان والنجار والحمار والصيد والقواد والاسكافى والحدوى . ورايت بينهم امرئ ساقى القصر الذى طردناه منذ عام يا أخيل ، وكان يراس هذه العصابة التى يسميها ابانوفر محكمة الشعب .. (تسكت)

تفيتها : ولما دفع الجند فيلامينة فى قفص الاتهام رفع الرجال قبضاتهم مهددين وعلا صراخ النساء بأفحش السباب وبدىء النكات ، حتى احمر وجه فيلامينة واغرورقت عيناها بالدموع . وابتسم امرئ ابتسامة الرضا ، ووقفت بغير معرفة لا يجهلها رومانى ، اسمها توتا ، تمثل الاتهام . قالت ان الشعب يتهم فيلامينة بالخيانة لعظمى ثلاث مرات ، مرة لأنها تزوجت من الأعداء ، ومرة لأنها سهلت الفرار لواحد من الأعداء ، ومرة لأنها هربت معه الى معسكر الأعداء . وكانت فيلامينة تقف رافعة الرأس وتنظر الى الجمع باحتقار ووقف قس مسيحي يمثل الدفاع ، واخذ يتكلم طويلا عن رحمة الله وابنه المخلص ويقول كلاما غير مفهوم عن الزواج الذى يعقد فى السماء فلا يحله من فى الأرض . والقضاة يهزون رءوسهم كالبله ويتداولون . ثم وقف امرئ الساقى فساد صمت عميق . وقال بصوت جهير : « حكمت المحكمة بالاعدام على فيلامينة بنت أورى بن أنوب من حى باكوس وصيفة فاوستينا عدوة الوطن . » أما فيلامينة فرفعت

وجهها الى السماء ورسمت علامة الصليب . وخرج بها
الجنود بين تهليل الفوغاء وسخرية الرعاع .

هاتور : وفي الليل ذهبنا الى السجن لزيارتها فعلمنا أنهم أجهزوا
عليها عند الغروب ، وأرسلوا جثتها الى أخيها فيلامون .
(كل الانتظار تتجه الى فيلامون الذي يقف جامدا كالتمثال
الشاحب وهو يتمتم : قضاء الله ! قضاء الله !)

تفيتها (تغنى نفس اللحن ومارينا تعزف على الأوتار) :

غابت الشمس وراء الأفق .
أضرمت فيه حريق الشقق .
هكذا قلبي اكوى من حرقى
منذ غابت فيه شمس فيلامينة .

مارينا : كلمة واحدة من الراهب كانت تنقذ حياتها .

مانيتون : أبانوفر يردد كلمة واحدة كالبيغاء : العدالة .. الوطن .
العدالة .. الوطن .

بومبيان : هذا مصير فاوستينا يا آخيل .

آخيل . (يشيح بوجهه الما) : نعم . نعم .

سويروس : لابد من اتقاذ سيدتى فاوستينا .

أفريكان : انها فى سجن النجمة .

بومبيان : رهينة .

أفريكان : لا . تنتظر المحاكمة .

سويروس : متى ؟ متى ؟

أييب : غدا .

آخيل : ما العمل ؟ ما العمل ؟

سويروس : محال أن نتركها للفوضى .

بومبيان : نخرج بمائة فارس وننقذها من السجن .

مانيتون : لتحاكم في بلاط آخيل ؟

سويروس : فليكن .. لتحاكم في بلاط آخيل .

مانيتون : تدبر الأمر يا آخيل ، ربما قامت مذبحه .

آخيل (في لهفة) : بلا دماء ؟

سويروس : سنحاول . سنحاول .

تفيتة (تلقى بنفسها على درجات العرش وهي تنتحب) : اقتله
يا مولاي .

آخيل : لا . لا (يأخذ بيدها وينهضها ويهدئ من روعها) : اهدئي
اهدئي يا تفيتة . اجلسي (تعود إلى مكانها) .

أفريكان : انه يصل ويجول في الاسكندرية كأنه ملك البلاد .

ديوجين : ويحكم في رأس التين كأنه ملك البلاد .

بومبيان : لماذا لا تقبضوا عليه ؟

آخيل : لا ، لا . لماذا لا نواجه الواقع ؟ هو فعلا ملك البلاد .

مانيتون : اذا قبضنا عليه قامت ثورة على العرش ، ونسى الناس
حصار دقيانوس على الاسكندرية .

ديوجين (مستنكرا) : آخيل .. عاجز !

آخيل : انهم الموقف يا ديوجين .

بومبيان : محال ان نتركها لعدالة المصريين . بالعدالة الرومانية
تحاكم .

أييب (غاضبا) : مولاي أخيل !
أخيل (مهدئا) : لا داعي . لا داعي .

أييب : اسمع يا بومبيان . اسمع يا ديوجين . نحن هنا مصريون .
كلنا مصريون . دومتيوس دومتيان انتهى . يجب أن تنساه .
مولانا أخيل مصرى . أتفهم ذلك ؟ وعدالته عدالة مصرية .
أنتم هنا رومان في خدمة مصر . أتفهم ذلك ؟ ليس في القصر
عدالة رومانية . ان كنت لاتفهم جئنا بأباتوفر ليفهمك .

ديوجين (مت دخلا) : فليكن ، فليكن . .

مانيتون : اهدأ يا أييب .

بومبيان (يجرّد سيفه) : سأتيك برأس الراهب أباتوفر . انا
رومانى ، ولا حرج على الرومان .

فيلامون (يجرّد سيفه ويلتحم ببومبيان) : قف مكانك . كلنا
نموت ولا تمس شعرة من رأسه .

(الدهول يصيب الجميع . هاتور تدق صدرها وتقول :
« فيلامون ! » أخيل ينهض من عرشه صائحا : « فيلامون ! »
تفيرة تشهق وتنادى : « فيلامون ! » يتدخل سويروس
وديوجين للفصل بينهما)

فيلامون (كالذاهل) : ماذا جرى ؟

أخيل : اهدأوا . الا يكفي ما نحن فيه من متاعب ؟

أييب : فيلامون على حق . هؤلاء السادة الرومان لا ينسون روما
وهم وقوف امام عرش مصر . انهم يثيرون الفتنة . أباتوفر
رجل فظ ، كلنا يعرف ذلك ، ولكنه صارم في الحق . فيلامينة

كانت من دينه .. فهل أبغها من العقاب ؟ تكلم ياماتيتون
.. يوم اعدام فيلامينة .. كيف وجدت الراهب ؟ (أخيل
يجلس) .

فيلاهون : دعنى اتكلم . كان يبكى كالنساء . كانت دموعه تجرى
على لحيته الكثة وتنهمر على برده . كان لا يقول الا شيئا واحدا
ارحمها يا رب . خذها الى جوار مريم . كاد يجن . اخذ
يجادل ربه ويقول أشياء تشبه الهذيان . سمعناه يقول :
يا الهى ! لماذا نزلت فى بنى اسرائيل ولم تنزل فى هذا الوادى
المقدس ؟ محال أن يكون المسيح يهوديا . كان يصرح : الله
نزل فى مصر ! الله نزل فى مصر ! كل ذلك ودموعه تجرى
على لحيته الكثة السوداء وتسيل على برده . كاد يعود
الى آلهة آبائه : يقول مريم .. فسمع ايزيس . يقول :
المسيح ، فسمع اوزيريس .. ثم يسقط مفشيا عليه ، ولم
يفق الا بعد أن جاءت مارتا مع الظلام وغسلت قدميه بالطيب
ثم انصرفت مع الصباح .

ماتيتون : كل هذا صحيح يا مولاي ..

هاتود (كأنها ترى معجزة) : يا ايزيس ! الراهب .. له قلب !
نفية (تجهش بالبكاء المتقطع) : لم تكن نعلم . لم تكن نعلم .

أييب : أين كنا لولا أبانوفر ؟ .. ثمانية شهور طوال وهو يصد
الحصار .. بالرماح والقوغاء يصد الحصار .. أطول
حصار فى التاريخ . فى الميناء . على اللا وار . ثمانية
شهور طوال ودقيانوس حائر لا يجد : هذا الى المدينة ،
وكلما أنزل رأس ومع على الشاطئ قطعته أبانوفر كما
تقطع أربط الخطبوط ..

(جلبة شديدة فى الخارج . يدخل ضابط مصرى أشعث

المنظر وهو يلهث ، وينحنى امام آخيل على عجل ثم ينهض .
(مسرعا)

الضابط : اخذوها .. اخذوها ..

آخيل : اخذوا من ؟

الضابط : اخذوا مارتا .

آخيل : من اخذوا مارتا ؟

الضابط : الرومان . جنود دقيانوس (آخيل ينهض منزعجا)

كيف ؟
كيف ؟
متى } **أصوات :**

الضابط : كانت في مكانها تحمى البرج في رأس التين . شدد
الرومان الهجوم . ارسلت الي اباتوفر تطلب النجدة . ولكن
اباتوفر ابى ان يرسل اليها جنديا واحدا . كان واقفا
على رمال كليوبترا يخطط بعصاه أشكالا غير مفهومة لما
حملوا اليه النبا ، فمضى يخطط بعصاه كأنه لا يسمع مايقال .
ولما ألحوا عليه التفت الى الراهب آريوس وقال : ارسل
دامون الارمنتي مع عشرة آلاف الى ابو قير ، وارسل
فريسكا مع عشرة آلاف الى ترعة نوكراتيس وراء أسوار
المدينة . هناك انتظروا أشياء . فلما عدنا وجدنا أن الرومان
استولوا على البرج وأمسروا مارتا وخمسمائة من الحرس
الوطني وأبحروا بهم الى قطع الأسطول .

آخيل : والبرج لا يزال في يد الرومان ؟

الضابط : البرج لا يزال في يد الرومان .

أفريكان : وابن أبانوفر ؟

الضابط : بعد ذلك لم نعثر له على أثر .

آخيل : مارتا المسكينة .. أسروها .

بومبيان : هذا جنون . قلت لكم ان الرجل مجنون !

سويروس : هذا لا يحتمل .

ديوجين : الى متى تسكت يا آخيل ؟

بومبيان (يقهقه ساخراً) : أبانوفر .. بعد الرعاع .. يقود

الجيش ! الراهب المجنون يتولى الأعمال العسكرية !

آخيل (ينزل درجات العرش غاضباً) : من اعطاه السلطة؟ أفريكان!

الحق بدامون الارمنى . بأمرى يعود لحماية رأس التين .

أفريكان : على اسرع جواد .

آخيل : وأنت يا ديوجين ، الحق بفريسكا . بأمرى يعود الى رأس

التين . الكل يدافع عن رأس التين . لابد من استرداد البرج

إذا ضاعت رأس التين ضاعت الاسكندرية . انتهى كل

شئ .

ديوجين : كلمح البرق يا آخيل .

(يخرج أفريكان من الباب الأيسر ثم يخرج بعده ديوجين .

الضابط يحيى وينصرف من الباب الأيمن . هاتور تنفجر

بالبكاء الصامت وتغنى ، بينما تفتحة تعبت بقيثارتها)

هاتور : الوداع يا بنيتى !

(تغير في الخارج . الكل ينصت . آخيل يرتقى العرش)

سويروس : نفير ..

مانيتون : نفير ملكى !

آخيل : لمن يطلقون النفير ؟ (الكل يلتفت الى الباب الايمن . يدخل ابانوفر) .

بومبيان (متهكما) : الملك ! (ينحنى بالتحية الملكية فى سخرية .
ابانوفر يتجاهله ويمشى الى آخيل الجالس على العرش .
فيلامون يتقدم الى الراهب ويركع امامه ويقبل يده قائلا :
« باركنى يا ابتاه ! » فيرسم ابانوفر علامة الصليب على
رأسه ويتمتم بكلمات قليلة ، وينهض فيلامون)

مانيتون (شبه غاضب) : ولماذا النفير يا ابانوفر ؟

ابانوفر : لا تحاسبنى . حاسب حراس القصر .

آخيل (ببرود) ابانوفر . من فوضك فى الاتصال بالجيش ؟ .

ابانوفر (متأملا التاج المعلق فوق المرش) : هل هذا كان الاتفاق ؟
آخيل : أى اتفاق ؟

ابانوفر : ان تضع تاج مينا فوق رأسك ؟

آخيل : هذه ارادة الاعيان .

ابانوفر : الاعيان . البلاط . الحاشية . القواد . لقد سئنا .
نحن توجناك امباطورا على الاسكندرية . اما تاج فرعون .
فلا يلبسه الا مصرى .. من اصلاص مصرية .. قلنا تاج
فرعون لقبسططين ، بعد ان يرث روما وبيزنطة يحكم الدنيا
من الاسكندرية .

مانيتون : هذه امور تسوى بعد رفع الحصار .

آخيل : اذا لم تكن هذه ارادة الشعب تخلينا عن تاج فرعون
يا ابانوفر . فلنعد الى الموضوع .

ابانوفر : اى موضوع ؟

آخيل : اتعلم ان الرومان استولوا على برج رانس التين ؟

ابانوفر : نعم .

آخيل : وانهم اسروا مارتا ؟

ابانوفر (يتنهد فى الم عميق) : نعم .

بومبيان : لماذا تخليت عن البرج ؟

(ابانوفر لا يلتفت اليه ولا يجيبه)

آخيل : لماذا ؟

ابانوفر : من السائل ؟

آخيل : آخيل يسأل ابانوفر : لماذا تخليت عن البرج ؟

ابانوفر : وابانوفر يجيب آخيل : للضرورة العسكرية .

سوريوس (يهدوء وحزم) : اين تعلمت العلوم العسكرية يا ابانوفر ؟

(ابانوفر ينظر اليه مليا ولا يجيبه)

آخيل : اية ضرورة ؟

هاتور (تصرخ) : ليسلم مارتا للرومان ؟

ابانوفر (يضطرب) : ماذا تقولين ؟

هاتور : لتسلم مارتا للرومان .

أباتوفر : هل فقدت عقلك يا هاتور ؟

هاتور : كلنا نعرف ان قلبك يفلئ بالحقء الأسود عليها منذ ...

أباتوفر (مستعظفا) : هاتور !

آخيل : اذن ما يقولون صحيح .

أباتوفر : لا . لا . لا .

بومبيان : كل الاسكندرية نعرف أنها رفضت فراشك .

أباتوفر : يا الهى (يترنج فيسندء أيب)

أيب : كفى . كفى .

بومبيان : لماذا تدافع عنه ؟

أيب : الا ترى أنه يتعذب ؟

هاتور : ومارتا ؟ الا تتعذب الآن ؟ بين أيءى الرومان !

بومبيان : كل الناس يتحدثون غرام أباتوفر اليأس .

أيب : حديث نساء .

بومبيان : ويقولون انه يحب الشراب .

أباتوفر : دعنى وشأنى .

بومبيان : ويقولون انه يحب المواخير .

فيلامون : ما هذه السخافات ؟

أيب : هل من الضرورى أن نسمع هذه السخافات ؟

آخيل : وما الحقيقة ؟

أبانوفر : يقولون . يقولون . اسمع يا أخيل . . يقولون ان سيدى مانيتون يقتصب مال الرعية ليعطيه لمولاي أخيل . يقولون ان سيدتى هاتور قوادة القصر . وانك تجزل لها العطاء لتأتيك براقصات معبد ايزيس .

مانيتون (مت دخلا) : تأدب يا أبانوفر ؟

أبانوفر : من البادىء . أنتم بداتم . تقولون انى تخليت عن البرج لأسلم مارتا . أنتم لا تفهمون . .

أخيل (بيرود) : فهمنا كل شىء . ولهذا أرسلنا أفريكان وديوجين لاسترجاع القوات الى رأس التين .

أبانوفر (فى انزعاج شديد) : ماذا فعلتم ؟

أخيل : بعد البرج يسقط القصر . لابد من تحصين القصر .

سوروس : وبعد القصر تسقط الميناء . لابد من تحصين القصر

بومبيان : يبدو ان للقائد أبانوفر رأيا آخر ؟

أبانوفر (منفجرا) : الدمار ! الدمار ! الدمار ! أيها الحمقى ! ماذا

فعلتم ! القصر محصن . لا خوف على القصر : ١٥٠٠٠ من

الحرس الوطنى يحرسون القصر : ٢٠٠٠٠ من الرماة

يحرسون الميناء . وخلف الرماة ألفان من الفرسان . لاخوف

على الميناء . أيها الحمقى ! انطلت عليكم خدعة دقيانوس .

دقيانوس يأتس من دخول رأس التين . يأتس بعد ثمانية

اشهر من الحصار . . من الكر والفر . . دقيانوس يعرف

انه لن يجد ثغرة الى المدينة الا اذا أفنى كل قواته وأفنانا .

هو يهاجم البرج بشدة ليوهمنا انه يطلب القصر فتحشد

فيه كل رجالنا ، والحقيقة انه يقوم بحركة التفاف حول

المدينة . . اتعرفون بكم هاجم البرج ؟ بخمسة آلاف ، هكذا

تقول التقارير . هجوم شديد ولكنه كاذب . اتعرفون اين

قواته الأساسية الآن ؟ في أبو قير وعند ترعة نوكراتيس وراء
أسوار المدينة . خطته أن يقطع المياه عن قنوات الاسكندرية
لنموت عطشا .. لنسلم أو نموت .. كيف لا أتخلى عن
البرج ؟ كيف لا أضحي بالفين ؟ كيف لا أضحي بمارتا ؟ انتم
نيام . انتم ترسمون الخطط بالقلم والمسطرة وعدوكم يمكر
ويدبر . أين جواسيسكم ؟ وراء أبانوفر ؟ وراء المصريين ؟
الدمار يا مصر الدمار !

(فيما هو يقول هذا الكلام يسود الاضطراب ، ويقف أخيل
مرتبكا وينزل درجات العرش ، ويبدو الانزعاج على الجميع
وتصدر من النسوة صرخات قليلة قصيرة مكبوتة ، ويهرع
مانيتون وأيب وفيلامون الى الراهب بحركة تلقائية ،
ويتجمع الرومان حول أخيل)

مانيتون : ما العمل ؟ ما العمل ؟

بومبيان : لا تستمعوا لهذه المخرف .. دقيانوس يطلب القصر .

سويروس (مطرقا وبجد عميق) : الراهب على حق يا أخيل .

هاتور : اخرجنا من هذا المازق يا أخيل .. أنت ملك البلاد .

أخيل (يفرك يديه - نائرا) : اذا كان ما تقول صحيحا يا أبانوفر ،
فقد انتهى كل شيء .

أيب : مولاي ، هل تسمح ؟ .. سيدي بومبيان ينطلق الى قوات
دامون الأرمنتي ويعود بها الى أبو قير . وسيدي سويروس
ينطلق الى قوات فريسكا ويعود بها الى نوكراتيس .

أخيل : نعم . نعم . طبعاً . طبعاً .

سويروس : انقاذ ما يمكن انقاذه .

مانيتون : ايها الالهة ! ارحمينا ! ارحمينا ! ماذا يصدقون من هذه
الأوامر المتضاربة !

آخيل : هيا يا بومبيان .. هيا ياسويروس (يخرجان من الباب
الأسير) اييب ! الى سلاحى . أعدوا جوادى (يخرج اييب
من الباب الأسير) فيلامون ! نفير الفرسان . نفير المشاة .
نفير المعركة (يخرج فيلامون من الباب الأيمن . وبعد ثوان
يسمع نداء النفير مختلفا ومتعاقبا ، ثم أصداؤه البعيدة
مختلفة ومتعاقبة لا تلبث أن تتلاشى) سنخرج الى الميناء .
أبانوفر : الى نوكراتيس يا آخيل .

(يدخل اييب بالسلاح من الباب الأسير . آخيل يخلع عباءة
الأرجوان فتحملها هاتور . اييب يلبسه الزرد ويسلمه
الخوذة والسيف ودرعه البرونزى المستدير . فيلامون ينظر
من الباب الأيمن)

اييب : نعم . نوكراتيس نقطة الضعف .

آخيل : ومن يجمى رأس التين ؟

أبانوفر : فيلامون . القائد فيلامون . والقائد اييب يمضى الى
الميناء .

آخيل : فليكن . فليكن . وابن مكان أبانوفر ؟

أبانوفر : أنا مع الشعب .. فى كل مكان .

فيلامون (مترددا) : رسول فى الخارج يطلب المثل .

أبانوفر : دعه يدخل . دعه يدخل .

فيلامون (مترددا) : من عند دقيانوس .

أبانوفر
 آخيل
 مانيتون

فيلامون : هكذا تقول أوراقه .

(آخيل ينظر الى أبانوفر كالمستفسر : ماذا نفعل ؟)

أبانوفر : دعه يدخل (يبتعد الى أقصى اليسار)

(يدخل ضابط روماني وهو شاب وسيم ، لابس الزرد
 وسيفه القصير حاملا خوذته في يده اليسرى ، ويسؤدى
 التحية ، يتبعه ياوره)

الضابط : شبيو الصغير ، خادم دقيانوس ورسوله .

آخيل . (يتأمله) : ابن النوميدى ؟

شبيو : وسليل شبيو العظيم .

آخيل (يتفرس فيه) : ألا تذكرنى ؟

شبيو : نعم . . . دومتيوس دومتيان .

آخيل : كان أبوك صديقى . . رفيق السلاح . . فى لواء واحد (فى
 عطف شديد) كم كبرت يا شبيو ! الأيام ! الأيام ! لم أعرفك
 حين دخلت (يمشى كالحالم مخاطبا أبانوفر وكأنه لا يعرفه)
 كان النوميدى بطلا . . قاتلنا معا فى دورا ، وفى برقة ، ويوم
 سقط الى جوارى حملته بيدي هاتين (ينظر الى يديه) على
 جوادى . (ينظر الى الفتى فى زهو) أعترف كم حصدنا
 يومها ؟ عشرين رأسا . هو عشرة ، وأنا عشرة . كنا نتراهن
 على الرعوس ولم يكسب أحد . ولكنه كسب أخيرا . كسب

الراحة !كبرى (يعود الى نظرتة الحاملة ويضحك فى رقة)
أتذكر كيف كنت أحملك على ظهري فى حدائق كاتيلينا ؟
(شبيو يبدو عليه الارتباك ويطرق) . أنت صغير بالنسبة
لرقتك .

شبيو : خدمت روما ياسيدى .

آخيل : أم خدمت سيد روما ؟ (يضحك ضحكا هادئا) لا بأس
لا بأس . انهم يفسدونكم هذه الأيام . فى أيامى كان قائد
المائة فى ضعف بسنك . وكيف حال سيدتى مرسيليانا ؟

أبيب (مذكرا) : مولاي !

آخيل : نعم ، نعم ، نحن فى الاسكندرية (يعتدل) لم نعد فى روما
وماذا يريد دقيانوس ؟

شبيو : يريد أن يتبادل الرهائن .

آخيل (متشجعا) : لا أكثر ؟

شبيو : لا أكثر يا سيدى . السيدة فاوستينا مقابل مائة أسير
(آخيل ينظر الى أبانوفر)

أبانوفر : خمسمائة .

شبيو : أنت الراهب ؟

أبانوفر : نعم . . أنا أبانوفر .

شبيو (يتأمله) : أنت تعالى .

أبانوفر : لا ، لا . هذا راىكم : الدم الرومانى غال . . أزرق .
والدم المصرى خيس بلا ثمن .

شبيو : ثلاثمائة .

أباتوفر : خمسمائة . لا فائدة من المصارمة . اليس ، هذه رغبة السناتو ؟ حياة فاوستينا لا تدأوى شيئاً عند دقيانوس : ولكن اشرف روما يطلبون أن يبادلها بأى ثمن ولم لا ؟ دقيانوس يجب أن يبادل السناتو في التفاهات .

شبيو : يبدو أنك تعرف عنا كل شيء .

أباتوفر : كل شيء ؟ كل شيء ؟ لا . أنا لا أعرف الا قليلا . ومم ؟ ذلك أعرف أنك لم تأت هنا لتنقذ حياة فاوستينا . هل قبلت ؟

شبيو : نعم ، قبلت ، خمسمائة .

آخيل : تبادل الأسرى يكون في رأس التين .

شبيو : نعم . نعم .

أباتوفر : دقيانوس لا يوفد الى آخيل شبيو الصغير ، ربيب دوميتيوس دوميتيان ، من اجل فاوستينا (بلهجة مأكرة) هو يبحث عن صيد ثمين . أليس كذلك ؟

مانيتون (في تسرع ساذج) : ربما جاء يطلب الصلح .

أباتوفر : لا ، لا . جاء يطلب . . أباتوفر (حركات انزعاج)

شبيو (مخاطبا آخيل) : نعم يا سيدى . مولاي دقيانوس يطلب تسليم الراهب أباتوفر .

أباتوفر (هازئا) : مقابل ؟

شبيو : مقابل أى شيء يطلبه دوميتيوس دوميتيانوس .

أباتوفر (يشهر سيفه) : مستحيل .

فيلامون (يده على مقبض سيفه) : هذا جنون .

مانيتون : اهدأ يا ولدى !

ابانوفر (يتطلع في وجه شبيو) : اى شىء ؟

شبيو : هذا ما قاله . اى شىء يطلبه دومتيوس دومتيانوس .

مانيتون (فى لهفة) : هل قال ذلك ؟

شبيو : نعم قال ذلك .

مانيتون : هل يرضى بفك الحصار ؟

شبيو (يبتلع لعابه) : نعم ، يرضى بفك الحصار .

آخيل : هذه خدعة (فى كبرياء) لا ، لا ، قل لمولاك الكذاب ان آخيل
الاسكندرى لن يسلم أخلص رعاياه .

شبيو : هل هذا نهائى ؟

آخيل : نعم ، نهائى .

شبيو : اذن فليأذن لى سيدى فى الانصراف .

آخيل (فى حنان) : تصحبك السلامة يابنى .

(شبيو يحيى ويمشى نحو الباب الايمن)

ابانوفر (يستوقفه) : مهلا .. مهلا (يقف شبيو ويلتفت اليه)

آخيل : دعه ينصرف .

ابانوفر : لا ، لا ، تعال يا فتى .

شبيو : تكلم .

ابانوفر : اقترب .

(يقترب من شيبو حتى يكاد يلاصقه)

شيبو : ماذا تريد ؟

أبانوفر : مارتا مقابل أبانوفر .

(يسود الاضطراب بين أصوات : « لا . لا . » « مستحيل »
« لن نسمح » . هاتور وتفتة تتقدمان في لهفة)

شيبو (يتامله جيداً في عطف شديد) : موافق .

أييب (يتوسطهما شاهرا سيفه) : لن يكون ، إذا أراد دقيانوس
أبانوفر فليأت ويأخذه بنفسه . شيبو يجرد سيفه) .

فيلامون (يحذو حذوه ويطن في الهواء) : وهذه لدقيانوس .

أبانوفر (بلهجة الأمر) : مكانك يا فيلامون . مكانك يا أييب . كل
سيف في غمده . في بلادنا . لكل رسول حرمة (كل يغمد
سيفه)

مانيتون : أبانوفر ! أنت تطلب ثمننا بخسا !

أبانوفر : لا ، لا . مارتا أئمن من أبانوفر . مارتا قديسة طاهرة ،
وأبانوفر خاطيء ملعون .. مكانه قاع الجحيم .

مانيتون : هذا جنون . مارتا لاتساوى أبانوفر .

أبانوفر : مارتا ؟ مارتا روح الاسكندرية ، وأبانوفر جسدها . هل
فهمت ؟ نعطيهِ الجسد ونسترد الروح .

هاتور (تقترب صائحة) : الراهب المقدس ! (تجثو وتقبل
يده)

تغيتة (تقترب صائحة) : باركيه ايتها الالهة ! (تجثو وتقبل
يده)

(مارينا تعبت اناملها بأوتار القيثارة ثم تسكت)

أبانوفر : انهضى ياهانور . انهضى ياتنيتة . بلا دموع .. بلا
دموع ..

مانيتون : هذه رموز لا يفهمها عقلى الضعيف . اذا دخل دقيانوس
الاسكندرية حلت علينا الكوارث (بغضب) اطلب تأمين
المدينة يا أبانوفر .

أبانوفر (معاتبا) : هل انهزمنا يامانيتون ؟

مانيتون : عفوا . أقصد اذا انهزمنا .

أبانوفر (يضحك ضحكا أصفر) : اذا انهزمنا فلا تصدق وعدا
واحدا من وعود دقيانوس (يمسك بفراخ شبيو) تكلم
يا فتى . تكلم بصراحة . ألم يقل لك دقيانوس وأنت تغادر
السفينة : عدهم بأى شيء مقابل رأس أبانوفر ؟ عدهم
بتأمين آخيل ! عدهم بتأمين الاسكندرية ! عدهم برفع
الحصار ! عدهم بأى شيء . الوعود ! الوعود ! ما قيمة
الوعد عند المنتصر (مزمجا) تكلم !

شبيو (مرتبكا وشبه خائف) : نعم ، نعم .

أبانوفر : سيدى مانيتون لا يريد أن ينسى انه كان أمين مكتبة
الاسكندرية . هذه ليست كتب يامانيتون (يزمرجر) هذه
حرب . سياسة . حرب . كيف تصدق وعود المخادع
دقيانوس ؟ اطلب العقول .. تأخذ العقول ، ومع ذلك نحن
لا نأخذ الا عينا . اسمع يا فتى ، ارسل ياورك ليعود بالقديسة
مارتا المصرية . هنا . هنا . نحن لانسلم أبانوفر بالدفع

الاجل (يدق على صدره) بضاعتنا حاضرة ، والدفع عينا .
بشرف آخيل ، اذا لم يعجبك شرف آخيل ، بشرف دومتيوس
دومتيان . بالشرف الرومانى . هيا . هيا . لا تضيع الوقت
(شيبو ينظر الى آخيل حائرا مستفسرا . آخيل يبسط
كفيه فى حيرة)

آخيل : لا ، لا ، لن اسمح .

ابانوفر (يبصر زائغ) : انت لا تفهم يا آخيل ، انتم لا تفهمون
(كأنه يكلم نفسه) نعم ، نعم . (ينظر الى الخاتم على بنصره
الأسير) لابد من التكفير . . انا خنت العهد . . نعم . .
التكفير . انا القربان . فليقبل الله قربانى (يتعمم)

فيلامون : ارحمه يا الهى !

ابانوفر (كأنه يهذى) : اسكت يا غلام ! لا رحمة ! الله لا يرحم !
الم تسمعه يقول : ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى
السماء ؟ انا لم أرحم أحدا (ينظر الى يديه وكأنهما مخضبتان
بالدم) هى السبب . هى السبب . وقبل أن يأخذوها نظرت
الى فى عتاب . . ثم مضت . أم ترانى كنت أحلم ؟ وغيرها .
وغیرها . أين آريوس ؟ ماذا قال البطريق ؟ (يرتفع
صوته) لا ، لا . انا لم أرحم أحدا . لماذا يرحمنى الله ؟
لا رحمة . لا رحمة . انا لم أعرف الا العدل . بالعدل أدان .
انا لم أعرف الا الحق . بالحق أدان . بالناموس . بالشرعة
الأولى . . لأنى مشيت . . كروح هائجة ملعونة . . لا .
كالاغصان . فى القصور . . بلا رحمة ، على الرمال ، بين الناس ، فى
الاكواخ ، فى القصور . . بلا رحمة ، بلا خشوع . انا كسرت
العهد (يتفحص الخاتم على بنصره الأسير) العهد ؟ انا
كسرت العهد . . غفرانك يا مريم ، دعونى أموت . بلا رحمة
بلا خشوع ، (كأنه يبتهل) عذبنى يا الهى ! فى قاع الجحيم

حتى انظهر ، حتى تظهر علامتى . نعم . سانتظر .. حتى
تظهر علامتى . علامتى ؟ نعم .. سانتظر حتى تأتى مارتا
(يتسم) كالملاك الأزرق .. وتطفئ بأنفاسها العاطرة نيران
الحجيم . (يشير الى الأبراج المنقوشة على السقف)
انظروا ! هذا هو .. برج الجدى .. سأقيم فيه حتى تأتى
مارتا وتعود بى .. الى برج العذراء .. الذى خرجت منه
هيا يا فتى . قلت عجل ، وبعد أن امضى ، قولوا : كان أميرا ..
نسبه حائر بين الارض والسماء .. تريدون امارتى؟ (يصرخ)
امارتى .. لعنتى على دقيانوس !

شبيو : هكذا يريد . بصره ثابت فى السماء .

آخيل (آسفا) : نعم ، نعم . يخلق بين الأبراج .

شبيو (مخاطبا ياوره) : هيا عجل . (ينطلق الياور من الباب
الأيمن)

ابانوفر (مبتسما) : اتحسب انى أهلى يا آخيل ؟

آخيل : الخاطيء لا يحاسب الخاطيء .

ابانوفر (هازئا) : انا اعرف دقيانوس . اتعرف لماذا يساوم فى هذه
اللحظة الحرجة ؟ هو لا يساوم لأنه ضعيف ، هو يساوم ،
لأنه قوى . لأنه يعتقد أن الاسكندرية ستسلم فى اربع
وعشرين ساعة اذا قطع عنها المياه . هو يخشى أن نذبح
فاوستينا قبل أن نسلم . هو يخشى أن يدخل الاسكندرية
على جواد ابيض فلا يجد ابانوفر . يخشى أن اختفى ، أن
أقلت من يده . دقيانوس لن يغمض له جفن حتى يفتك
بالراهب اللعين . هو يتخيل أن ابانوفر يمشى فى الحقول ..
يدخل الاكواخ .. يجوس بين الجند .. يؤلب المصريين على
الرومان . هو يعتقد انه لا راحة لروما مادمت حيا . ولكنه

واهم (تضيق أنفاسه ويفك أزرار جيبه) .. ماء .. ماء
اعطوني ماء . واهم . واهم . (بصوت خفيض عميق) أنا
أديت الرسالة . اليوم كل مصرى أبانوفر (بصوت جهير من
نبرة الأنبياء) سيأتى بعدى من هو أقوى منى ..

فيلامون (كمن فى رؤيا) : صوت صارخ فى البرية .

أبانوفر (وهو يحملني فى الفضاء) : سيأتى بعدى من هو أقوى
منى (يمشى كالتائم) المجد لك يا فرعون .

أييب : يا ملك الأرضين .

هاتور : الاسكندرية تاجك .

تفيدة : مصر عرشك .

فيلامون : الدنيا موطىء قدميك .

أبانوفر (يضحك ساخرا) : الأحق . الأحق . لا يعرف ماذا
يأخذ وماذا يعطى .! أبانوفر جثة هامدة .. أما مارتا فهي
روح الوادى . أنفاس الحياة . السماء الزرقاء . خضرة
الحقول . هى الطمى المقدس . بذلت جسدها لتعطى
المساكين ، لتطعم الجياع ، لتشفى المرضى ، لتحيا الموتى ،
هى القربان المقدس ، والقربان لا يقدم مرتين . هل فهمتم
الآن لماذا يجب أن تحيا ؟ هى الملاك الحارس ، من المعبد ، من
الدير ، من مغانى السمار ، من كل مكان .. تنشر جناحيها
على الوادى الأمين . سبحى يا هاتور . أنت أرضعتها .
كيف ترتلون فى معبد إيزيس ؟

هاتور (تغنى أغنية أشبه بالرقصة رغم ما فيها من وقار بينما
تفيدة تدق على الأوتار) :

غمغم النيل	خد سمراء ،	بنت هاتور
ذو الأراغيل :	كف حناء ،	ربة النور ،
آه ياليل !	تفر لمياء ،	ملعب الحور ،
عاشق يزفر !	خمره كوتر !	ثوبها أخضر !

(يدخل آريوس من الباب الأيمن في اضطراب شديد
صائحا)

آريوس : الفتنة ! الخراب ! الفتنة ! الخراب !

آخيل : ماذا جرى ؟

آريوس : قتلوا أفريكان • قتلوا ديوجين وبومبيان • الجنود ذبحوا
كل القواد الرومان الا سويروس • يطالبون برأس آخيل
فريسكا زاحف على القصر • دامن الأرمتى في الطريق •
تركوا مواقعهم • الجيش يصيح : آخيل الخائن ، الرومان
الخونة ، سلمونا لروما •

آباتوفر : هل وصل دقيانوس ؟

آريوس : نعم ، جنوده في نوكراتيس وأبو قير • لما انسحب
المصريون من نوكراتيس وأبو قير التقى دامن وفريسكا في
معسكر قيصر • فلما عاد كل الى موقعه وجدوا أن جنود
دقيانوس قد احتلت المواقع وردمت كل القنوات عندمداخل
المدينة بسرعة البرق بالتراب : بالاحجار • بكل شيء •
فثارت ثائرة الجنود وانقضوا على القواد ، أعلن فريسكا
أن الخيانة جاءت من القصر الملكي • رأيت بنفسى دامون
الأرمتى ينقض على بومبيان ويقر بطنه • نادى المنادون
في الشوارع : انقطعت المياه عن المدينة وساد الدرع في كل
مكان •

آخيل (يخرق في ياس) : انن انتهى نثر شيء .

ابانوفر : وكيف نجا سويروس ؟

آديوس : سويروس لم ينج . سويروس صرخ في رجاله قائلا :
يا ليون ، مصر ! دم دقيانوس لا دم آخيل ! البعوني . وانطلق
اسام الصفوف بفرسه الشهباء رافعا درعه الثقيل واخذ
يركض كالمجنون فتبعته الجنود بين راكب وراسل كأنهم
الذئب المسعور ، واجتاحوا ابواب نوكراتيس والقوا بأنفسهم
من فوق الاسوار . وثار غبار معركة رهيبه . ولما انجلي
الغبار ظهر سويروس صريعا بين جثث لا تعد ولا تحصى .
وخيم علي المكان صمت حزين . ولكن علم الرومان رفرق
وحده وسط الميدان .

ابانوفر : الويل لك يا آخيل ! وقعت بين المسربين والرومان !

مانيتون : اهرب يا آخيل .

آخيل : لا ، لا .

ابانوفر : خذ عباةي يا سيدي .

أييب : اركب جوادي يا سيدي .

آخيل (في عزة) : لا . لا . انا خدمت مصر بأمانة (يصعد درجات
العرش ويجلس في هدوء) آخيل لا يهرب (مخاطبا شيبو
في حنان) : اسمع يا بني . في روما يقولون عنى انى خائن .
ولكن دومتيوس دومتيان خدم روما بأمانة ، حتى حكمها
العبد اللماسي . ألم تسمع أباك يقول ذلك !

شيبو (تغلبه عواطفه) : نعم يا دومتيان

آخيل : لا تقل دومتيان ، انا هنا آخيل الاسكندري . لم اعد من
روما منذ ارتقى العبد اللماسي عرش رومولوس ورفع حسام

انياس . لقد اخطات كثيرا ، ولكنى خدمت مصر بأمانة .
تكلم يا ابانوفر .

ابانوفر : نعم . اكتب يا مانيتون .. آخيل الاسكندري خدم مصر
بأمانة . من أجل هذا تغفر مصر أخطاءه ولا تذكر إلا
أمانته .

(تسمع جلبة بعيدة ومعها نغير بعيد) .

مانيتون : انهم قادمون .

ابانوفر : يا الهى ! حتى ابانوفر لا يستطيع انقاذ آخيل .. حصنوا
الأبواب .. حصن الباب يا فيلامون (فيلامون يسرع الى
الباب الأيمن) اجمع الحراس ياأيب (أيب يسرع الى
الباب الأيسر)

آخيل : لا ، لا ، فليتم كل شيء فى هدوء . فليأت المصريون . فليأت
الرومان ، السابق يأخذ آخيل (ينهض) يا شبيو !

شبيو : نعم يا سيدى .

آخيل : قل .. من جدى الأعلى ؟

شبيو : بروتوس النبيل .

آخيل (ينزل درجات العرش) : من شابه جده فما ظلم . ياسيدى
الراهب الشاب .

أريوس : مولاي !

آخيل : نسيت اسمك . ماذا يسمونك ؟

أريوس : أريوس يا مولاي

آخيل : الديك سر الاعتراف ؟

آريوس : نعم يا مولاي .

آخيل : هيا بنا نعرف ، الانسان .. يجب أن يكون دائما مستعدا !
(يخرج مع آريوس من الباب الأيسر)

هاتور : مولاي بحاجة الى ..

مانيتون : امضى اليه يا هاتور . رأيت في عينيه وميضاً غريباً .

تفيدة : مولاي عودنى أن أحمل أزاره ..

أبانوفر : لا ، دعوه وحده ، لا ترعجوه . انه يحب أن يختلى بربه .
انشدى يا تفيدة شيئاً سعيداً . شيئاً مما يقال في زفاف
الملك . ما أسعدك يا أبانوفر ! اليوم تزف بعد طول انتظار .

تفيدة (تنشد لحناً حزينا مثل عديد الندابات وأناملها تعبت
بالقيثارة) :

نصبوا الخوان وتخت العرس يا ملكي ،

فرشوا الطريق الى المعراج والفلك !

فاصعد الى كنف الأملاك ياملكي :

في الأربعين زفاف النور والحلك !

أبانوفر : كفى . كفى . لم هذه الكآبة ؟ أهكذا تحيون هذا الرومانى
الجميل (يشير الى شبيو)

(يدخل آريوس من الباب الأيسر شاحب الوجه ويقول
بصوت هادئ رهيب)

آريوس : مولاي آخيل بعد أن أتم واجباته الدينية .. عبر الى
شاطئ الأبدية .. سقط على سيفه كعادة الرومان . كان
آخر ما قاله : الوداع يا فاوستينا !

دامون : ماذا جرى ؟

حسبك ؟

هاتور (تولول) : واملكاه !

شبيو : الوداع يا دومتيان ! ستجرى مأساتك على كل لسان .

مانيتون : الوداع يا مولاي ! ستكون لك صفحة في كل كتاب .

تفيتة (تولول) : واملكاه !

(يدخل دامون وفريسكا من الباب الأيمن) **الآن هدى**

فريسكا : أين آخيل ؟

أبانوفر : مولاك آخيل طلب الحرية .. من سجن الجسد . امضى

اليه يا هاتور . انه بحاجة اليك .. الآن .. امضى! اليه

يا تفيتة .. امضى اليه يا مارينا .. يا اهي ! عندما نموت ..

ما احوجنا الى النساء ! كأنما نولد من جديد .. احمלוه

كما يحمل الملوك .. لغوه في علم البلاد . لا تنسوا ان تلبسوه

تاج مينا . كم تمناه في حياته ! فليلبسه الآن في مماته ، يأمر

أبانوفر ، بأمر الشعب .

(تخرج النسوة من الباب الأيسر في نشيج مسموع ، ويسمع

نغير وداع قصير من الخارج ، ويطأطأ كل القواد رءوسهم

وسلاحهم تحية الوداع)

دامون (يحيى بالسلاح) : وهذه تحية الجيش .

فريسكا (يحيى بالسلاح) : وهذه تحية الفرسان .

أبانوفر (كأنه لا يسمع) : وحين تكتب يا مانيتون ، لا تنس أن

تقول : .. وكان سويروس رومانيا عنيدا ، لكنه مات من

أجلنا شهيدا ، أقيموا له بين أطلال البطالسة عمودا من أنفـس

الرخام ليعيش اسمه ما عاشت الاسكندرية . ولتخرج

عذارى البحر ، فى مثل هذا اليوم من كل عام ، وليضعن على
شاهده غار الابطال وينثرن الرياحين . (مخاطبا شبيو)
ابها الفتى النبيل .

شبيو : نعم يا سيدى .

أبانوفر : آن لنا أن نمضى ، لقد طال الانتظار .

شبيو (مشيرا الى الباب الأيمن) : انها قادمة يا سيدى .
(يدخل الياور الرومانى ومعه مارتا شاحبة الوجه ، تتجلى
عليها الام عميقة . وتسرع نحو أبانوفر وتتعلق بيسده .
اصوات : « مارتا ..! مارتا »

أبانوفر (فى ألم بالغ ورقة بالغة) : يا بنيتى .

مارتا (ترفع وجهها اليه) : ياركنى يا ابتاه .

أبانوفر (يمسح شعرها) : نعم . نعم .. مباركة أنت فى النساء
(يشيح بوجهه) أنا أهذى .. ماذا أقول ؟ لقد ضاع منى
سر الراهب .. عفوك يا مريم .. ماذا فعلوا بك يا بنيتى ؟

مارتا : كروا جسدى بأسياخ الحديد (شهقات ألم هنا وهناك)

أبانوفر : حسنا فعلوا .. اذن لن تزورك الابالسة ، يا الهى ! فظيعة!
فظيعة ! انها تزورنى كل ليلة (يأخذ بيدها فتنهض) انهضى
يا مارتا .

مارتا (تبسم) : ولكنى كنت قوية .. لانى احمل وديعتك .

أبانوفر : نعم . نعم . أعرف ذلك .. احرصى عليها .

مارتا : كما تحرص الأرض العطشى على بذرة الحياة .

أبانوفر (وكأنه يكلم نفسه) : ولماذا لا تحرص عليها ؟ لقد دفعت
الثلث . خنت العهد ودفعت الثلث (بلهجة شيطانية)
انتزعتها من يد القضاء .

مارتا : ماذا تقول ؟

أبانوفر : ثم اقل شيئاً . نعم ، قلت : صلى من أجلى كثيراً .

مارتا (فى وداعة) هل ادخل الدير يا ابتاه ؟

أبانوفر : نعم . نعم . .

مارتا : فى احضان المسيح ؟

أبانوفر : نعم ، فى احضان المسيح .

مارتا : لن يغار قسطنطين

أبانوفر : لا . لن يغار قسطنطين .

مارتا : متى يعود ؟

أبانوفر لا ادرى . ولكن حين يعود سيفرح قلبه .

شبيو : هيا يا أبانوفر .

أبانوفر : نعم ، نعم . انا ماضى يا مارتا .

مارتا : الى أين يا ابتاه ؟

أبانوفر : الى الرفيق الأعلى ..

مارتا (تحملق وكأنها لا تفهم) : هناك المروج خضراء .

أبانوفر : بعد حين ... بعد حين .

فيلامون : هو افتداك يا مارتا .

مارتا (دون ان تفهم شيئاً) : هناك السوسن أبيض .

أبانوفر : لا ، لا ، هى التى افتدتنى من أجل هذا قدسها الله ..

كل من تحمل وديعة تفتدى رجلاً . مارتا ! (يخلع الخاتم

من بنصره الأسر ويتأمله جيدا) هذا الخاتم .. كان لها
.. لسيدة القصر الأزرق .. لسيدة الفيروز . انظري
الى الفيروز ! كم هو جميل ! هو الآن لك . خذيه (مارتا
تأخذ الخاتم وتضمه الى قلبها) هل قرأت النقش ؟ اقرئي
النقش قبل أن تلبسيه . فيه رقية من أيام مينا . يقولون
فيه لعنة ، لا تصدق ما يقولون (مارتا تلبس الخاتم بعد
أن تتفحصه . ابانوفر كأنه يأمر) : يا فيلامون ! بعد أن
أمضى . خذ القديسة مارتا المصرية الى دير العذارى ..
دير دميانة (يقبل مارتا على جبينها) .

فيلامون : نعم ، نعم (ينفك سيفه من خصره ويسلمه لأيب) هذا
لا عمل له الآن .. بعد هذا .. هل انطلق الى الدير
الكبير ؟

أبانوفر : نعم . انطلق .. فى أمان الله .

فيلامون : الوداع يا أبانوفر .

(يخرج فيلامون تتبعه مارتا فى هدوء من الباب الأيمن)

شيبو : هيا بنا يا أبانوفر .. دقيانوس لا يحب الانتظار .

أبانوفر : لحظة واحدة يا بنى .

شيبو : هل بقى شيء ؟

أبانوفر : كلمة وداع ..

(يمشى أبانوفر وهو يحملق فى السقف المنقوش . يلسغ
العمود الضخم المنقوش فى يمين القاعة ويتحسسه . يسير
الى العمود المقابل فى أيمن القاعة من الداخل ويتحسسه) .

أبانوفر : ما أجمل هذه النقوش ! يا مانيتون ! كيف تروى الألوان
الناصرة الأمجاد الذابلة ؟ ولكن هذا سرنا . وهو يحير الألباب

(ينظر الى العمودين باسطا ذراعيه بينهما) ليت لى قوة
شمسون فاهدم القصر على وعلى أعدائى . (يهدأ قليلا)
عندما امضى ، لا بكاء ، لا دموع ، لا زهور على قبرى . القوا
بجثمانى فى مغارة جرداء لا يعرف أحد مكانها ولم تحوم
فوقها نسور . قل ، ايها الفتى النبيل : دقيانوس .. هل
سيأخذنى الى روما ؟

شبيو : اعتقد ذلك .

أبانوفر : ويجرنى فى عجلته الحرية ؟

شبيو : نعم ، كالعادة .. فى موكب النصر

أبانوفر : ويسلى رعاى روما ؟

شبيو : نعم .

أبانوفر : اذن سنفسد على جلالته متعته .

(يخرج من صدره سما ويتناوله بسرعة ثم يعود الى وسط
القاعة وهو يبتسم . الجميع فى ارتياح . ترتفع أصوات :
أبانوفر ! أبانوفر !)

أبانوفر : أنا مستعد (شبيو يتراجع) يا الهى ! الففران ! (يتعذب
من السم) يا الهى ! ما أقطع العذاب ! (يسقط على الأرض
وفمه يرغى ويزبد) قل لمولاك .. سعيه هباء .. لن يدرك
الشمس .. الليل ثقيل .. الليل ثقيل .. النور .. النور
اين النور ، مارتا ، ازيحي الأستار (يموت)

أبيب : الوداع يا أبانوفر .

دامون : انتصر على دقيانوس .

فريسكا : عاش مصرىا ومات مصرىا .

دامون : لا يعرف أحد سر الراهب ، ولماذا مات ..

فريسكا : هذا أمر بينه وبين ربه .

مانيتون : يقولون .. البطريك رمى عليه اللعنة ..

دامون : أمر بينه وبين مارتا .

أييب : لا . هو أعطى الجسد لنسترد الروح . ليبقى الحب على وجه الأرض ، لتمشى الرحمة بين الناس . مارتا عرفت ما لم يعرفه الراهب .

شيبو : لو كان بينكم عشرة من هذا الزاهب العجيب لما وجد الرومان بينكم مكانا .

(تدخل محفة حولها ستة من الحراس)

مانيتون : القوا عليه عباءته . احمלוه في بساطة الرهبان . لا

تقيموا له ضريحا من المرمر الأسود ، ولكن ادفنوه بين الرمال الكثيرة في مغارة جرداء لم يطاها أنس ولا جان . من الصحراء جاء وإلى الصحراء يعود . فان كانت لديكم بقية من سر الآباء فحنطوه .. اقرعوا عليه التعاويذ .. لتحفظ سره الصحراء ، عاش بالثالوث ، ولكن انقشوا على تابوته صلوات القدماء ، فلقد كان روحا من ذلك النفس الجبار الذي مشى في القديم بين أعمدة الكرنك وأحراش النخيل . ولتصلى عليه الآلهة أجمعين .

(يحمل الحراس المحفة ويمشون في بط مهيب خارجين من الباب الأيسر وهم ينشدون)

كوراس الحراس (بتنغميم سريع اقرب الى التلاوة منه الى الفناء) :

مات الفادى ، مات الفادى
صلى يا آلهة الوادى
على من كان النجم الهادى
ملك الشعب ، عماد الوادى
سر الراهب ذى الأمجاد
من الآباء ، من الأجداد
وفى الأبناء ، وفى الأحفاد .
مات الفادى ، مات الفادى
صلى يا آلهة الوادى
على من كان النجم الهادى

(يتلاشى الصوت تدريجيا .. يرى من وراء النافذة اليسرى
لهيب عظيم بعيد)

مانيتون (مشيرا الى النافذة) : انظروا ! مكتبة الاسكندرية
تحترق ! الرومان دخلوا الميناء !

أييب : لا تجزع على كتبك يامانيتون . كم احترقت قبل الآن وكم
ستحترق ! هكذا تسخر الآلهة ، كل غاز يضرم فيها النار
لتذكر الدنيا اننا عقل العالم وضميره ، ومادام فى مصر حى
يفكر ، فليحرقوا وليحرقوا ، فلن نتمب من البناء .

شبيو : من منكم يسلم المدينة .

مانيتون : دامون الأرمنى يسلم المدينة .

دامون : لا . أنا ماض برجالى تحت جناح الظلام ، ومن طيبة
الزهراء نستأنف القتال .

فريسكا : وأنا أيضا ماض برجالى الى صعيد البلاد . قفط
العصماء بحاجة الى رجال . وانت يا أييب : ادرك أبو صير
قبل أن يدركها الطوفان .

أريوس : أما انا فباق فى الاسكندرية . هنا امشى مستخفيا عن
العيون ، اطرّق كل باب لأجفف الدموع وأبشر بالأمل الجديد

مانيتون : انا شيخ فان . متعب . متعب . أريد أن أستريح .
سأمضى الى قرىتى الهادئة على شط تانىس حيث أجلس
النهار الطويل واصطاد فى نهر الذكريات ، الى أن يأذن توت
والتاسوع العظيم ، فأعود الى نافورة الضياء .

أييب : لا يسلم المدينة الا مانيتون .

شينو : نعم ، لا يسلم القصر الا هذا الشيخ الفانى، تاهب يامانيتون
لاستقبال الوالى الجديد . هكذا حكمت عليك الآلهة ، أن
تكون خادم كل حاكم جديد ، لتلطف بحكمة السنين حمية
الرومان ، وتقى بلادك القديمة من طيش الأمم اليافعة ،
وتدون فى صحائف البردى كل ما تراه مصر من أيام سعيدة
وأيام حزينة . تجلد . لن يكون الأمر هينا . فعندما يصبح
الصباح ، بأمر دقيانوس ، سترى مصر أهوالا شدادا ، لم
ترها عين ولم تسمع بها أذن . ستجرى دماؤكم أنهارا ،
وتنهب أموالكم . ستحرق معابدكم ، وتدنس نساؤكم ،
ويذبح صبيبتكم ، وتحرم عليكم عبادة أربابكم . ستلقون فى
جوب الأسود، وتقلون فى الزيت المغلى لتتكروا اسم مصر ،
فينكر بعضكم ويصمد الآكثرون ، حتى ينجلي هذا البلاء
الفظيع . فلتكن أنت يا مانيتون أبا لهذا الشعب اليتيم فى هذه
الليلة الحالكة ، ولتكن ربانه فى هذه الأنواء .

{ سستار }

نبذة تاريخية

تتناول هذه المرحية التاريخية الثورة الاستقلالية التي نشبت في الاسكندرية عام ٢٩٦ ميلادية ، بزعامة الوالى الرومانى لوشىوس دوميتيوس دومتيانوس، الذى لقبه الاسكندريون بأخيل .

ولم تكن ثورة أخيل هذه أول ثورة قام بها المصريون عامة وأهل الاسكندرية خاصة ، للتخلص من حكم الرومان . فمئذ أن فتح يوليوس قيصر مصر عام ٤٠ ق.م ، حتى فتحها العرب في ٦٤٠ ميلادية ، والقلقل كانت تسود البلاد ، ولكن هذه القلاقل كانت تتفاوت عنفا ومدى وتراوح بين الثورات المنظمة وحوادث الشعب المتقطعة . وقد بلغ المد الثورى أشده في النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى ، حتى لقد سجل التاريخ أربع ثورات كبرى نشبت في مدى لا يتجاوز كثيرا ربع قرن بين ٢٦١ ميلادية و٢٩٦ ميلادية . وهى ثورة الوالى الرومانى اميليان ، وثورة تيماجين المصرى ، وثورة فرموس اليونانى ، وثورة دوميتيوس دومتيانوس الرومانى . وفى كل مرة كانت الثورة تبدأ باعلان استقلال مصر وتتويج قائد الثورة امبراطورا على الاسكندرية ، ثم تنتهى بعودة الرومان وسحق الحركة الوطنية وبالمذابح الرهيبة وباشاعة الخراب في كل مكان . وكانت آخر هذه الثورات الثلاث أوسعها نطاقا وأشدّها نجاحا ولكنها أيضا أفضت الى مذابح وأهوال لم

بشهد التاريخ مثيلا لها ، حتى جعلت المصريين يبدعون تاريخهم القومى بالسنة الأولى من « عصر الشهداء » .

أما الثورة الأولى ، فيقال فيها ان أهالى الاسكندرية أرغموا اميليانوس ، والى الرومانى فيها ، على اعلان استقلال البلاد وتوجه امبراطورا على الاسكندرية . وقد حكم اميليان البلاد بضعة شهور حكم الاقوياء ، وحصن طيبة ، ورد القبائل المتبربرة التى كانت يومئذ تغير على مصر من الجنوب ، وأعد حملة يظن انها كانت لمطاردة جيش اكسوم ، وهو من الأحباش ، ولكن القائد الرومانى ثيودوت وصل الى الاسكندرية ليسترد مصر ويعيدها الى حظيرة الامبراطورية الرومانية التى كان يجلس على عرشها جاليينوس . واقتسم الفريقان المدينة ، ونشبت بينهما حرب إبادة اهلكت كل ما كان بينهما وانتهت بانتصار ثيودوت الذى أسر اميليان وارسله الى روما ليلقى قصاصه ، وتكل بالاسكندرية تنكيلا فظيما ، فتركها خرائب وشاع فيها الوباء ، وقد بلغ من فداحة الخسائر فى الأرواح ان المؤرخين ذكروا ان عدد السكان الذين كانت أعمارهم تتراوح بين ١٤ سنة و ٨٠ سنة بلغ عدد السكان الذين كانت أعمارهم تتراوح بين ٤٠ سنة و ٧٠ سنة فيما سبق ذلك من أجيال ، أى باحصاء المؤرخين هبط تعداد المدينة الى الثلث . ومن المؤرخين من يشك فى أن اميليان قبل لقب الامبراطور مستدلين على ذلك بأنه لم يسك العملة باسمه وبأنه لا توجد وثائق مؤرخة بتوليهِ العرش .

وأما الثورة الثانية فكانت فى ٢٦٩ ميلادية فى عهد الامبراطور كلوديوس القوطى (٢٦٨ - ٢٧٠ ميلادية) ، وقد ساعد على قيامها اشتداد ساعد زنوبيا ملكة تدمر ، وهى أرملة أذينة الذى سلمه جاليينوس امبراطور روما زمام القيادة فى ولايات المشرق ، ولا يعرف ان كانت مصر قد دخلت فى نطاقه ام لا ، فليس فى الوثائق الخاصة بمصر أى ذكر لأذينة . ولكن فى السنة التالية

لتولى كلوديوس القوطى عرش الامبراطورية ثار زعيم مصرى اسمه تيماجين على روما واستنجد بجيش تدمر . وقد استجابت زنوبيا لدعوته فأرسلت اليه قائدها زبدا على رأس ٧٠.٠٠٠ مقاتل . واستبسل الرومان فى المقاومة ولكن زبدا هزمهم أول الامر . فلما انسحب جيش تدمر الأكبر ولم يترك الا حامية قوامها نحو ١٠.٠٠٠ مقاتل طردهم القائد الرومانى بروبوس ، فعاد زبدا وتيماجين ، ولكن بروبوس انتصر عليهما ، وأراد أن يقطع سبيل اتصالهما بسوريا فاحتل موقعا بالقرب من بابلين ، ولكن تيماجين وجنود تدمر هزموا الجيش الرومانى فانتحر القائد بروبوس . على أن زنوبيا رغم سيطرتها على الموقف فى مصر استمرت فى الاعتراف بسيادة كلوديوس امبراطور روما ، فكانت كل الوثائق الرسمية تصدر باسم كلوديوس القوطى . ويقول ميلان أن موقف زنوبيا فى مصر غامض ، اذ لا يجد دليلا على ان القائد بروبوس كان يمثل سلطة الامبراطور الرومانى أكثر مما كان يمثلها زبدا نفسه بوصفه مبعوثا للملكة زنوبيا ، وهو لهذا يرجح أن التحركات الأولى لجيوش تدمر فى هذا الصراع لم يكن يقصد بها تحدى روما . فلما تولى الامبراطور أوريليان عرش روما (٢٧٠ - ٢٧٥ ميلادية) اعترف بوهب اللات بن زنوبيا شريكا له فى حكم المشرق . وسكت العملة فى الاسكندرية وجهها بحمل صورة أوريليان وظهرها بحمل صورة وهب اللات ، ودام ذلك سنين ، ولكن وهب اللات لم يلبث أن أعلن استقلاله عن روما ومضى يسك العملة بصورته وصورة زنوبيا ، فنشبت من جراء ذلك الحرب بين روما وتدمر . واسترد الرومان الاسكندرية بعد أشهر قليلة ، وسكوا العملة بصورة أوريليان وحده . أما الامبراطور أوريليان فصار بنفسه الى تدمر تاركا امر اخضاع مصر لقائده بروبوس الذى تقلب على ما فيها من مقاومة محدودة . ويرجح ميلان أن تدمر كانت قد سحبت جيشها لتحمى نفسها من هجوم أوريليان تاركة المصريين لمصيرهم .

وفي عهد أوريليان (٢٧٠ - ٢٧٥ ميلادية) نشبت الثورة المصرية الثالثة عام ٢٧٢ ، فبعد أن استولى أوريليان على تدمر وأسر ملكتها العظيمة زنوبيا ، عاد بها الى روما ليعرضها على رعايا الرومان . ولا يفهم كيف قبلت هذه الملكة العظيمة ذل الأسر ورضيت بأوضاع في روما تتناقى مع واجب الملوك وعظمة الأبطال ، فلم تهرب من عار الأسر ، كما هربت كليوبترا العظيمة . وعلى كل فبعد عودة أوريليان الى روما ثارت تدمر ثم ثارت الاسكندرية بقيادة فرموس ، وهو يونانى من كبار التجار في الاسكندرية . ويبدو أن فرموس مهد لثورته بالاتفاق مع قبائل البليمي في النوبة ومع التدمريين في سوريا ، ولم يزحف أوريليان على مصر الا بعد أن أخضع تدمر ، وعندئذ زحف على الاسكندرية وهزم فرموس وحصر الثوار في حى بروكيون وأجبرهم على التسليم ودمر ذلك الحى عن آخره تقريبا ، كما دمر أسوار المدينة في تلك المعارك المريعة . وعاد أوريليان الى روما تاركا مصر تحت امرة يروبووس الذى تولى اخضاع قبائل البليمي بعد أن عجزت عن شغل الرومان بما فيه الكفاية عن الاسكندرية باستيلائها على صعيد مصر من الجنوب حتى قفت . واستطاع يروبووس رد البليمي الى النوبة وما وراءها درجة درجة . وتاريخ هذه الفترات فيه غوامض كثيرة لا سبيل الى اجلائها الا بمزيد من الوثائق المكتشفة ، وربما فيه تناقضات عديدة .

وفي عهد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ ميلادية) نشبت في الاسكندرية رابع ثورة استقلالية ، وهى ثورة القائد الرومانى لوشىوس دوميتيوس دومتيانوس ، أو أخيليوس ، كما كان يسميه الاسكندريون ، في ٢٩٦ ميلادية . وكانت قبائل البليمي قد تجددت هجماتها على الصعيد الأعلى حتى عجزت الحامية الرومانية في أسوان عن صدّهم ، فاهتدى دقلديانوس الى حل جديد لحماية طيبة (الأقصر) من غاراتهم بأن سحب الحامية الرومانية عن حدود مصر الجنوبية الى أسوان ودعا قبائل النوبات

أو النوباد للاستيطان في منطقة النوبة لحمايتها من غارات قبائل
البلمي ، وكانت قبائل النوبات من قبل تتجول في صحراء ليبيا ،
وكذلك وعدهم باعانة سنوية مقابل خدماتهم . وما أن استقرت
الأحوال في الصعيد الأعلى حتى ثارت الاسكندرية في ٢٩٦ ميلادية بقيادة
دومتيوس دومتيانوس الذي أعلنه الاسكندريون امبراطورا على
الاسكندرية وسك العملة بصورته . فخف دقلديانوس من
نيكوميديا ، في آسيا الصغرى ، التي اتخذها عاصمة للإمبراطورية
وحاصر الاسكندرية ثمانية شهور دون أن يفلح في الاستيلاء عليها ،
وأخيرا قطع قنوات المياه العذبة التي كانت تحمل مياه النيل الى
المدينة فاستسلمت الاسكندرية بعد هذه المقاومة الطويلة الباسلة .
وأشاع فيها دقلديانوس الدمار ، فخرّب أكثر أحيائها ، وذبح
من المصريين آلافا لا تعد ولا تحصى حتى سمي المصريون عصره
بعصر الشهداء .

كذلك أشاع الرومان الدمار الشامل الرهيب في بقية مراكز
المقاومة داخل البلاد ولا سيما في فقط العنيدة كما يسميها جييون
وقد كانت على طريق التجارة من البحر الأحمر ، وفي أبو صير
وفي طيبة الزهراء . ويذهب المؤرخون الى أن دقلديانوس بعد أن
قضى على حركة التحرير قضاء نهائيا اهتم بإصلاح أحوال البلاد
من الناحية الاقتصادية لينعشها بعد خراب . وقد أقيم في عهده
عمود بومبي ، المعروف بعمود دقلديانوس ، وهو الذي يسميه
الاسكندريون عمود السوارى ، وهو باق الى اليوم .

وقد قضى دقلديانوس ما بقي من سنوات حكمه في اضطهاد
المسيحيين بمصر ، وكانوا يمثلون أغلبية السكان ، بتلك الوحشية
التي أفاضت في وصفها كتب التاريخ ، واتبع في مصر سياسة من
شأنها تأليه الامبراطور الروماني وتقديم القرابين له كأنه أحد
الآرباب ، ظنا منه أن المصريين لن يروضوا على قبول الامبراطور الا
إذا رفع فوق مصاف البشر ، فقاوم المصريون هذه الخطة مقاومة

عديدة افضت الى استشهاد الآلاف منهم كلما فضوا ما كان يطلبه الضباط الرومان من عبادة الامبراطور، فكانت بقية حكم دقلديانوس في مصر سلسلة دامية من الاضطرابات والاستشهاد ، في كل طبقات المجتمع ، وعلى كل مستوى ، ولكن المسيحيين كانوا في مقدمة المصريين الذين ملأوا البلاد شغباً واحتجاجاً على فكرة تأليه الامبراطور بحجة أن هذا يتعارض مع ديانتهم .

هذه عجالة عن تاريخ الفترة الحرجة التي تقع فيها احداث هذه الأساة مبتقاة من مصادر التاريخ العلمية الاولى ، حتى نحو ١٩٣٦ ، قبلما يمسي خيال الكاتب ، وقد اعتمدت عليها دون حرج قبل أن يبلبل العلم الحديث معارفنا عن هذه الفترة ويعقدها وخلاصتها من الناحية السياسية والاجتماعية أن الصراع بين الوثنية والمسيحية في تلك الفترة لم يكن في حقيقته الا صراعاً بين الامبراطورية الرومانية وعبيد الامبراطورية الرومانية الذين التفوا في جميع امصارها حول الدين الجديد التافهم حول لواء ثوري ينسفون به سلطان روما ، ويرفعونه في وجه الحكومات المركزية في كل حركات التحرير السياسي والاجتماعي . وقد تفشى الدين الجديد بين عبيد روما أنفسهم في قلب الامبراطورية ثم كثر معتقوه والعاطفون عليه من مختلف الطبقات ، حتى لقد روى التاريخ أن بريسكا ، زوجة دقلديانوس ، وبنته فاليريا ، اعتنقتا المسيحية سرا ، وكانت نهائيهما الائمة رمزا لهذا الخطر الجديد الذي أحرق بالامبراطورية . وعندى أن الامبراطور قسطنطين حين أعلن أن المسيحية هي دين الامبراطورية الرسمي بعد سنوات قليلة من هذا الاضطهاد الشامل لا تفسير له من الناحية التاريخية الا أن قسطنطين ، بفرض النظر عن معتقداته الخاصة ، كان يواجه أزمة الامبراطورية الفاصلة ، وكان عليه أن يختار أحد سبيلين لا ثالث لهما : اما مجازاة عبيد الامبراطورية ومسنمعاتها في عقيدتهم للاحتفاظ باطار الامبراطورية ووحدتها ،

أو التثبيت بالقديم وتعريض الامبراطورية للتفسخ النهائي . وقد اختار السبيل الأول بوصفه سياسيا لا بوصفه مسيحيا ، فركب الموجة كما يقولون ، أى ركب التيار الشعبى ، وحال دون تفكك الامبراطورية الأجل ، وقد نجح فى ذلك كل النجاح . أما روايات الكنيسة واساطيرها الجميلة فهى عندى أقرب الى مادة الفن منها الى مادة التاريخ .

وإذا اراد القارئ أن يعرف أهم المصادر المباشرة التى اعتمدت عليها فى جمع المادة التاريخية لهذه المأساة ، فهى أولا كتاب جيبون المشهور فى « تصدع الامبراطورية الرومانية وانهارها » ، ثم كتاب ميلن عن « مصر تحت الحكم الرومانى » ، وكتاب الأستاذ أيدريس بل فى « الديانات والعقائد فى مصر اليونانية الرومانية » ، وكتاب س. دافيز فى « علاقات الأجناس فى مصر القديمة » وكتاب الاستاذ هيلين وادل فى « آباء الصحراء » وكتاب الدكتور عبد اللطيف أحمد على فى « مصر الرومانية فى ضوء أوراق البردى » . ولكنى أوردت أيضا فى هذه النبذة التاريخية أهم وأحدث النظريات العلمية الجديدة فى ثورة آخيل - دومتيوس دومتيانوس حتى تكتمل الصورة المعروفة لدى القارئ أولا ولدى الأديب الفنان الذى قد تغريه نفسه بالتعرض لهذه الفترة التاريخية .

وغير هذه المصادر التاريخية العلمية التى لا محيد عن دراستها للوقوف على أحداث هذه الفترة الخصبة من تاريخ مصر فى العصر اليونانى الرومانى كما يسميه المؤرخون ، أو فى العصر القبطى كما ينبغي أن نسميه نحن ، اعتمدت على كتاب « السنكسار » وهو تاريخ الشهداء المصريين فى تلك الفترة الخطيرة ، وهو كتاب شبه تاريخى اختلطت فيه الحقائق بالأساطير ومعجزات القديسين ، ومن هنا أهميته لكل خلق فنى يتناول تاريخ هذه الفترة ، لانه بمثابة التاريخ الروحى لحركة المقاومة المصرية ضد الحكم الرومانى .

ورغم أن « السنسكار » هو الكتاب المعتمد من الكنيسة المصرية في سير شهداء المسيحية في مصر ، إلا أن الاعتماد عليه أكثر مما ينبغي يضل الباحث في عصر الشهداء ويرسم له صورة جزئية عن حياة المصريين في ذلك العصر . فقد أظهرت دراسات البردى في السنوات الأخيرة أن الشهداء المصريين لم يكونوا من المسيحيين وحدهم بل كانوا من الوثنيين كذلك . وهناك قائمة طويلة من التبرديات التي تسمى اليوم بـ « أعمال الشهداء الوثنيين » ، من باب المقابلة لأعمال الشهداء المسيحيين ، تجد بحثا منها ممتعا في كتاب الدكتور عبد اللطيف أحمد على عن « مصر الرومانية » ، ومن ثم فقد وجب الرجوع إليها ، في كل دراسة لهذا العصر ، إلى المصادر التاريخية العلمية إلى جانب المصادر الكنسية ، التاريخية وشبه التاريخية ، ثم المصادر الأدبية والفنية كرواية « تاييس » لاناتول فرانس ورواية « هيباتيا » لتشارلز كنجزلي ، وعمامة الأعمال التي تصور « جو » تلك الفترة الخصبة في تاريخنا وفي تاريخ الإنسانية بوجه عام .

فالصورة العامة التي نستخلصها من دراسة التواريخ العلمية والتواريخ الكنسية معا إذن هي أن ما يسمى بـ « عصر الشهداء » في مصر كان قمة حركة المقاومة الشعبية والرسمية ضد الرومان في القرون الأولى للميلاد ، وأن المصريين على اختلاف مللهم ودياناتهم ، الوثنيين منهم والمسيحيين ، كانوا يشاركون في الكفاح الوطني ، ويقدمون للحركة الاستقلالية ضريبة الدم ، وأن كان المسيحيون في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانية أكثر المجاهدين ضراوة ، وأكثرهم تعصبا ، وأكثرهم شغبا وتحديا لسلطان روما بسبب تفتى المسيحية بين الفوغاء أكثر من سواهم ، وبين الطبقات الشعبية البعيدة عن ترف العلوم والآداب والفكر الفلسفي بوجه خاص .

وقد تعرض توفيق الحكيم في « أهل الكهف » لعصر الشهداء هذا ، عصر دقلديانوس ، أو دقيانوس ، كما أتر أن يسميه للتيسير على نهج بعض المؤرخين العرب ، وقد اقتفيت أثره في هذا التيسير . وقارئ « أهل الكهف » بعد أن يفرغ من قراءتها لا يستطيع تكوين أية فكرة واضحة عن عصر الشهداء ، فالجو العام في « أهل الكهف » يمكن أن يكون في اليونان القديمة أو في عصر دقيانوس أو في مصر القديمة أو في العصور الوسطى الأوربية أو في الأندلس ، إذا نسينا بعض الدلالات السطحية كأسماء الأبطال أو نوع العملة أو بعض الإشارات التاريخية . وتوفيق الحكيم لا يلام على هذا لأنه عالج مشكلة فلسفية هي مشكلة الزمن على المستوى الذهني الذي لا يتطلب الارتباط بجو معين ولا بشخصيات محددة الملامح .

أما المشكلة التي تعرضت لها فهي تختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فهي مشكلة تاريخية تتطلب دراسة العصر وجوه وأحداثه ، ومشكلة إنسانية تتطلب رسم شخصيات درامية واضحة المعالم . وقد حاولت أن أتوخى الدقة التاريخية لعاملين : أولهما أننا بصدد ثورة محددة يعرف التاريخ عنها الشيء الكثير وبصدد بعض الشخصيات التاريخية التي يعرف عنها التاريخ الشيء الكثير أيضا ، وثانيهما أنني لا أرى أن من حق الفنان أن يعبث بحقائق التاريخ ليخدم غرضه الفني . فإن ضاقت حقائق التاريخ عن غرضه الفني فليخلق لنفسه ولجمهوره ما شاء من أساطير ، وإنما حق الفنان مقصور على التفسير والتأويل سواء في الأحداث أو في السلوك أو في النوازع أو في الفايات أو في تصوير الشخصيات الإنسانية ، كل ذلك في الحدود التي تخدم فنه ولا تشوه التاريخ المعروف ، كما أن من حقه الاستفادة من كل غموض وملء كل فراغ . ومدار عملية الخلق الفني في نظري هي تركيب جزئيات الحياة في كل ذي مغزى إنساني .

ولم أجد بين الشخصيات التاريخية المعروفة ، التى اشتركت فى ثورة أخيل من يمكن ان اخلق منه بطلا من أبطال الكفاح الوطنى رغم خصوبة عصر الشهداء فى الأبطال المكافحين . فدوميتيوس دومتيانوس رومانى ، ولذا كان بناء شخصيته بناء يجعل منه رمز البطولة الوطنية فى مصر الرومانية . وهنا كان انتفاعى المحقق بـ « السنكسار » حيث تتوالى صور الشهداء والشهيدات والقديسين والقديسات فى موكب لا ينتهى من الأبطال الذين جلوا تاريخنا القومى بفار الخالدين .

وقد اخترت من هؤلاء شخصية أبانوفر ، وجعلت منه بطل المأساة ، كما اخترت شخصية مارتا وجعلت منها بطلتها ... اخترت شخصية الشهيد أبانوفر لقلّة ماجاء فى « السنكسار » عنه بما جعلنى أحس بالحرية فى بناء شخصيته ، دون تقييد بواقع تاريخى معين ، فهو - باستثناء اسمه ، وواقعة استشهاد المذكورة فى اجمال - شخصية مبتكرة من الألف الى الياء . أما مارتا فقد جذبنى اليها قصتها الغريبة الحزينة فى « السنكسار » ، الذى يروى عنها أنها كانت بغيا ثم اهتدت الى الله ، فانقطعت للعبادة فى القلوات ، ولا يضيف الى هذا شيئا كثيرا ، وقد جعلنى غموض قصتها وشخصيتها أحس بحرية الحركة والتصور والبناء . وقد سمحت لنفسى أن أنسب « الرؤيا » التى وردت فى كتاب الأستاذة هيلين وادل عن الحمامة السوداء التى تخرج من الماء المقدس بيضاء ناصعة اظهر من الثلوج ، منسوية الى القديسة مريم المصرية ، وهى أيضا بغى مشهورة ، من العصر نفسه ، ت ظهرت بالإيمان .. أقول سمحت لنفسى أن أنسب هذا ، « الرؤيا » الى شخصية مارتا . غير هذا فشخصية الراقصة مارتا مبتكرة من الألف الى الياء . كذلك بقية أشخاص الدراما من مصريين ورومان من بناء الخيال . فمانيتون وأيبب وفيلامون وفيلامينة وهاتور فى الجانب المصرى ، كلهم من صنع الخيال . أما القواد الرومان فآكثرهم شخصيات تاريخية ولكن لا يعرف عنهم اثناء ولايتهم على مصر الا اسمائهم ،

وربما بعض وقائع قليلة . فديوجين كان حائما على الاسكندرية بين ٢٨٤ و ٢٨٦ ميلادية ، كذلك كان بوميبيان حاكما عليها بين ٢٨٧ و ٢٨٩ ميلادية ، وكان روستيكان نائبا للحاكم في ٢٨٩ ميلادية ، وكان افريكانوس محافظا او ما أشبه ذلك في ٢٨٨ ميلادية . فكلهم تاريخيا من الرومان ذوى الخبرة في الشؤون المصرية ، وان كانوا قد تولوا مناصبهم الرسمية قبيل ثورة الاسكندرية في ٢٩٦ ميلادية بأعوام قليلة في عهد دقلديانوس .

وقد وجدت من حقي كمنشئ أن استعين بهم كشخصيات رومانية عاملة في ثورة مصر . أما الضابط ارمانوس والاميرال ماركوس سكستوس والقائد سويروس فهم من نسج الخيال ، وكذلك شخصية فاوستينا زوجة الوالى أخيل من نسج الخيال . وقد ادخلت شخصية سويروس بالذات لأن التاريخ يروى لنا أن عمود السوارى في الاسكندرية عمود اقيم تخليدا لذكرى دقلديانوس وانتصاراته ، وهو يسمى عند المؤرخين عمود دقلديانوس لا غيره السوارى . ورغم أن هذا هو العرف التاريخى إلا أنى وجدت من حقى أن استبعده ، لاعتبارين : أولهما اسمه الشائع بين المصريين ، وهو أقرب الى اسم سويروس . وثانيهما أن دقلديانوس صاحب المذابح الرهيبة في الاسكندرية خاصة وفي مصر عامة لو كانت هناك صلة بينه وبين عمود السوارى لحطمه المصريون فيما حطموا من آثار أعدائهم . فكيف يمكن أن يترك المصريون شاهد عارهم ورمز دمارهم قائما بينهم الى اليوم آية في الرونق والجمال ، وصاحبه - الامبراطور دقلديانوس - ملعون على كل لسان ، الى حد جعل المصريين يبدعون تاريخهم بعصر شهدائه ، ويؤرخون السنة القبطية الأولى بتولية الملك في ٢٨٤ ميلادية ؟ وإذا كان هذا جائزا أيام أن كانت للوثنية الغلبة السياسية ، فكيف يكون جائزا بعدما أصبحت المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية في عهد قسطنطين ولما ينقض عشرون عاما على اعتزال دقلديانوس عرش الامبراطورية؟

لهذا وجدت أن من حقى أن افترض أن عمود السوارى لم يتم تخليدا لدقلديانوس ، وإنما أقيم تخليدا لشخصية لها بين المصريين ذكرى طيبة ، وليس بين حكام مصر فى تلك الفترة اسم يقرب من اسم سويروس Severus إلا سروايوس الافريقى Servaeus Africanus الذى كان محافظا فى الاسكندرية أو ما يشبه ذلك فى ٢٨٨ ميلادية ، أى قبل نشوب ثورة أخيل بثمان سنوات .

وأخيرا فإن شخصية شيبو الأصفر شخصية مبتكرة أيضا ، ولكنى توخيت فى بنائها ما عرف عن آل شيبو الخالدين من راحة عقل وحكمة فطرية وإيمان بالفضيلة وخدمة الوطن فى عزة ونبل دون اسفاف. الى المستويات الوحشية التى بلغها الكثيرون من الرومان فى اقامة أركان امبراطوريتهم .

تقول : وماذا بقى من التاريخ بعد كل هذا التصرف والابتكار؟
وأجيب على هذا ببساطة : نعم ، بقى جوهر التاريخ .

فى مجال الشخصيات بقى أخيل ، أو دومتيوس دومتيانوس فى الجانب المصرى ، وبقى دقلديانوس فى الجانب الرومانى ، وهما قطبا الصراع من الناحية الرسمية والعسكرية ، أى هما قطبا الصراع أمام التاريخ .

أما لوشيوس دومتيوس دومتيانوس فقل ما يعرفه عنه المؤرخون ، والمعروف عنه لا يتجاوز كثيرا أنه كان قائدا رومانيا فى الاسكندرية عام ٢٩٦ ، أى عام أن نشبت الثورة ، وأن الاسكندرانيين كانوا - لعله ما - يلقبونه بأخيل ، وأنه ثار على سلطان روما واستقل بالبلاد ، ورضى به الشعب امبراطورا على الاسكندرية ، وأنه سك العملة بصورة وقد بقيت منها نماذج بعضها اليوم فى المتحف البريطانى . فاضطر دقلديانوس الى قيادة الحملة على مصر بنفسه ، وحاصر الاسكندرية ثمانية شهور ، ولم يستطع فتح المدينة الا بعد أن تمكن من قطع القنوات التى كانت تغذيها

بالمياه ، فسلمت الاسكندرية ودخلها دقلديانوس وأشاع فيها الدمار
الرهيب على النحو الذى وصفه جييون فى « تصدع الامبراطورية
الرومانية وانهارها » ، وغير جييون ممن تعرضوا لثورة أخيل .
وقد توخيت الدقة فى كل ما أوردته من وقائع تاريخية خاصة
بثورة دوميتيوس دومتيانوس وبكل ماسلفها من ثورات ، ولاسيما
ثورة أميليان وفرموس ، كما توخيت الدقة فيما ذكرته من مراكز
المقاومة داخل مصر ، سواء اكانت قفط أو أبو صير أو طيبة ،
وتوخيت أن الزم حدود التاريخ فى وصف علاقات المصريين والرومان
بالنوبيين وقبائل البليمي على تخومها الجنوبية .

غير انى أبحث لنفسى أن أجتهد فى بعض التفسيرات ، فذهبت
الى أن دوميتيوس دومتيانوس لم يكن مجرد قائد فى جيش روما
وانما كان الوالى فى الاسكندرية ، سواء بقوة القانون أو بقوة الأمر
الواقع ، نظرا لعدم اهتداء المؤرخين الى اسم الوالى الرومانى الذى
كان يحكم مصر فى ٢٩٦ ميلادية ابان ثورة أخيل ، مما يرجح أن
أمر السلطة فى تلك الفترة لم يكن واضحا ، وأن السلطة الفعلية
كانت فى يد دوميتيوس دومتيانوس . أما معالم شخصية دومتيانوس
أو دوافعه للقيام بهذه الثورة على الامبراطورية الرومانية فالتاريخ
لا يعرف عنها أدنى شئ . وقد أتاح لى هذا الغموض أن أبنى
شخصيته وأن أصور دوافعه بما يتمشى مع فهمى لمشاكل
الامبراطورية الرومانية فى هذه الفترة ، ومع مقتضيات البناء
الدرامى . أما زوجته فاوستينا فهى من خلق الخيال .

كذلك أذنت لنفسى أن أذكر قبائل البليمي على أنها
قبائل أبريم ، فقد كان مركز البليمي فى منطقة أبريل ، ولا نعرف أن
كان البليمي اسما مختلفا عن أبريم ثم درس مع الزمن أم أنه نفس
الاسم محرفا فى حرفه السائل كما يقول علماء اللغة ، وهو تحريف
أشيع ما يكون فى المنطقة . كذلك أبحث لنفسى أن أسمى قبائل
النوبات قبائل النوبيين للسبب عينه ، واستنادا الى جييون .

اما كل ما ورد من تحركات هؤلاء وأولئك فمستمد من وقائع التاريخ .

كذلك لزمتم الدقة التاريخية في سائر الوقائع التي أوردتها عن الامبراطور دقلديانوس ، فيما خلا وصف الطريقة التي استولى بها على الاسكندرية التي لا يروى التاريخ عنها الا انه قطع عنها قنوات المياه بعد ثمانية اشهر من الحصار ، فتفاصيل المعركة الفاصلة في الاسكندرية ليس لها أى سند تاريخى الا فى حدود ما ذكرت ، وقد اكملت التاريخ الناقص بتصورات الخيال . أما تصوير شخصية دقلديانوس فقد توخيت فيها أن أتجنب رأى الكتيبة الرسمى ، وهو انه كان شيطانا مريدا ، وأن أتجنب رأى جييون فى تحليله الممتع لخلقه ، لأن جييون كان سخيا معه اشد السخاء . وقد رجحت أن سخاء جييون مع دقلديانوس كان مرده احتقاره للمصريين بوجه عام وبفضه لتعصب مسيحي الامبراطورية الرومانية بوجه خاص ، وتنديده بميلهم الى الشعب . لهذا رأيت أن أزم الاعتدال فى تصويرى لشخصية دقلديانوس فأبنى شخصيته من مقدمات حياته التي يعرفها التاريخ ، وأن كنت قد استعنت بجييون فى بعض ما ألقيت من أضواء على هذا السفاح العظيم .

وشخصية قسطنطين - كما هو معروف - شخصية تاريخية، وقد توحدت الامبراطورية تحت عرشه بين ٣٢٣ و ٣٣٧ ميلادية . كذلك نسبه الى الامبراطور كونستانس وهيلانة ثابت تاريخيا . ولكن الذى اختلف فيه المؤرخون هو شخصية هيلانة نفسها التي يدعيها كل لامته . فهي عند جييون ، بناء على مصادره طبعا ، بريطانية تزوجها كونستانس أيام أن كان يحكم بريطانيا وفرنسا واسبانيا من القصر الامبراطورى فى يورك ، وهى فى «السكسار» - وهو تاريخ الشهداء المصريين - مصرية عرفها كونستانس حين زار مصر ورآها بمدينة الرها ففتن بجمالها وتقواها ، فتزوج منها وأنجبت له قسطنطين ، وهى تسمى فى «السكسار» : «القديسة

هيلانة المصرية» ، ولها يوم مخصص لها في السنة القبطية تحتفل فيه الكنيسة المصرية بعيدها .

اما قداسة هيلانة فقد اتفقت كل المصادر على انها اول من اكتشف صليب المسيح ، او قطعة منه على الاصح ، اثناء اقامتها ببيت المقدس لتؤدي فريضة الحج . وتجرى في ذلك روايات او اساطير متعددة ، ثم ان هيلانة هي ام قسطنطين ، وهو اول امبراطور روماني اعلن ان الدين المسيحي هو دين الامبراطورية الرسمي ، والمعتقد انها علمت ابنها مبادئ المسيحية سرا وهي تعيش في بلاط وثني ، مما غير مجرى التاريخ جملة . فلا بدع بعد كل هذا الرومانية ، بل مما غير مجرى التاريخ جملة . فلابدع بعد كل هذا ان تتنازع أكثر من أمة منبت هيلانة من باب المباهاة والتبرك . وقد وجدت أن من حقى أن آخذ بالرواية المصرية الواردة في « السنكسار » من دون الرواية الأوربية الواردة في جيون وغيره من المؤرخين .

ومادمت قد افترضت أن هيلانة أم قسطنطين كانت مصرية ، فقد كان من الطبيعي أن أحاول أن أربط بينها وبين مختلف الحركات الاستقلالية التي ظهرت في مصر ولا سيما ثورة آخيل ، فجعلتها المحرك الخفى لهذه الثورة الاستقلالية وهي قابضة في منغها ببيزنطة ، بعد أن طلقها كونستانس بضغط من دقلديانوس كما يروى التاريخ ليزوجه زواجاً سياسياً من بنت مكسيميان ، شريكه في الامبراطورية ، وقد تم هذا الطلاق حين كان الأمير قسطنطين في الثامنة عشرة من عمره أي قبيل ثورة آخيل بسنوات قليلة ، ففي ٢٩٦ ميلادية كان عمر الأمير قسطنطين يتجاوز العشرين بسنوات قليلة . افترضت ان الامبراطورة هيلانة المصرية بدافع الوطنية وبدافع حقوقها وحقوق ولدها الشرعية المفتصة ، آذرت ثورة آخيل سرا لتنصب ابنها امبراطورا على الدولة الرومانية كلها بحيث ينقل حاضرة الملك الى الاسكندرية ، وهو مشروع سياسى ليس فى اسانيد التاريخ ما

يشير اليه : ولكن ظروف هيلانة وقسطنطين توحى بجوئز من حيث الدوافع الانسانية .

وقد ذكرت كل هذه التفاصيل الخاصة بمادة هذه الدراما التاريخية لأبين للقارئ الذى يجهل المصادر أين ينهى التاريخ فيها وأين يبدأ الخيال حتى لا يختلط عليه الأمر فيحسب أن أكثر مايراد من حقائق التاريخ ، فيعتمد عليه اعتمادا على الوقائع العلمية الثابتة .

وبعد ، فما كل هذه الحقائق والأساطير التاريخية الا الاطار او الرحم الدافى الذى وجدته لازما لنمو هذا الكائن العضوى ، وهو المأساة بأبطالها المختلفين الذين يحمل كل منهم مشكلته كما يحمل مصيره الأسيف داخل الاطار الاكبر وهو مشكلة الوطن ومصيره الأسيف .

هذه المعلومات التاريخية التى كانت مستقرة عند العلماء حتى نحو ١٩٣٥ عن ثورة لوشىوس دوميتيوس دوميتيانوس الذى اشتهر بين اهل الاسكندرية باسم آخيليوس أو آخيل ، تجدها فى جيبون وعامة المؤرخين التقليديين ، كما تجدها فى أبحاث العلماء المحدثين من علماء البردى وعلماء النقوش والنقود ، ولاسيما عالم البردى العظيم فيلكن ، وهى المعلومات التقليدية التى بنيت عليها الهيكل التاريخى فى هذه الدراما .

ولكن هذه ليست نهاية القصة . فقد حدثت فى الفترة الأخيرة مفاجأة علمية ضخمة قلبت نظريات المؤرخين رأسا على عقب حين خرج العلامة بوك بنظرية جديدة تقول ان دوميتيوس دوميتيانوس وآخيل شخصان تاريخيان مختلفان لاشخص واحد كما كانت تقول الاسانيد التاريخية منذ القرن الرابع . وظلت المناقشة فى هذا الامر سجالا بين فيلكن ومن ذهبوا مذهبهم وبين بوك ومن ذهبوا مذهبهم حتى أعلن فيلكن اقتناعه أخيرا بنظرية بوك وعدل عن نظريته التقليدية التى

نجا فيها بناء على ما قرأه من نصوص بردية مكتشفة منحى قدماء المؤرخين .

فالمصادر الأدبية القديمة والمصادر التاريخية القديمة مثل «تاريخ» يوسبيوس لا تعرف إلا اسم أخيل على انه القائم بهذه الثورة في الاسكندرية . ثم عثر على بعض النقود التي سككت في الاسكندرية ، ومنها ما وجد في مصر ومنها ما وجد في بلاد الفال (فرنسا القديمة) ، وعثر على بعض البرديات القليلة التي جعلت فيلكن واشياعه يجزمون بان أخيل هو نفس دومتيوس دومتيانوس . فمن نماذج النقود التي عثر عليها العلماء العملة المنشورة صورتها على غلاف هذا الكتاب ، وهي ترجع الى ٢٩٦ ميلادية او نحوها ، وقد نقش على وجهها مع صورة الامبراطور المكلل بالفار عبارة «دومتيانوس سيب» بالحروف اليونانية وهي اختصار «دومتيانوس سيباستوس» ، ونقش على ظهرها حول صورة المرأة المجنحة حرف «ل» وحرف «ب» باليونانية وهو تاريخ اصدار العملة . أما كلمة «سيباستوس» فهي الكلمة اليونانية المقابلة لكلمة «اغسطس» اللاتينية ، ومعناها «العظيم» ، وهي اللقب الرسمي لاباطرة الامبراطورية الرومانية منذ اغسطس قيصر خليفة يوليوس قيصر . وظهور النقش على العملة بالابجدية اليونانية وباللقب الامبراطوري الروماني الرسمي مترجما الى اليونانية له دلالة واحدة وهو ان دومتيوس دومتيانوس حين قام بثورته انما قبل التمشي مع تقاليد الاسكندرية التي كانت يونانية الثقافة يونانية الشخصية منذ البطالسة ، ورمز هذا القبول تخليه عن اللغة اللاتينية ، وهي لفظة روما ، هجاء وعبارة . كذلك حرف «ل» في اليونانية يرمز الى كلمة «اتوس» أي «من عام» وحرف «ب» (بيتا) وهو ثاني حروف الهجاء باليونانية يرمز الى السنة الثانية من حكم دومتيوس دومتيانوس ، واللاتين يستعملون كلمة «انو» بمعنى «من سنة» لا رمز كلمة «اتوس» طبعا . اما تليق دومتيانوس بسيباستوس اي اغسطس

فيستفاد منه أن دومتيانوس لم يقنع بالقباب الملك المحلية في الاسكندرية ، وانما اصطنع لنفسه نفس اللقب الامبراطوري الذي يستخدمه اباطرة روما ، بما يوحي انه لم يعلن نفسه امبراطورا على الاسكندرية وحدها بل اعلن نفسه امبراطورا على العالم الروماني كله بدل دقلديانوس .

وقد عثر في الاسكندرية في أواخر القرن الماضي على نقش يوناني خاص بكلوديوس فيرموس ، صاحب ثورة فيرموس التي نسبت ايام الامبراطور اوريليان والتي تقدم ذكرها ، موصوفا بكلمة « ايبانورثوتيس » وبحسب ما ذكر الاستاذ ش . ه . روبرتس في الجزء الاول من « برديات ميرتون » الذي وضعه مع ايدريس بل (ص ١٥٨ وما بعدها) تدل المصادر التاريخية على ان كلوديوس فيرموس كان واليا على مصر في ٢٦٤/٢٦٥ ميلادية معينا من قبل امبراطور روما طبعاً ، وان كان اسكندري الموطن واللغز المحير في هذا أنه وهو والي يلقب في النقش بلقب « ايبانورثوتيس » . فلقب ايبانورثوتيس هذا كان اللقب اليوناني المألوف لأي مبعوث خاص أو مندوب سام يرسله امبراطور روما الى الولايات الرومانية أو المدن الحرة في اسيا أو اخايا ، وفي القرن الثالث الميلادي عرفت ايطاليا نفسها اشخاصا عينوا فيها في هذه الوظيفة ، وكان الرومان يسمون هذا المفوض السامي باللاتينية « كوريكتور » أي « المصلح » أو « المصحح » وكلمة « ايبانورثوتيس » اليونانية تعني اشتقاقا نفس المعنى ، أي تعني « المصلح » .

والمفروض في « المصلح » هذا انه مبعوث بسلطات أعلى من سلطات والي يوفده الامبراطور لاصلاح حال الولاية اذا اضطرب حالها واختلت امورها لدرجة تحتاج الى تدخل امبراطوري . ولم يعرف في التاريخ ان مصر كانت من بين البلاد التي كان يوفد اليها « مصلح » أو « كوريكتور » أو « ايبانورثوتيس » ، ولكن يبدو أن أحوالها اضطربت في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي الى حد دعا

الى ايفاد «مصلحين» اليها يفتشون في أعمال الولاة ويرفعون المظالم عن الناس .

وقد وجدت في مضر برديتان تلقيان ضوءا على العمل بنظام المصلح هذا في مصر الرومانية وكلاهما من عهد دقلديانوس ولقتهما يونانية . أما الاولى وهى في متشجان فقد نشرها العلامة ونتر سنة ١٩٢٧ ، وهى ترجع فيما يقال الى ٢٩٦ ميلادية ، وهى تشير الى « ايبانورثوتيس أخيلئوس » الى « المصلح أخيل » . وقد ذهب فيلكن وغيره ان المصلح أخيل هذا ليس الا دومتيوس دومتيانوس الذى قام بثورة فى صعيد مصر فى ٢٩٤ - ٢٩٥ ميلادية حسب تقديره ثم حاصره دقلديانوس فى الاسكندرية وقمع ثورته . وقد قبل العلماء هذا الراى لان اسم الثائر المتواتر فى النصوص الادبية والتاريخية القديمة هو أخيل . غير ان ونتر حين اعاد نشر هذه البردية انتهى الى ان لقب «المصلح» كان فى مصر لقب وظيفة مدنية ، مستشهدا فى ذلك ببردية أخرى باليونانية فى القاهرة وجدت حديثا . مؤرخة فى السنة الثانية من حكم ل. دومتيوس دومتيانوس وفى هذه البردية يظهر اسم المصلح اوريليوس أخيل « ايبانورثوتيس اوريليوس اخيلئوس » لا على انه الثائر نفسه ولكن على انه موظف فى خدمة هذا الثائر . وفى هذه البردية تظهر اسماء ثلاثة اشخاص : اسم دومتيوس دومتيانوس مفتصب العرش ، واسم أخيل بوصفه «مصلحا» عينه دومتيانوس ، واسم ايبارخوس وهو الوالى الشرعى الذى عينه دقلديانوس . وقد استخلص روبرتس من ابحاثه أن وظيفة « ايبانورثوتيس » أو «المصلح» هذه كانت وظيفة مدنية سامية تشمل واجباتها النظر فى القضايا وتمتد ولايتها على مصر كلها على الأرجح . وفى بعض النصوص نجد «المصلح» يباشر سلطاته جنبا الى جنب مع «الوالى» بينما فى نصوص أخرى نجد ان سلطته اعلى سلطة فى البلاد ، وان كان من الجائز افتراضا أن « المصلح » مارس هذه السلطة العليا نظرا لغياب الوالى الشرعى أو لعدم وجوده ، ولكن

هذا الافتراض مستبعد لأن المستبعد أن يسمى الوالى المرؤوس الذى يعينه ايا كان قدره باسم «المصلح» ، وهو مندوب سام بحسب تقاليد الرومان كان لا يوفد الا فى احوال خاصة لفتح دفاتر الولاة وكبار الموظفين كلما اشتد فى الحكومة الامبراطورية برومما عدم الارتياح الى الطريقة التى تدار بها ولاية من الولايات أو كثر الاضطراب فى هذه الولاية . ومما يجدر بالذكر أن النصوص تذكر «مصلحا» فى فترة قريبة اسمه «ايبانورثوتيس ثيودوروس» أى «المصلح ثيودور» وقد رأى الاستاذ شتاين ان المصلح ثيودور هذا هو نفس كلودينوس ثيودوروس الذى ورد اسمه فى بردية ستراسبورج ، وقد عين هذا «مصلحا» فى مصر عام ٢٥٨ ميلادية ايام أن كان ل. موسيوس اميليانوس ، او باختصار اميليان ، واليا عليها بين ٢٥٧ و ٢٥٩ ميلادية . واميليان هو صاحب الثورة المشهورة التى اعلن فيها استقلال مصر عن الامبراطورية الرومانية كما ذكرنا.

وقد كان اكتشاف هذه البرديات هو بداية البلبلة التى احاطت بشخص دومتيوس دومتيانوس فى السنوات الاخيرة . فكيف يكون آخيل ودومتيوس دومتيانوس شخصا واحدا ، كما كان يقبول فوجت وفيلكن ، اذا كانت بعض البرديات تذكر آخيل على أنه «مصلح» فى عهد دومتيوس دومتيانوس . انظر الى كتاب ونشر «برديات متفرقة» الصادر عن جامعة مشيجان فى ١٩٣٦ تجده فى ص ٢٩١ وما بعدها يحل بردية ترجع الى ٢٩٦ ميلادية تشتمل على رسالة من بانيسكوس الى بلوتوجينيا . وقد نشرت هذه الرسالة لأول مرة فى ١٩٢٧ ، وهى التى اعتمد عليها فيلكن وكوبتشيك الخ . . فى القول بان «المصلح آخيل» الوارد ذكره فى البردية هو عين دومتيوس دومتيانوس اعتمادا على أن المصادر الادبية لا تعرف ثائرا فى هذه السنة الا آخيل واهمها «خرونيكون» أو «تاريخ» يوسبيوس ، بينما دراسات النقود كما قال كوبتشيك لا تعرف ثائرا الا دومتيوس دومتيانوس . وبعد ان نشر الاستاذ بوك بردية القاهرة

رقم ٥٧٠٥٩ وحلها أجلي كل غموض . فالبردية تذكر « المصلح اوريليوس آخيل » وتقول بعرض « الدعوى » عليه ، وهى تذكر تاريخ الرسالة فى السطر ٣١ أنه السنة الثانية من حكم دومتيانوس سيباستوس الذى تحدثنا عنه النقود . وبناء عليه فهذه البردية تصور اوريليوس آخيل على أنه كان « مصلحا » يشغل وظيفة مدنية بموجبها يفصل فى دعاوى الناس . وأنه كان يخدم فى عهد دومتيوس دومتيانوس ، فأخيل اذن ليس مقتصب عرش الامبراطورية الرومانية من دقلديانوس ولكنه موظف فى خدمة المقتصب دومتيوس دومتيانوس . ويجزم ونتر بان اوريليوس آخيل المذكور فى بردية القاهرة هذه هو نفس اخيليوس الواردة ذكره فى بردية جامعة مشيخان المرقومة ٢٢٠/٣ ، فالخطاب الوارد فى الأولى مؤرخ ١٢ توت وتاريخ بردية القاهرة ٨ توت ، وكلاهما محرر فى الايام الاولى من السنة الثانية (ايتوس بيتا) من حكم دومتيانوس سيباستوس . ففى رأى كويتشيك أن السنة الثانية من عهد دومتيانوس بدأت فى ٢٩ أغسطس ٢٩٦ (انظر محاضر اكااديمية العلوم فى فيينا - الفلسفة والتاريخ ، ٢٠٨ أول ، ١٩٢٨ ، ص ١ - ٣٦) . وليس معنى هذا ان دومتيانوس أو اخيليوس حكم سنتين كاملتين ، فالمعروف ان السنة المصرية ، التى تسمى القبطية الآن ، كانت تبدأ فى ١ توت المقابل ليوم ٢٩ اغسطس بالتقويم الرومانى . والمتفق عليه بين العلماء الآن ان ثورة دومتيانوس قامت فى يوليو ٢٩٦ وانتهت فى فبراير ٢٩٧ بعد انقضاء ثمانية شهور على استقلال مصر . وقد جرى العرف بين القدماء ان يبدءوا السنة فى حكم كل عاهل بتاريخ ٢٩ اغسطس وهو بداية السنة الزراعية المستقرة فى مصر . وبهذا تحسب السنة الاولى فى حكم دومتيانوس من قيام الثورة فى يوليو ٢٩٦ الى ٢٩ اغسطس من نفس السنة ، ثم تبدأ السنة الثانية من حكمه التى لا تنتهى نهاية طبيعية بل تنتهى فى فبراير ٢٩٧ . ومعنى هذا ان السنة الاولى كانت مجرد شهرين الى ثلاثة والسنة الثانية نحو ستة شهور ، وهذا مجموع حكم دومتيانوس

وهو ثمانية شهور . ومن ابحاث جون جاريت ونتر المنشورة في كتابه المذكور في ١٩٣٧ ننتهى بنتيجة واضحة وهى ان قراءة البرديات المكتشفة تدلنا على ان آخيل لم يكن اسم الشهرة لدومتيانوس ، وانما كان «الابانورثوتيس» او «الكوركور» او «المصلح» في عهد دومتيانوس ، وان وظيفته كانت وظيفة مدنية لا عسكرية قوامها النظر في الشكاوى ورفع المظالم ، وفقا لاختصاصات «الكوريكتور» او الندوب المصلح الذى كان يعينه اباطرة روما كلما ساءت الامور في ولاية من الولايات الرومانية .

اما بردية القاهرة رقم ٥٧.٥٩ التى احدثت كل هذا الانقلاب في تفكير المؤرخين عن العلاقة بين شخصية دومتيوس دومتيانوس وشخصية اخيليوس ، والتى نشرها ا.ا.ر. بوك استاذ علم البردى بجامعة ميشجان ، فهى ترجع الى ٢٩٦ ميلادية ، (انظر النص في مجلة «الدراسات البردية» الصادرة عن جمعية فؤاد الاول البردية ، الجزء الخامس ، المطبوعة في المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة في ١٩٣٩ ، ص ٨٥ وما بعدها) . والبردية عبارة عن عريضة مقدمة الى شخص يدعى اوريليوس ليونتيوس ، ويلقب أيضا بايسيدور في البردية ، وكانت وظيفته نائب المصلح او ممثل «الابانورثوتيس» في اقليم ارسينوى ، وهو مديرية الفيوم . ومقدمة العريضة أختان هما اوريليا ثايسيس واوريليا كيرلس ، بنتا رجل يدعى كوبريس ، من قرية كارانيس ، وهى كوم اوشيم حاليا ، عن طريق خالهما ووكيلهما الرسمى اوريليوس امونيوس بن ايسيدور .

ولا بأس من ان نورد هنا موضوع هذه العريضة لطرافتها ، فشكوى البنيتين تتلخص في أن زوجة ابيهما ، واسمها غير مذكور في البردية ، رغم اعترافها بأن أباهما المتوفى لم يكن مدينا لها بشيء قبل وفاته ، جعلت أباهما يقتصب ٢٧ راسا من الغنم من قطيع ابيهما ، ثم زعمت أن أباهما المتوفى كان مدينا لها بحطية ذهبية قيمتها «مينا» واحدة ، أي ١٠٠ درهم و ١٠٠ دراخمة تساوى خروسيون

باليونانية « قرش ؟ » أو أوريسوس باللاتينية ، اى « ذهب » . . . ولكنهما عجزت عن اثبات هذا الادعاء لأنها لم تستطع تقديم اى دليل الا الدليل الشفوى . ثم ابرزت زوجة الاب بعد ذلك عقدا زعمت ان زوجها المرحوم حرره أثناء حياته وأثبت فيه حقها فى نصف جارية كان يملكها ، وكان ذلك بمثابة ضمان لمهرها الذى سبق أن أنفقه ، اى انه رهن لها حصة النصف فى الجارية مقابل مهرها الذى اتى عليه . وتذهب البنتان الشاكيتان الى أن زوجة ابيهما لاتستطيع أن تقيم الدليل على ادعائها الحق فى نصف الجارية لان القانون يحتم ان يقوم المهر المدون كتابة بمعرفة صائغ ان كان حليا أو أدوات معدنية وبمعرفة خياط ان كان ملابس . وتذهب البنتان الى ان عقد المهر وعقد الضمان فى نصف الجارية باطلان . وهما تنتظران ان تقدم زوجة ابيهما الى المصلح نفسه بعض المعلومات او المستندات الخاصة بهذه التركة ، وهما تلتزمان تخويل وكيلهما ليونتيس مطالبتها بصور من هذه الوثائق حتى تتمكن من فحصها والتثبت من صحتها والدفاع عن دعواهما فى محكمة « المصلح » . وتختتم الفتاتان العريضة بتذكير « المصلح » بانهما من دافعى الضرائب المنتظمين ، وهى صيغة مألوفة فى امثال هذه العرائض الخاصة بالدعاوى المدنية .

اما من الناحية التاريخية فأهم ما ورد فى هذه البردية هو الإشارة الى اوريليوس اخيل وهو القائم بنظر الدعوى ، ورئيس ليونتيس المقدمة اليه الدعوى . ويقول بوك أن اخيل « المصلح » هذا هو نفس الايبانورثوتيس الوارد ذكره فى بردية متشجان ٢٢٠/٣ وهى مؤرخة فى نفس الشهر الذى كتبت فيه بردية القاهرة . ويرى الاستاذ بوك ان تاريخ البردية بالسة الثانية من عهد دوميتيوس دومتيانوس يدل دلالة قاطعة على ان دومتيانوس كان صاحب السلطة العليا ، وان له عهدا يؤرخ به كما يؤرخ بعهود الاباطرة ، وان « المصلح » اخيل المشار اليه فى البردية لا يمكن ان يكون هو نفس

دومتيوس دومتيانوس ، بل هو مجرد «مصلح» عبته دومتيانوس له «نائب مصلح» في مديرية الفيوم ، وان هذا المصلح كان يملك سلطات قضائية جرت العادة ان تكون في يد الوالى ، ولكننا نجد هنا تنتقل الى يد «المصلح» في ظروف استثنائية يتكشف فيها سوء حال البلاد وانتشار المظالم مما يدعو الامبراطور الى تعيين وصي مؤقت على الوالى . وايا كان الامر فاننا نجد في البردية مثنيجان ٢٢٠/٣ ان الوالى كان غائبا في الصعيد فيما وراء مدينة قفط . ويقول بولك ان غياب الوالى في الصعيد قد يفسر تعيينه «مصلحا» يقوم ببعض اختصاصاته اثناء غيابه . وعلى كل حال فبحث الاستاذ م . بنبيه فى «المغتصب آخيل ولقب المصلح» المنشور فى تقارير اكاديمية النقوش والاداب (باريس ١٩٢٩ ص ٢١٦ - ٢٢١) يدل على وجود مصلح آخر من نوع آخر فى مصر ابان القرن الثالث الميلادى . كذلك من غير الواضح شخصية هذا الوالى الغائب فى الصعيد ، أهو الوالى الثورى الذى اضطرته ضرورات الثورة أن ينتقل الى الصعيد الاعلى والذى عين آخيل مصلحا أثناء غيابه، أم هو الوالى الشرعى الذى يمثل الامبراطور دقلديانوس وقد فر الى الصعيد الاعلى امام قوات الثوار . كذلك غير واضح ما كان يفعله هذا الوالى جنوب قفط وهل له علاقة بتحركات قبائل البلبيمى وقبائل النوباتى التى حدثتنا المصادر التاريخية عن دورها فى ثورات مصر الاستقلالية ابان القرن الثالث الميلادى .

والعلامة الآن جونسون بحث هام عن «لوشيوس دومتيوس دومتيانوس اوغسطس» نشره فى مجلة «كلاسيكال فيلولوجى» عدد يناير ١٩٥٠ ، الجزء ٥٥ (ص ١٣-٢١) . واهمية جونسون انه من فطاحل العلماء فى اقتصاديات العالم القديم .

فكل ما تقدم يثبت ان دومتيوس دومتيانوس وآخيل شخصان مختلفان ، وان الثائر على دقلديانوس المغتصب لعرش الامبراطورية كان دومتيانوس وليس آخيل ، كما يكاد يثبت ان دومتيانوس

بوصفه الامبراطور الجديد على الامبراطورية الرومانية عين آخيل في وظيفة «مصلح» في مصر ببعض سلطات الوالى او بجمعها . اقول « يكاد » يثبت لأن مصدر سلطة آخيل لايزال الى الان غير معروف ، وكل ما نستطيع ان نقطع به في المرحلة الحالية هو ان ذكرهما في بردية واحدة يدل على شرعية سلطات آخيل في عهد دومتيوس دومتيانوس . كذلك يستفاد من كل هذه الشواهد أن دومتيانوس ، وان كان قد قام بثورته على دقلديانوس في مصر ، الا انه يرجح انه لم يكن محصور الاطماع في نطاق مصر بل كان ذا اطماع عالمية على نطاق الامبراطورية كلها . ولا يستفاد هذا من مجرد تلقيبه نفسه على عملته التى سكها بالاسكندرية بلقب «سياستوس» أى «اغسطس» متشبها بأباطرة روما ، ولكن يستفاد ايضا من عثورنا على عملات برسمه في بلاد الفال ، مما يوحى بانه نجح ابان حكمه الوجيز في ايجاد صلة اخذ وعطاء مع بلاد الفال ، سواء بالتجارة او بغيرها . وعلى كل حال فتواطؤه فى توقيت ثورته مع جوليان فى قرطاجنة ليثور على روما فى الوقت نفسه ومع موريثانيا فى المغرب الاقصى يدل على سعة اتصالاته وقوتها وربما يوحى بان مؤامرة عزل دقلديانوس كانت اوسع نطاقا مما يبدو للعيان ، ولعل بعض رومان روما انفسهم كانوا ضالعين فيها بسبب طغيان دقلديانوس أو بسبب مسلكه مع الاديان المختلفة فى الامبراطورية . والدليل الاقوى على أن وضع دومتيانوس اغسطس كان على مستوى الامبراطورية هو اقدمه على تعيين كوريكتور أو مصلح يمثله فى مصر ، فلو كانت سلطته ودعاواه قاصرة على عرش مصر لما احتاج الى تفويض هذه السلطات الى مصلح على النهج الذى انتهجه اباطرة روما .

ويقول جونسون ان ما وجد من نقود باسم لوشيبوس دومتيوس دومتيانوس كله صادر فى السنة الثانية من حكمه لسبب بسيط وهو أن السنة الاولى من حكمه لم تتجاوز شهرين ولعله لم يسيطر على دار سك النقود فور قيامه بالثورة ، وقصر هذه

الفترة نفسه يفسر أيضا عدم وجود وثائق بردية من السنة الاولى من حكمه . وهذه النقود من نوعين ، بعضها من النوع المألوف سكه في الاسكندرية قبل عهده من فئة الثلاثة دراهم وبعضها من النوع البرونزي على غرار العملة الامبراطورية التي بدأ دقلديانوس في سكها نحو ٢٩٣ ميلادية . ومن رأى جونسون بناء على دراساته في وثائق الفترة المتعلقة بالضرائب وتموين الجيوش وما الى ذلك ان ثورة دومتيانوس نشبت في وقت ما بين ٢٣ يوليو و٢٩ أغسطس ٢٩٧ وانه لم يسيطر على الفيوم قبل نهاية يوليو ولم يسيطر على دارسك النقود في الاسكندرية قبل نهاية السنة الاولى من حكمه . أى قبل ٢٩ أغسطس ٢٩٧ ، وأن الثورة سحقت في ربيع ٢٩٨ .

ويرجح جونسون أيضا ان أخيل كان قد عينه دقلديانوس أولا في وظيفة « المصلح » ثم انضم الى دومتيانوس حين قام هذا بثورته على دقلديانوس . ويجيب جونسون على السؤال الحائر : لماذا خلت كتب المؤرخين القدماء من اسم دومتيوس دومتيانوس ولم تذكر الا اسم أخيل نائرا على دقلديانوس ؟ بقوله انه من الجائز أن دومتيانوس كان قد صفى في المراحل الاولى من الثورة وبقي أخيل وحده في الميدان وكان المسئول عن ذلك الدفاع المستعيت عن الاسكندرية اثناء حصار دقلديانوس لها بما جعل فضل قيادة الثورة ينسب اليه بصورة طبيعية .

ويستفيد جونسون من هذا التغيير الذي يقترحه لسنة وقوع الثورة ليخرج برأى جديد وهو أن الثورة نشبت في مصر نتيجة للاصلاحات الاقتصادية والادارية التي ادخلها دقلديانوس وينفى بذلك أن دقلديانوس أدخل اصلاحاته بعد قمع الثورة حتى تستتب الاحوال ، وهو الراى الشائع بين المؤرخين . فمن هذه الاصلاحات مثلا نظام الضرائب الجديدة الذي أدخله دقلديانوس في مصر بمرسومه على اساس الانتاج اى على اساس الرأس والوحدة الزراعية . فهو

يوجد الضربة على الرأس بين الذكور ويوجد الضربة على الأطيان بحساب الانثى نصف الذكر ويوجد الضربة على الاطيان بحساب الارورة ، وهى نحو ثلثى الفدان ، أو ما يستطيع رجل واحد أن يزرعه فى السنة بمفرده . وبرى جونسون أن هذه الاصلاحات انزلت اضرارا فادحة بالطبقات الممتازة ولا سيما اليونان الذين كانوا يدفعون ضريبة رأس وضريبة عقارية أقل مما كان المصريون يدفعون كما أنهم كانوا يتمتعون باعفاءات كثيرة . كذلك يرى جونسون أن توحيد دقديانوس للعملة فى مصر ، بل فى الامبراطورية كلها ، وهو يعد أحد اصلاحاته ، ربما خدش شعور الاسكندريرين الذين كانوا دائما يفاخرون بوضع مدينتهم الممتاز .

ثم هو يضيف الى ذلك عاملا هاما وهو اعادة دقديانوس تقسيم مصر اداريا بتقسيمها الى ثلاثة اقاليم هى اقليم طيبة ويشمل الصعيد الى البهنسا وأقليم هرقليا ويشمل مصر الوسطى وأقليم جوفيا ويشمل الوجه البحرى بما فيه الاسكندرية . وقد كان معنى هذا التقسيم الجديد أن تفقد الاسكندرية مركزها الممتاز الذى اعترف به كل الاباطرة من قبل وأن تصبح مجرد عاصمة لاقليم من اقاليم مصر . فالثورة على دقديانوس اذن عند جونسون كانت ثورة قامت بها الطبقات الممتازة فى مصر ولا سيما فى الاسكندرية ، وكان قوامها من اليونان والرومان المحليين ، ولا سيما اليونان الذين يمثلون أغلبية الاجانب المستوطنين ، وعنده ايضا أنها كانت ثورة طبقات التجار وارباب الحرب اساسا سواء فى الاسكندرية او فى فقط ممن آذتهم اصلاحات دقديانوس الاقتصادية والادارية وحرمتهم من اعفاءاتهم وامتيازاتهم كما خدشت كبرياء الاسكندرية بتحويلها الى مجرد مدينة من مدن مصر . فاصلاحات دقديانوس المشهورة لم تكن نتيجة الثورة ولكن الثورة كانت نتيجة هذه الاصلاحات . كل هذه الافتراضات دعت جونسون الى تأجيل تاريخ الثورة سنة كاملة ، فقد أرجعها الى صيف ٢٩٧ بدلا من

٢٩٦ ، باعتبار أن تاريخ المراسيم الامبراطورية باعادة تنظيم مصر اداريا كان فى ١٦ مارس ٢٩٧ ، وكان اعلانها فى ربيع ٢٩٧ نفسه .

وايا كانت قيمة هذه الاستنتاجات التى ذهب اليها جونسون فقد وجب اثباتها لتعطى صورة عن حالة البلاد فى تلك الفترة القلقة ولكن الذى يتعارض مع رأى جونسون حقا ويشكك فى استنتاجاته أن أنظع أعمال التنكيل والتذبيح والابادة بالجملة التى أنزلها دقلديانوس بسكان مصر بعد أن قمع الثورة نزلت بالمصريين عامة وبالمسيحيين منهم خاصة الى حد جعل الكنيسة المصرية تبدأ التاريخ بعام الشهداء وهو عام المذبذب الرهيبة التى أوقعها دقلديانوس بمسيحيى مصر .

ومن المعروف ان المسيحية فى تلك الفترة من التاريخ كانت أوسع انتشارا بين الفقراء منها بين الاغنياء . فلنعد اذن للتاريخ الشائع بين العلماء لثورة دومتيوس دومتيانوس وهو يوليوس ٢٩٦ الى فبراير ٢٩٧ ميلادية ، وسنجد فى البحث الذى نشره الاستاذ بوك بعنوان « كرانيس وثورة دومتيوس دومتيانوس » فى الجزء الثامن من مجلة « الدراسات البردية » (طبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٤١ - ٤٨) تأييدا لهذا التاريخ استنادا على دراسة طائفة البرديات والشقافة التى عثرت عليها بعثة حفائر جامعة مشيجان فى كرانيس وهى كوم أوшим بمديرية الفيوم . وفى هذا البحث أثبت بوك أن كوم أوшим خضعت لسلطة دومتيانوس قبل ٢٨ أغسطس ٢٩٦ ثم استردها الموالون لدقلديانوس قبل ١٥ ديسمبر من نفس السنة ، وهذا لا يمنع أن تكون كوم أوшим قد خضعت لسلطة دومتيانوس ابتداء من النصف الثانى من يوليو من نفس السنة .

وما دمنا نستعرض أهم الاراء الحديثة فى ثورة دومتيوس دومتيانوس فلا بد من أن نورد رأى الاستاذ وليم سيسستون فى كتابه « دقلديانوس والحكومة الثلاثية » (طبعة بوكار باريس ١٩٤٦

ص ١٣٧ - ١٨٩) . ويرى سيستون أن الثورة كان مركزها الاول في اقليم طيبة فهناك خطابات تتناول تحركات رجل يدعى بانيسكوس ترك أسرته في فيلادلفيا وانتقل الى قفط في أبريل ٢٩٦ وجمع رجاله وعتاده في صيف السنة نفسها ، وفي ٩ سبتمبر ٢٩٦ نجده يورخ خطابا له بالسنة الثانية من عهد الامبراطور دوميتيوس دومتيانوس، وهذا يدل على اتساع حركة الثورة بحيث شملت مصر كلها، ولكنه لا يثبت أن جيش دقلديانوس سحق تماما ، اذ أننا نجد أنه في سبتمبر ٢٩٦ كان الوالى الشرعى يحتل الريف المجاور لمدينة قفط . وعند سيستون أن والى دقلديانوس زحف الى اقليم طيبة لاختام الثورة فيه بمجرد اشتعالها ، وفي أثناء غيابه في الصعيد تخلص الاسكندريون من الحكام الرومان في الاسكندرية . ويظن سيستون أن الثورة في الصعيد كانت قصيرة المدى وأنه بعد ٩ سبتمبر بقليل حوصرت قفط واحتلت . ولكن سلطة دومتيانوس ظلت معترقا بها في الغيوم بكوم أو شيم حتى ٢٠ أكتوبر ٢٩٦ أما في ثيادلفيا فنجد البردى مؤرخا في ٢٦ أكتوبر ٢٩٦ بالتاريخ القديم وهو تاريخ الحكومة الثلاثية التى كان يرأسها دقلديانوس .

ويحاول سيستون بناء على ما يستخلصه من خطابات الثائر بانيسكوس وهو في قفط الى زوجته في الفيوم ، وبناء على دراسة الاوضاع السياسية والعقائدية في المنطقة أثناء هذه الفترة ، ان بانيسكوس نفسه ، وهو مصرى ، من اتباع الديانة المانوية التى بدأت تدخل مصر ابتداء من ٢٤٤ ميلادية تقريبا ، على يد التجار العرب ومن اليهم من السراكنى أو الشرقيين ، واستطاعت أن تقيم لنفسها مراكز في الصعيد جنوب اسيوط ، ثم في الاسكندرية ، وان اتباع مائى والمجوس ايدوا ثورة دومتيانوس التى كان هدفها عند سيستون فصل مصر عن الامبراطورية الرومانية . وكل هذا يهدف الى ربط الثورة المصرية بتحركات نارسيس في فارس وغزوه الشام في نفس الوقت بقصد تقطيع اوصال الامبراطورية الرومانية.

أما استنتاج سيستون أن بانيسكوس كان من اتباع الديانة المانوية فيقوم بين أشياء أخرى على أنه في أوراق البردى يتوجه الى « الرب الهنا » من ناحية وإلى « الالهة » في الوقت نفسه وهو اختلاط يمكن نسبته الى العقيدة المانوية وإلى ديانة المجوس .

وأيا كان الامر فان ثورة دومتيوس دومتيانوس أو أخيل جاء توقيتها مع ثورة القبائل الخمس في شمال افريقيا وثورة كاروزيوس في بريطانيا وتحركات الفرس بقيادة نارسيس في الشام . ولايزال البحث في دوافع هذه الثورة في مراحلها الاولى وفي مدى الصلة بين هذه الحركات جميعا .

وقد تفضل الاستاذ الدكتور عبد اللطيف أحمد على ، أستاذ علم البردى بجامعة القاهرة ، بإطلاعى على مسودة الجزء الثانى من كتابه « مصر على ضوء أوراق البردى » فانتفعت من علمه كثيرا ولاحظت أنه يستعرض أغلب النظريات الهامة حول هذه الثورة دون أن يقدم نظرية على أخرى كما لاحظت وقفته الحائرة أمام العلاقة الحقيقية بين دومتيوس دومتيانوس وبين أخيل ، وأنها حقاً لعلاقة محيرة ، ومصدر الحيرة فيها خلوعامة التواريخ القديمة ، التى لا تذكر إلا اسم أخيل مقترنا بثورة مصر على دقلديانوس في ٢٩٦ مبلادية ، من أية إشارة الى شخص دمتيوس دومتيانوس الذى لم نتأكد من أنه شخصية مختلفة عن شخصية أخيل إلا في السنوات الأخيرة بعد اكتشاف البرديات والشقاف والنقود المتخلفة من هذه الفترة . كما أنى أشكر الدكتور عبد اللطيف أحمد على على أنه وضّبع كافة المراجع المتصلة بهذه الثورة فى مكتبته الخاصة تحت تصرفى .

وفى جو هذا القموض التاريخى يمكن افتراض الف فرض وفرض سواء من ناحية دوافع الثورة أو شخصيات الثوار أو العلاقة بينهم أو أحداث الثورة . ولكن الحقائق الثابتة ، وهى جوهر الموضوع ، تبرز واضحة أمام العيان ، وهى أن مصر ثارت فى

٢٩٦ ميلادية بقيادة القائد الرومانى لوشىوس دومتيوس دومتيانوس الذى اعلن امبراطورا باسم دومتيانوس سيباستوس ، وان مصر استقلت عن روما نحو ثمانية شهور ولم تفقد استقلالها من جديد الا بعد ان قمع دقلديانوس الثورة اثر الحصار الطويل الذى فرضه على الاسكندرية ، وان الاسكندريين قاتلوا باستماتة غريبة طوال مدة الحصار فلم تسقط المدينة الا بعد ان قطع دقلديانوس عنها المياه ، وان دقلديانوس بعد دخوله الاسكندرية ومصر عامّة لم يكتف بمصادرة ممتلكات الثوار أو عقاب زعمائهم أو تخريب معابدهم بل أجرى المذابح الرهيبة فى أعناق الاف لا تعد ولا تحصى من المصريين ، بما جعل المصريين يلقبون عصره بعصر الشهداء ويؤرخون به تاريخهم الجديد ، وان المسيحيين منهم كانوا الهدف الاول لهذا الارهاب الاعظم ، بما جعل الكنيسة المصرية تعتمد هذا التاريخ على انه تاريخها الرسمى وتخصص كل يوم من أيام السنة القبطية لتخليد ذكرى طائفة من شهداء هذا العصر الدامى .

ويكفى أن نردد هنا وصف المؤرخ القديم هيرونيموس يوسيبوس فى وصف ما جرى من مذابح أن دقلديانوس ساعة دخوله الاسكندرية أمر جنوده الا يكفوا عن ذبح المصريين حتى يبلغ الدم ركبة جواده . وكان من رحمة الله بالمصريين ان جواد دقلديانوس كبا فاكتفى الجنود بما سال من دماء . وهى صورة شعرية جميلة تستحق أن يحفظها التاريخ .

اما دومتيوس دومتيانوس نفسه فلعله كان اداة فى يد «المصلح» أخيل ، ولعله كان مجرد مغامر رومانى طامع فى عرش الامبراطورية، ولعله كان مجرد قائد خارج على الحكومة من طراز راؤول سالان أو بنى بويه الذين يحاولون الاستئثار بالمستعمرات عند انهيار الامبراطوريات ، ولعله كان مسيحيا سرا يحمل الضغينة لروما على اضطهادها لمسيحي الامبراطورية ، ولعله كان من اشراف روما

« الاحرار » الذين سلبهم دقلديانوس الطاغية كل صفة بتجاهلهم المعروف للسناتو وتركيزه كل سلطة في يديه وقضائه على الامتيازات والحريات الرومانية التقليدية ، ولعله ، ولعله ، فمن يدرى ؟ كل هذا الغموض يترك المجال رحيبا امام الفنان حتى يأتينا مزيد من البرديات أو الشقاف فتجלו كل هذا الغموض .

تقول ، ولم عنيت بذكر هذه الوقائع والنصوص وانت تقف موقف الاديب لا موقف المؤرخ ؟ واجبتى على هذا السؤال واضحة ، وهى انى اعتقد أن من واجبى كما ذكرت تنوير القارىء بحيث يعرف أين تنتهى الحقيقة وأين يبدأ الخيال فى العمل الفنى ولانى اعتقد أن فى هذه الفترة الخصبة من تاريخنا ذخرا لا ينفد لغيرى من الكتاب سواء من آيات الكفاح الوطنى أو من آيات الفداء أو من آيات الشخصية الانسانية ، ولانى اعتقد انى بهذه الفرشة التاريخية اعين غيرى من الكتاب الذين يمكن ان تجذبهم أحداث هذه الفترة الخصبة فيستمدوا منها مادة لادبهم .

واكتفى بهذا القدر من الحديث فلا أسترسل وأتناول ما فى هذا العمل من جوانب فنية . انما أترك هذا للنقاد ، ان وجدوا فيه قيمة فنية تستحق التنويه . فان كان فى هذا الكتاب حياة ، فالحياة لا تهمط لحق حقه فى الحياة ، وان كان وهما عابرا فقد اتبغى ان ينطوى مع كل ما ينطوى من الأوهام .

القاهرة ١٣ نوفمبر ١٩٦١

لويس عوض

التصحيح اللغوى : عبد الرحمن حجازى

جمال جاد الرب

الإشراف الفنى : حسن كامل

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة

not be an easy thing. When the morning comes, by order of Diocletian, Egypt will see horrors unspeakable, Your blood will flow in streams. Your women will be raped , and your infants massacred. Your property will be looted and your temples desecrated and burnt down. You will even be denied to worship your own gods. You will be thrown into lions dens and fried in boiling oil that you may forswear the name of Egypt. Some of you will cringe with fear, but most of you will hold out courageously until this horrible scourge is finally lifted . Be thou, Manetho, a father to this orphaned people in this dark night , Be thou the pilot of this tossing ship amid these furious tempests , for there is yet hope that it may weather the winds and reach the shores of safety unimpaired.

Coptos will need reinforcements. You, Apepi, go quickly to Busiris before it is overtaken by the flood. What will you do, Arius?

Arius : Here I stay in Alexandria. For here I shall wander under the cloak of darkness, knocking every door to wipe the tears of the wretched and strengthen the hearts of the weak, reminding men that night is ever followed by the dawn.

Manetho : I am an ancient man , I am tired , tired, tired, I must have rest at last I shall finally go to my quiet hamlet upon the banks of Tanis lake , there to sit all day long in dreamy solitude , fishing in the stream of memories , until Thoth and the great Ennead of the gods are pleased to restore my soul to the fountain of eternal light .

Apepi : No one but Mamentho shall surrender the city .

Scipio : No one but this worn-out old man shall surrender the Palace .
Be prepared, Manetho. to receive the new master. Such is the verdict of the gods : that you become a servant to every new ruler, so that you may temper with the wisdom of age the hot blood of the violent Romans . You shall protect your ancient country from the rashness of young nations , and record on living papyri all that Egypt sees of happy and unhappy days. You shall need the martyr's fortitude , for it will

King of the people, prop of the kingdom .
The secret of the many - gloried Monk
Comes from the fathers and forefathers
And passes into the sons and grandsons.
The redeemer is dead , the redeemer is dead !
O Gods of the valley ! Bless him
Who was to us a guiding star,
King of the people, prop of the kingdom.

(The voice vanishes gradually. From behind the left window pane is seen a vast distant conflagration)

Manetho (Pointing to the window). Look! The Library of Alexandria is burning! The Romans have landed in the harbour !

Apepi : Stop worrying about your books , Manetho . Many times before they had been burnt and many times again they will be. Such is the irony of the gods : for every invader who sets fire to the library reminds the world that we are the intellect and the conscience of the human race . So let them burn and burn . It is our god-like task ever to rebuild again .

Scipio : Which of you will surrender the city ?

Manetho : Damon of Armant will do it with a heavy heart.

Damon : No , I shall pass over with my men to Upper Egypt. Stubborn

must be carried in all simplicity . Build him no tomb of black alabaster , but bury him in the vasty sands where neither man nor elf disturb the quiet of the dead. From the desert he came and to the desert he returns, Yet, if you still retain some relic of your ancient priests, embalm him and read out old spells upon his anxious ghost that the desert may for ever keep his holy body a sacred talisman to guard this god-protected land. His tribe was that of Christ, but do not fail to paint your ancient liturgies on his cedar coffin . He was a mighty efflux of that gigantic breath that fluttered fearfully in days of yore amid the granite pillars of the fabled Kamak and whispered dark truths to the hushed palm-groves of immortal Thebes. May all the gods at once absolve him of his mortal sins.

(The guards carry the stretcher and walk in a stately manner going out through the left door chanting)

(Chorus of Guards Singing in a grave, staccato manner, more like a sharely punctuated recitation than like a song).

The redeemer is dead , the redeemer is dead !

O Gods of the valley ! Bless him

Who was to us a guiding star,

. General consternation . Cries of “Panofer ! Panofer ” !

Panofer : I am ready (Scipio retreats) O God ! have mercy upon me!
(Suffering horribly from the poison) how horrible are
these pains . (He Falls on the floor with foaming mouth)
Tell your master : all his striving is in vain. He will never
reach the sun. Heavy is the darkness. Light, where is the
light ! Martha ! Draw the curtains, Martha. (He dies) .

Apepi : Farewell , Panofer.

Damon : He has conquered Diocletian .

Prisca : A good Egyptian he lived , and a good Egyptian he died.

Damon : No one knows the secret of the Monk or why he died .

Prisca : That is something between him and his God .

Manetho : They say the Patriarch cast a curse upon him .

Damon : It is something between him and Martha .

Apepi : No. He offered up his mortal body that we may recover the ev-
erlasting spirit: that love may dwell for ever among men;
that mercy may prevail in this harsh world. Martha knew
what the Monk failed to know

Scipio : Had you but a score of such wondrous Monk , the Romans
would never have set foot in this unhappy land .

(Enter six guards carrying a stretcher)

Manetho : Cover him with his mantle . A simple Monk he was , and he

huge painted pillar on the right side of the hall and feels the inscriptions with his hand. He then walks over the opposite pillar on the right side and feels it).

Panofer : O Manetho ! how beautiful these inscriptions are. It is a wonder how in everlasting freshness these mysterious colours relate our withered glories. But this is our divine enigma that baffles all understanding . (He looks at the two columns, standing between them with outstretched arms) Had I the strength of Samson I would have pulled down this palace upon me and upon my enemies. (Growing more quiet) When I am gone, I want no tears, no wailing, no garlands on my grave. Cast my body in some arid wilderness untrodden by man and unknown to ravenous vultures . Say, noble youth : will Diocletian take me to Rome ?

Scipio : I believe so .

Panofer : And draw me to his chariot .

Scipio : Yes, That is the custom; in the triumphal procession.

Panofert : To amuse the mob of Rome ?

Scipio : Yes .

Panofer : Then we shall spoil his majesty's fun .

(He takes poison out of his doublet and swallows it quickly, then goes back smiling to the middle of the hall

turquoise. Look at the Turquoise. How beautiful it is. It is yours now. Take it. **(Martha takes the ring and presses it to her heart)** Have you read the engraving ? Read it before you wear the ring. It has a spell from the days of Menes. They say it carries a curse , but do not believe what they say. **(Martha puts on the ring after examining it carefully, Panofer in a commanding voice)** Philammon, when I am gone, take saint Martha the Egyptian to the convent of Demiana, the Convent of the seven virgins. **(He Kisses Martha on the front) .**

Philammon : Promptly, Panofer. (He unbuckles his sword and hands it over to Apepi) This has no use now. When I perform my errand, shall I go myself to the Great Monastery?

Panofer : Yes, May God guide your steps, my son .

Philammon : Farewell, Panofer .

(Exit Philammon, followed quietly by Martha through the right door) .

Scipio : Let us go, Panofer. Diocletian does not like to be kept waiting.

Panofer : One moment, my son .

Scipio : What is left to do ?

Panofer : Only a word of leave - taking .

(Panofer walks staring at the painted ceiling . He reaches the

Panofer : I said nothing : Yes , I said pray for me always .

Martha : (Meekly) : Shall I go into the convent, father ?

Panofer : Yes, Yes .

Martha : There to embrace Christ ?

Panofer : Yes . There to embrace Christ ?

Martha : And Constantine will not be jealous ?

Panofer : No, Constantine will not be jealous

Martha : When will he come back ?

Panofer : I do not know. But when he does, his heart will be glad .

Scipio : Let us go, Panofer .

Panofer : Yes, I must go , Martha .

Martha : Where to, father ?

Panofer : To the company of the Lord .

Martha : (Staring as though she does not understand) : There the
pastures are green .

Panofer : After a while . After a while .

Philammon : He redeemed you, Martha .

Martha (Still does not understand) There the lillies are white .

Panofer : No, It was she who redeemed me. For that she is sanctified
by God. She who bears a child redeems a man . Martha !
(Pulling out his ring and examining it well) This ring,
it was for her : for the lady of the Blue Mansion, the lady of

**Panofer (Deeply moved and most tenderly) : O my child ! Martha
(raising her face) : Bless me, father. (She kneels down)**

**Panofer (Softly smoothing her hair with his hand) : Yes. Yes.
Blessed art thou among women. (Turning his face away
with a sense of guilt) This is madness, what right have
I to bless her. I have lost the godly mystery of the monk.
Forgive me, Mother of God ! What have they done to you,
my child ?**

**Martha : They burned my flesh with red-hot iron rods. (Gasps of pain
here and there) .**

**Panofer : Well done, Then the devils will not visit you any more. Oh
my God ! This is horrible. Horrible They come to visit me
every night . (Helping her to rise) Rise , Martha.**

**Martha (Smiling) : But I was strong , because I bear your trust .
(She feels her belly in a state of Ecstasy).**

Panofer : Yes , I know . And you must keep it solemnly .

Martha : As the thirsty soil keeps the seed of life .

**Panofer : (As if talking to himself) : And why shouldn't she keep it ?
I have paid for it heavily, I broke the sacred compact, and
paid heavily. (Diabolically) I wrung it from the hands of
fate.**

Martha : What did you say ?

farewell is heard outside . All the generals lower their heads and their swords saluting « farewell »

Damon (Saluting with his sword) : In the name of the army, I pay homage to Achilles.

Frisca (Saluting with his sword) : In the name of the cavalry, I pay homage to Achilles.

Panofer (As though he does not hear): Manetho, when you write the chronicles of Egypt, forget not to say that Severus was a stubborn Roman, and yet he died for our cause . To honour his memory, let the Egyptians erect a pillar of rarest marble among the ruins of the Ptolemies, so that his name might live as long as Alexandria lasts, And on every day like this, year after year, let the sea - nymphs grace his noble memorial with fragrant garlands and honour with laurels this heroic deed . (To Scipio) Tell me, noble youth.

Scipio : Yes , Sir .

Panofer : It is time for us to go. Too long is our waiting .

Scipio (Pointing to the right door) : She is coming , Sir .

(Enter Roman adjutant with Martha who looks pallid with marks of deep torture written on her face. She rushes to Panofer and holds fast to his arm like a frightened child. Voices cry : « Martha ! Martha ! »

Arius : My lord. Achilles, After receiving his absolution, crossed over to the shores of eternity. He fell on his sword after the custom of the Romans. His last words were: « Farewell, Faustina ! »

Hathor : (Wailing) : O brave king !

Scipio : Farewell, Domitianus, Your unhappy tale will be told by every soldier .

Manetho : Farewell, my lord. In every chronicle many pages will relate your sad story .

Tafeeta (Wailing) : O noble King !

(Enter Damon and Frisca through the right door)

Damon : What happened ?

Frisca : Where is Achilles ?

Panofer : Your master Achilles has sought his freedom from the prison of the flesh. Go to him, Hathor. He needs you now. Go to him Tafeeta. Go to him, Marina. Oh my God ! In the hour of our death, how desperately we need the company of women, exactly as if we were born again. Bury him like a king . Wrap him up in the flag of Egypt . Do not forget to put on his head the double crown of Menes . He so devoutly wished it during his life; let him now wear it in his death, by Panofer's command, by the people's command. (Exit the women through the left door sobbing audibly. A bugle calling

Arius : Yes , my lord .

Achilles : Come then and absolve me . Man must be always ready.

(Exit Achilles with Arius through the left door).

Hathor : My lord needs me ..

Manetho : Go to him Hathor . I have seen a strange twinkle in his eyes. (Hathor, anguished, walks away but does not leave).

Tafeeta : My lord has accustomed me to carry his mantle .

Panofer : No. Leave him alone . Do not disturb him . He wishes to be alone with his God, sing, Tafeeta, Something happy; something that is sung in the nuptials of kings . O Panofer ! how happy you are . To day you will be wedded after long waiting .

(Tafeeta playing with the fingers on the strings of her harpsichord , sings a sad tune like the wailing of wakes.)

**The bridal banquet and the bridal bed are set, my king !
your path to the milky way is strewn with fragrant roses .**

**Ascend ! Ascend ! my angel to the sphere of angels , for on
the fortieth day at last your nuptials will be held, and shadowy darkness will be wedded to eternal light .**

**Panofer : Enough . Enough . Why all this melancholy ?
(Pointing to Scipio) Is that the way you entertain this handsome Roman ?**

(Enter Arius through the left door looking pallid and saying in a calm and awe - inspiring voice) .

I no longer belong to Rome Since the Dalmatian slave sat on the throne of Romulus and brandished the sword of Aeneas. I have made many blunders, but I have served Egypt with honesty, speak, Panofer.

Panofer : Yes . Manetho , you shall write .. that Achilles of Alexandria served Egypt faithfully. For this, Egypt forgives his blunders and remembers only his honesty.(A distant noise and a distant alarm is heard).

Manetho : They are coming .

Panofer : My God ! Even Panofer cannot save Achilles. Guard the doors . Guard the door, . Philammon (Philammon rushes to the right door) Rally the guard, Apepi . (Apepi rushes to the door) .

Achilles : No. No. I want no bloodshed . Let everything end in peace . Let the Egyptians come. Let the Romans come . Whoever comes first takes Achilles . (Rising)

Scipio :Yes, sir.

Achilles : Proclaim it to them all : who was my great ancestor ?

Scipio : The noble Brutus .

Achilles (Descending the steps of the throne) : Like father , like son . May I be worthy of him . young monk !

Arius : Yes , my lord .

Achilles : I forgot your name , sir. How do they call you ?

Arius : Arius , my lord .

Achilles : Have you been initiated to give the sacrament ?

Panofer : How did Severus escape with his life ?

Arius : Severus did not escape with his life, Severus turned bravely to his men and shouted at the top of his voice : " O lions of Egypt ! It is not Achilles " but Diocletian ' s blood you seek ! Follow me ! Then he galloped at the head of his ranks in mad fury and his soldiers, footmen and horsemen, all followed him like ravenous wolves , breaking out through the gates of Naukratis and climbing the city walls. A terrible battle then ensued and when the dust of battle cleared up at last , there was Severus lying dead among countless bodies and a sad silence reigned while the flag of the Romans fluttered alone in the midst of the field .

Panofer : Woe to you Achilles ! You have fallen between the Romans and the Egyptians !

Manetho : You must flee for your life . Achilles .

Achilles : No. No.

Panofer : Take my mantle , sir .

Apepi : Take my horse , sir .

Achilles (Proudly) . No. No. I served Egypt faithfully (He mounts the steps of the throne and sits peacefully) Achilles does not flee . (To Scipio tenderly) Listen to me, my boy. In Rome they call me a traitor, but Domitius Domitianus served Rome faithfully until the Dalmation slave came and ruled it . Did you not hear your father say so ? Scipio (Overpowered by his feelings) : Yes , Domitianus .

Achilles : Do not call me Domitianus . I am here Achilles of Alexandria ,

(Enter Arius through the right door in utter confusion crying).

Arius : Ruin and damnation! Ruin and damnation !

Ashilles : What happened ?

Aruis : They Killed Africanus. They Killed Diogenes and Pampeianus. The soldiers slew all the Roman generals except Severus. They are clamouring for the head of Achilles. Frisca is marching towards the Royal Palace. Damon of Armant is on his way here. they all left their positions. Everyone is crying : The traitor Achilles. and his Roman traitors have sold us to Rome .

Panofer : Has Diocletian arrived ?

Aruis : Yes, he Has, his legions are half in Canopus and half in Naukratis, when the Egyptians withdrew from Naukratis and Canopus, Damon and Frisca with their Forces met at Camp Caesar. When they were told to return each to his former station, they found out that Romans had already occupied all their positions and that they had quickly stopped up all the canals with rocks and heaps of dust and everything they could lay hands on. Our soldiers were then furious and turned against the Roman generals. Frisca proclaimed that treason has come from the Royal Palace. I saw Damon of Armant with my own eyes assault Pompeianus and rip his belly with his sword. Criers went around the city crying that the water - supply had been cut off., There was confusion everywhere .

Achilles (In utter despair) : then all is lost .

offered up her body to feed the hungry, to clothe the poor, to cure the sick, to bring the dead back to life. She is the sacred offering and the offering cannot be given twice. Do you understand now why she should go on living ? She is the guardian angel : wherever she is, in the temple, in the convent, in reveller's feasts she spreads her wings over this holy valley. Sing your halleluia. Hathor! you are the one who nurtured her in her young days, Show us how you offer thanks giving in the temple Isis .

Hathor (Singing a staccato song which resembles a dance - song but is austere and dignified while Tafeeta plays on her strings): The many - fluted Nile

Murmurs singing :

O balmy night ! O balmy night

O love - sick swain

Heaves a love - sick sigh

For a nut - brown maid

With henna - daubed palms,

For a wine - lippled maid

Whose wine is the nectar of Paradise .

She is the daughter of Hathor,

Goddess of the effulgent sky,

Of the blue prairie where Huris dance,

Blue is her garment of light,

Green are her pastures on earth.

supply He is afraid we might slay Faustine before we surrender . He is afraid he would march into Alexandria on his white horse and not into Panofer. He is afraid I might disappear and elude him. Diocletian will never rest until he destroys the abominable Egyptian Monk. Even now he imagines Panofer walking across the fields, knocking the doors of the poor , inciting the multitudes, setting the hearts of the Egyptians against the Romans. He knows that Rome will never rest as long as I am alive. But he is wrong . (He gasps , feeling short of breath, and unbuttons the collar of his frock) Water . Water . Give me water. He is wrong. (with a deep, low voice) My task is done . I have delivered my message. Today every Egyptian is Panofer. (With a loud oracular voice) He will come after me who is stronger than me.

Philammon (As in vision) : A voice crying the wilderness :

Prepare ye the way of the Lord .

Panofer (Staring at the vacant air) : He will come after me who is stronger than me.(walking like a somnambulist) Glory be to Pharaoh .

Apepi : Lord of the two lands .

Hathor : Alexandria is your city .

Tafeefa : Egypt is your throne .

Philammon : The world is the dust you tread on .

Panofer (Laughing mockingly) : The fool. The fool. He Knows not what he takes and what he gives away. Panofer is a lump of clay, but Martha is the breath of life, the spirit of the valley. She is the blue sky, the green fields, the sacred ooze. She

pledge to her. O Mary mother of God unclean and faithless was your spouse. Boundless is your mercy. No. No. let me die without mercy, without humility. **(Praying in penitence)**. O God ! Torture my wretched spirit in the burning flames of hell until I am purified, until my sign appears. What sign ? Yes I shall bear it and bear it and bear it until my Sign appears , until Martha comes **(He smiles for the vision)** like a blue angel to quench with her balmy breath the fires of hell. **(Pointing to the zodiac on the ceiling)** Look ! This is capricorn, where I was born. There I shall stay until Martha comes and leads me back to Virgo from which I strayed away. Hurry, lad, hurry, and when I have departed forget not to say : he was a prince whose birthright was lost between heaven and earth. Do You want to know my token ? My token is my curse on Diocletian .

Scipio : This is what he wants. His eyes are fixed to heaven .

Achilles (Deeply moved) : Yes. Yes. He is staring at the signs of the zodiac .

Scipio (To his adjutant) : Hurry, hurry. Exit adjutant through the right door.

Panofer (Smiling) : Do you think I am raving Achilles ?

Achilles : A sinner cannot judge a sinner .

Panofer (Mockingly) : I know Diocletian, Do you know why he bargains at this critical moment ? He bargains because he is strong , not because he is weak. He believes that Alexandria will fall in twenty - four hours if he cuts our water -

Achilles : No. No. I won't allow it .

Panofer (With a distracted look) : You do not understand, Achilles .
you do not understand , all of you (As though talking to
himself) .Yes Yes. (Looking at the ring on his left hand)

All sinners must atone. I have broken my pledge to her. Yes
Atone. I must. I have no offering to give except myself. May
God accept my sacrifice . (He mutters) .

Philammon : Have mercy on him , O God !

Panofer (In a kind of delirium) : Shut up ! , lad ! Do not pray for mer-
cy. God has no mercy for me. Did you not hear Him say :
The merciful shall obtain mercy ?

(He looks at his hands as though they are besmeared
with blood) She is the cause. She is the cause. Before
they took her away she looked at me gently, reproachfully,
then departed. Or was I in a dream ? And there were others
and others.They all went the same way. Where is Arius ?
What did the Patriarch say ? (Louder) No. No.

I had no mercy on any one. Why should God have mercy
on me ? There is no mercy on me ? There is no mercy for
me. I lived by justice alone Nomos, by the first law. By them
will be my judgment For I walked among men like a tur-
bulent and damned spirit. Yes, Like a hurricane I passed
over green fields and desert sands, sweeping the palaces
of the mighty and the hovels of the poor, without mercy,
without humility. I broke my pledge to her. (He examines
the ring on his left hand) What pledge ? yes I broke my

Panofer (Reproachingly): Are we already defeated, Manetho ?

Manetho : I beg your pardon. I meant if we are defeated .

Panofer (Laughing bitterly) : If we are defeated do not believe any pledge given by Diocletian . (Holding) scipio's arm . Speak young man. Did not Diocletian tell you as you left the ship ? Promise them anything in exchange for Panofer's head ? Promise the safety of Achilles? Promise the safety of Alexandria. Promise the siege to be raised. promise them anything. Pledges! Pledges ! What value are pledges to a conqueror (Roaring) Speak .

Scipio (Embarrassed and half - afraid) : Yes. Yes.

Panofer : My lord Manetho does not want to forget that he was the curator of the library of Alexandria. These are not books. (Growling) This is war. Politics War. How do you believe the Pledges of the cunning Diocletian? Ask for the possible , you get the possible . (Turning to Scipio) And yet we will not be paid in words. Listen, young man. Send your adjutant to bring Saint Martha the Egyptian. Bring her here. Right here, we do not sell Panofer on credit.

(Beating his breast) Our merchandise is ready and we must be paid in kind.I swear to you , by the honour of Achilles. If you prefer , by the honour of Domitius Domitianus. By Roman honour. Hurry, hurry. Let us waste no time. (Scipio looks at Achilles bewildered and expecting an answer. Achilles stands with outstretched arms quite confused) .

Philammon (Draws and strikes in the air with his sword): This is
For Diocletian .

Panofer (Commanding them) : Back to your place , Philamon. Back
to your Place, Apepi. every sword back in its scabbard. In
our country a messenger 's person is sacred. (They all
sheath swords) .

Manetho : Panofer ! You ask for an insignificant price.

Panofer : No.No Martha is more valuable than Panofer. Martha is a
holy saint , while panofer is a damned sinner ... who de-
serves to be hurled in the bottom of hell .

Manetho : This is madness. Martha is not worth Panofer .

Panofer : You do not know Martha. Martha is the soul of Alexandria,
Its flesh. Do You understand now ? We give him the flesh to
retrieve the soul .

Hathor : (Approaches crying) : O holy Monk ! (She kneels down
and kisses his Hand) .

Tafeeta (Approaches crying) : Bless him, ye gods : (She also kneels
down and kisses his hand) .

(Marina Plays with her fingers on the strings of the gui-
tar for a few seconds then stops) .

Panofer : Rise up Hathor. Rise up Tafeeta . I want no tears. I want no
tears .

Manetho : These are mysteries which baffle my feeble understanding .
If Diocletian marches into Alexandria everything will be
ruined . (Angrily) Ask a pledge for the safety of the city,
Panofer .

Scipio : Speak,

Panofer : Draw near .

(Scipio draws near until he stands very closely face to face with Panofer)

Scipio : What do you want ?

Panofer : Martha against Panofer .

(General confusion. Voices say : " No . No. : " Impossible ." "We won't allow it." Hathor and Tafeeta approach anxiously).

Scipio (Looking at him intently with great tenderness) : I accept.

Martha (Comes between Panofer and Scipio brandishing his sword) :

This will never happen if Diocletian wants Panofer let him come himself and take him . (Scipio draws).

Manetho : Keep calm , my son.

Panofer (Examining Scipio's face) : Did he say anything ?

Scipio : That is what he said : Anything that Domitius Domitianus asks for.

Manetho (Anxiously) : Did he say anything?

Scipio : Yes, he said so.

Maretho : Would he accept to raise the siege ?

Scipio (Swallowing his saliva) : Yes , he would accept to raise the siege .

Achilles : This is a trick. (**Proudly**) No.A thounsand times no. Tell your liar of a master that Achilles of Alexandria will never surrender the most loyal of his subjects.

Scipio : Is this final ?

Achilles : Yes . This is final .

Scipio : Then, my lord, I beg leave to go .

Achilles (Tenderly) : I wish you a safe journey, my son.

(**Scipio salutes then walks towards the right door**)

Panofer (Stopping him) : Wait a minute .

Achilles : Let him go .

Panofer : No. Come here, young man .

Panofer : Everything ? Everything ? No. I only know very little . And
yet I know that you have not come here to save Faustina's
life . Do you accept ?

Scipio : Yes, I accept. Five hundred .

Achilles : The exchange of prisoners shall take place at Pharos Palace .

Scipio : Agreed.

Panofer : Diocletian does not send Scipio the Younger, Domitius
Domitianus' forster child, for the sake of Faustina . (**Cun-**
ningly) He is hunting for more valuable game . Isn't that so ?

Manetho (Jumping to naive conclusions) : Perhaps he has come to
ask for peace .

Panofer : No . He has come to ask for Panofer .

(**General confusion**).

Scipio (Addressing himself to Achilles) : This is true . My lord Dio-
cletian asks you to surrender Panofer .

Panofer (Mockingly) : In return for what ?

Scipio : In return for anything Domitius Domitianus asks for .

Apepi (Unsheathing his sword) : Impossible .

Philammon (With his hand on the hilt of his sword) : This
is sheer madness.

Achilles : Yes , of course . We are no longer in Rome . (Straights up) We are now in Alexandria . What does Diocletian want ?

Scipio : He wants to exchange hostages .

Achilles (Comfortd) : Nothing more ?

Scipio : Nothing more, Sir. The lady Faustina for a hundred captives .

Panofer : Five hundred.

Scipio : Are you the Monk ?

Panofer : Yes . I am Panofer .

Scipio (Scrutinizing him) : You ask too much .

Panofer : No. No. Roman blood is blue and therefore dear, while Egyptian blood is base and worthless . Haven't you always said so?

Scipio : Three hundred .

Panofer : Five hundred . It is useless to bargain, Is not this the wish of the Senate ?

The life of Faustina is not worth a tickle to Diocletian, but the patricians of Rome demand that she be saved at all costs. And why not ? Diocletian likes to oblige the Senate in trivial matters .

Scipio : It seems that you know everything about us.

We fought together at Dura, in Cyrensis. When he fell by my side I Carried him with my own hands, (He looks at his two hands) and put him on my horse .

(He looks at the young man proudly) Do you know how many heads we reaped that day ? Twenty. He ten, and I ten .

We laid a wager on the number of heads to reap . Neither of us won. (Heaving a sigh) In the end he won .. won the everlasting rest. (He goes back to his dreamy look and laughs gently) Do you remember how I used to carry you on my back in the Gardens of Catilina ?

(Scipio looks embarrassed and lowers his head) I must say you are very young, considering your rank.

Scipio : I served Rome, Sir.

Achilles : Or you mean you served the master of Rome ? (laughing gently) Never mind. Never mind . They spoil these days. In my time a centurion was twice your age.

And how is my lady Marsigliana ?

Apepi (Reminding him) : My lord :

Philamon : His credentials say so.

(Achilles looks at Panofer queryingly as though he means : “ What shall we do ?

Panofer : Show him in . (He walks away to the extreme left).

(Enter a young and handsome Roman officer , fully accoutred in battle dress, with his short sword buckled to his waist, but he carried his helmet in his left hand. The officer salutes, He is followed by his adjutant).

Officer (Announcing himself) : Scipio the Younger . Diocletian' s servant and messenger .

Achilles (Examining him) : Son of the Numidian ?

Scipio : And great grandson of the glorious Scipio .

Achilles (Scrutinizing him) : Don't you remember me ?

Scipio : Yes . You are Domitius Domitianus.

Achilles : Your father was my friend. A comrade in arms, serving with me in the same battalion . (With great tenderness) How you have grown up, Scipio : Oh, time : Time : I did not recognize you when you came in . (Walking like a somnambulist and talking to Panofer as though he does not know him)
The Nunidian was a hero.

echoes are heard in succession until they fade away).

We shall proceed to the harbour.

Panofer : No. To Naukratis, Achilles.

(Enter Apepi carrying the armour. Achilles takes off his regal mantle and hands it over to Hathor. Apepi helps him to put on his war accoutrement and gives him his helmet and his round bronze shield. Enter Philammon through the right door).

Apepi : Yes Naukratis is the weak point .

Achilles : And who will defend Pharos Palace ?

Panofer : Philammon will. General Philammon will defend the Palace and General Apepi will defend the harbour .

Achilles : Let it be so. What position will Panofer defend ?

Panofer : I shall be with the people everywhere.

Philammon (Hesitatingly) : A messenger is waiting outside, asking for an audience.

Panofer : Let him in .

Philammon (Hesitatingly) : He comes from Diocletian .

Panofer :

Achilles :

Manetho :

} Diocletian ?

Severus (Looking down in deep earnest) : The Monk is right, Achilles.

Hathor : Get us out of this horrible dilemma, Achilles. You are the king.

Achilles (Wringing his bands anxiously and almost dazed) : If what Panofer says is true, then everything is lost .

Apepi : My lord, allow me . My lord Pompeiauns goes at once to Damon of Armant to lead him back with his legions to Canopus. My lord Severus goes to Frisca to lead his forces back to Naukratis.

Achilles : Yes, of course . Yes, of course.

Serverus : Let us save what we can.

Manetho : O ye gods : Have mercy upon us . How will they believe these conflicting orders.

Achilles : Pompeianus, go at once ; and you, Severus, lose no time
(Exit Pompeiarus and Severus through the left door) .
Apepi, bring me my armour. Make ready my horse. (Exit Apepi through the right door) . Philammon. The cavalry trumpet. The infantry trumpet. The battle trumpet. (Exit Philammon through the right door . After a few seconds different trumpets are heard in succession, then their

is indeed a strong assault, but it is spurious. Do you know where his main forces are now ? In Canopus and at Naukratis canal beyond the walls of the city. His plan is to block the aquaducts of Alexandria and cut off our water supply so that we may either surrender or die of thirst . How could I then not sacrifice the tower, not sacrifice Martha with two thousand men ? You are blithely ignorant of the situation. You draw your plans with pencil and ruler while your enemy cunningly works out his strategy. Where are your spies? You do not send them after Diocletian, but after Panofer and the Egyptians. Woe to Egypt . Woe to Egypt . There is nothing to expect now but ruin and disaster .

(As he speaks, there spreads a general confusion . Achilles stands perplexed, then descends from the throne. All looks quite disturbed. A few short, subdued shrieks come from the frightened women. Manetho, Apepi, and Philammon rush to the side of the Monk spontaneously, while the Romans cluster around Achilles).

Manetho : What is to be done ? What is to be done ?

Pompeianus : Don't listen to this raving fool . Diocletian is after the Palace.

Panofer (Greatly upset) : What have you done ?

Achilles : After the tower, the Palace will fall into the hands of the Romans. The Palace must be fortified.

**Severus : And after the Palace the harbour will fall into their hands .
The harbour must be fortified.**

Pompeianus : It seems that General Panofer has a different view.

Panofer (Exploding) : Oh ruin . Ruin . Ruin . You fools . What have you done . The Palace is well-protected. There are fifteen thousand archers stationed in the Palace and its precincts. There are twenty thousand national guardsmen protecting the harbour, backed by two thousand cavalry men. The harbour is out of danger. You were duped by Diocletian's trick. Diocletian has no hope to capture Pharos Palace. After eight months of siege, of incursions and retreats, Diocletian knows full well that he can never gain access to the city unless his forces and ours are completely exterminated . He has attacked the tower fiercely to lead us to believe that he is after the Palace and make us concentrate all our forces there, whereas his real plan is to encircle the city and break through its southern gates. Do you know with how many soldiers he stormed the tower ? With five thousands, so the reports say. It

Apepi : This is women's talk.

Pompeianus : And they say that he frequents taverns.

Panofer : Leave me alone.

Pompeianus : .. and that he frequents brothels too.

Philammon : What is all this nonsense ?

Apepi : Must we be subjected to all this silly gossip ?

Achilles : Then what is the truth ?

Panofer : They say. They say. Listen, Achilles . They also say that my lord Manetho extorts money from the people to fill the royal purse. They say that my lady Hathor is the palace Bawd and that you shower gifts on her because she brings you the dancers of the Temple of Isis.

Manetho (Interfering). Watch your manners, Panofer .

Panofer : Who started this ? You started it. You said I gave up the tower to let Martha be captured by the Romans. You don't understand .

Achilles (Coldly) : We understand everything . This is why we sent Africanus and Diogenes to Damon and Frisca to return with their legions to Pharos Palace.

Achilles : Achilles is asking Panofer : "Why did you give up the tower ?"

Panofer : And Panofer answers Achilles : "Because of military necessity."

Severus (Quietly but firmly) : Where did you learn military science,
Panofer ?

(Panofer looks at him fixedly but does not answer).

Achilles : What necessity?

Hathor (Crying): To hand Martha over to the Romans.

Panofer : Have you lost your mind, Hathor ?

Hathor : We all know that you detest her like poison since the day she...

Panofer (Beseechingly) : Hathor !

Achilles : Then what they say is true .

Panofer : No. No. No. No.

Pompeianus : All Alexandria knows that she refused your bed.

Panofer : O : my God (He staggers. Apepi comes to support him).

Apepi : Enough . Enough.

Pompeianus : Why do you defend him ?

Apepi : Can't you see that he is suffering ?

Hathor : And Martha . Is she not suffering now in the hands of the Ro-
mans ?

Pompeianus : All people are talking about Panofer's desperate love .

Panofer : The nobility. The court . The royal retinue. The generals. We are sick and tired of all this . We crowned you Emperor of Alexandria. The crown of Pharaoh shall be worn only by an Egyptian . We said the crown of Pharaoh shall be worn by Constantine, son of the Egyptian Helena . After he inherits Rome and Byzantium he rules the world from Alexandria.

Manetho : These matters are to be settled after the siege is raised.

Achilles : If this is contrary to the will of the people , we shall give up Pharaoh's crown, Let us go back to the subject.

Panofer : What subject?

Achilles : Do you know that the Romans have occupied the tower of Pharos ?

Panofer : Yes .

Achilles : And that they have captured Martha ?

Panofer (Sighing in deep pain) : Yes .

Pompeianus : Why did you give up the tower ?

(Panofer ignores him and does not answer).

Achilles : Yes . Why ?

Panofer : Who is asking ?

Severus : A battle bugle ?

Manetho : No. The Royal call. From ancient times.

Achilles : For whom they play the royal call ? (All look in the direction of the right door. Enter Panofer).

Pompeianus (Mockingly) : The king : (Bows mimicking the royal salute ironically .Panofer ignores him and walks straight to Achilles who is sitting on the throne .

Philammon comes forward and kneels down before the Monk, kisses his hand and says : “ Bless me, Father.”

Panofer makes briefly the sign of the cross over his head and mutters a short prayer. Philammon stands up).

Manetho (In a half angry tone) : Why the bugle, Panofer ?

Panofer : Don't ask me. Ask the palace-guards.

Achilles (Coldly) : Panofer . Who authorised you to give orders to the army ?

**Panofer (Looking at the double crown of Menes hung over the throne) :
Was this the agreement ?**

Achilles : What agreement ?

Panofer : That you put the double crown of Pharaoh over your head ?

Achilles : This is the wish of the nobility.

Diogenes : Until when you remain passive, Achilles ?

Pompeianus : (Bursting with sardonic laughter) : Panofer, after leading the mob, is leading the army . The mad monk is conducting military operations :

Achilles (Descending angrily from his throne) : Who gave him the authority ? Africanus.

Go and join Damon of Armant . Tell him I command him to go back and defend Pharos Palace .

Africanus : Post haste, my lord.

Achilles : You Diogenes. Go and join Frisca. Tell him I command him to return to Pharos Palace. All must defend Pharos Palace . The tower must be recovered. If Pharos is lost. Then Alexandria is lost. Then everything is lost.

Diogenes : Quicker than the lightning, Achilles.

(Exit Africanus through the left door, then exit Diogenes. The officer salutes, then goes out through the right door. Hathor bursts into silent tears and hums dolefully a song of wakes of professional mourners while Tafeeta plays with the strings of her harpsichord).

Hathor : Farewell, my child :

(Alarm outside. All listen. Achilles mounts the throne).

Officer : She was at her post on Pharos Palace defending the tower.

The Romans attacked fiercely. She sent to Panofer asking for reinforcements but Panofer did not send her a single soldier. He was standing on sands of Cleopatra's beach drawing incomprehensible designs with his cane when they broke the news to him, but he went on drawing his designs as though he heard nothing. When they repeated the news he turned to the Monk Arius and said : "Send Damon of Armant with ten thousand troopers to Canopus and send Frisca with ten thousand to Naukratis canal beyond the walls of the city. Let them wait there, for things shall come to pass." When we returned we found that the Romans had occupied the tower and captured Martha with five hundred of the national guard and shipped them off to the fleet of Diocletian.

Achilles : Is the tower still in the hands of the Romans ?

Officer : The tower is still in the hands of the Romans .

Africanus : And where is Panofer now ?

Officer : Since then he completely vanished.

Achilles : Poor Martha : She fell into their hands . God help her.

Pompeianus : This is utter madness. I told you the man is mad.

Severus : This is unbearable .

... with proud legions and high-helmeted horsemen. But with the mob of Alexandria he has repelled the siege.

In the harbour.. at the city walls .. for eight long months the baffled Diocletian could not find a foothold where he could land his men, and whenever he was able to make a spear-head on the coast, Panofer came and cut it off like the tentacles of an octopus.

(Great noise outside. Enter Egyptian officer panting and in a confused appearance. He bows briefly to Achilles, then rises up quickly).

Officer : They have taken her. They have taken her.

Achilles : Taken whom ?

Officer : They have taken Martha.

Achilles : Who have taken Martha.

Officer : The Romans. The troops of Diocletian . (Achilles stand up thoroughly upset).

Voices : How ?

How ?

When ?

questioning God and raving deliriously : "O God, why did you choose to descend among the sons of Israel ? Why did you not descend in this holy valley of the sacred Nile ? Christ could not have been a Jew ! ". He was crying at the top of his voice : "God descended in Egypt! God descended in Egypt ! " while his tears flowed down on his bushy black beard and dripped on his frock. He almost reverted to the gods of his fore-fathers. When he called Mary we thought we heard him calling Isis. When he called Christ we thought we heard him calling Osiris. Then he fainted and fell down with a foaming mouth and only recovered consciousness when Martha came at nightfall and washed his feet with perfume like a demi-god in the agonies of passion, then departed with the break of day .

Manetho : All this is true, my lord.

Hathor (As though she had seen a miracle) ; O holy Isis : The Monk has a heart !

Tafeeta (Bursting with tears) : We knew not this . May our ignorance be forgiven.

Apepi : We would have been lost without Panofer. For eight long months he has repelled the siege, the longest siege in history.

(Everybody, dumbfounded, look at Philammon. Hathor beats her breast crying : "Philammon ! " Achilles stands up from his throne exclaiming : " Philammon ! " Tafeeta gasps and cries : "Philammon" Severus and Diogenes Interfere to separate them).

Achilles : For heaven's sake keep quiet. Haven't we enough trouble as we are ?

Apepi : Philammon is right. These Roman gentlemen do not want to forget Rome even when they stand before the throne of Egypt. They are engineering trouble all the time . Panofer is a rough man, we all know this . But he is unswerving in matters. Philammena belonged to his Christian faith, , yet that was not help to her. Speak, Manetho. The day Philammena was executed, how did you find the Monk. (Achilles sits down).

Philammon : Let me speak. He was weeping like a frail woman. His tears flowed down on his bushy black beard and trickled on his frock. He only had one thing to say and kept repeating ; Have mercy on her soul, O Lord' place her by the side of Mary, Mother of Christ." He almost went mad. He kept

Pompeianus : We will never leave her to the justice of the Egyptians .

By Roman justice she must be tried.

Apepi : (**Protesting**) : My lord Achilles !

Achilles (Pacifying everybody) : There is no need for that, please.

Apepi : Listen, Pompeianus. Listen, Diogenes. We are all Egyptians here. Egyptians . Do you understand ? Domitius Domitianus is finished. You must forget him. Our lord Achilles is an Egyptian. Is that clear ? His justice is Egyptian justice. Here you are simply Romans in the service of Egypt. Is that clear ? There is no Roman justice in the Royal Palace . If you fail to understand this, we will bring you Panofer to make you realize it .

Diogenes (Intervening) : Let it be so. Let it be so .

Manetho : Curb your temper, Apepi.

Pompeianus (Drawing) : With this I shall reap the head of your monk Panofer. I am a Roman and no one can blame a Roman .

Philammon (Drawing and crossing swords with Pompeianus) :
Slay where you are .We shall all die before one hair of his head is touched.

Pompeianus : We will lead a hundred equestrians to rescue her from prison.

Manetho : To be tried in the court of Achilles ?

Severus : Let it be so : to be tried in the court of Achilles.

Manetho : Think twice, Achilles. A massacre might ensue.

Achilles (Anxiously) : Could it be done without bloodshed ?

Severus : We shall try .

Tafeeta (Sobbing, throws herself upon the steps of the throne) :

Kill him, my lord.

Achilles : No. No. (Taking her by the hand, he helps her to rise and calms her down) Control yourself, Tafeeta. Sit down.

(She goes back to her place) .

Africanus : He carries himself in Alexandria as though he were the king.

Pompeianus : Why don't you arrest him ?

Achilles : No. Let us face facts. He is the king .

Manetho : If we arrest him there will be a revolt against the crown and people will forget the siege of Diocletian.

Diogenes (Protesting) : You mean to say that Achilles is helpless ?

Achilles : Try to understand the situation, Diogenes .

Tafeeta (Taking up the same tune while Marina plays on her strings) :

The sun has sunk beyond the western wave ;

The Skyline caught the twilight's crimson blaze

And in my heart the embers glow

Since sank the setting sun of Philammina.

Marina : One word from the Monk would have saved her life.

Manetho : Panofer is always repeating two words like a parrot : Jus-

tice. The Father - land. Justice . The Fatherland.

Pompeians : This is the fate of Faustina, Achilles.

Achilles (Stung with pain, turns his face away) : Yes . Yes.

Severus : We must save my lady Faustina.

Africianus : She is in the prison of the star-chamber.

Pompeianus : No doubt a hostage.

Severus : No. She awaits trial .

Achilles : When will it take place ?

Apepi : Tomorrow .

Achilles (Wringing his hands with anguish) : What is to be done ?

What is to be done ?

Severus : It is impossible that we leave her to the mob.

defence and talked at length about God's infinite mercy and about his son the redeemer, saying obscure words about marriage whose bond is fastened in heaven and cannot be unfastened on earth. The magistrates, pretending to grasp his meaning, stupidly shook their heads like idiots and seemed to deliberate among themselves. Finally, Imri, the cup-bearer stood up and a deep silence followed. He pronounced in a resounding voice ; "The verdict of this court is that Philammena, daughter of Aury son of Anubis, of the district of Bacchus, lady-in-waiting to Faustina, enemy of the father-land, is found guilty of high treason and shall be put to instant death in the manner prescribed by the law for traitors. " Philamena then lifted up her face to heaven and made the sign of the cross, and the soldiers led her out amid the spiteful jubilation of the uproarious mob and the scathing remarks of the furious rabble.

Hathor : Then at night we went to the prison to visit her, but found out that she had already been executed at sundown and that her body had been sent to her brother Philammon.

(All eyes turn to Philammon who stands pale and rigid like a wax statue murmuring : "God's will is done ! God's will is done ! ")

nine magistrates who looked like an Ennead of devils just emerged from the bottom of hell: a baker, a miller and a carpenter, a fisherman, a procurer, and a donkey - driver, a cobbler, and a cab-driver, Just think, Achilles, this band of ruffians whom they called the People's Tribunal, was headed by Imri, the palace cup-bearer whom we dismissed a year ago because he looted our wine - cellars ... (She remains silent).

Tafeeta : And when the soldiers pushed Philammina behind the bars, the men raised their fists threateningly and women hurled at her filthy words of abuse and smutty jokes, while Philammina blushed for shame and tears gathered in her eyes. Imri smiled complacently, and a famous prostitute, name Toota, whom every Roman soldier knows well, stood up to represent the prosecution. This woman said that the people accused Philammina of high treason on three grounds : that she married one of the enemy, that she helped him to escape, and that she escaped herself to the camp of the enemy. Philammina stood with uplifted head looking at everyone with contempt. Then a Christian priest stood up as Counsel for the

Achilles (Smelling the frankincense) : Why the frankincense ?

Hathor : We were praying, my lord.

Achilles (Surprised) : In the Throne Hall ?

Hathor : For the soul of Philammina, my lord. .

(Achilles shakes his head in grief . Philammon hides his face in his hand and a deep gloom sets in) .

Achilles : Which of you saw the trial ?

Hathor : We were all there, my lord .

Manetho : (At the same time) : I was there with Philammon.

Achilles : How did it happen ?

Manetho : (Stands speechless, his eyes bulging with stupor).

Hathor : Speak, Manetho .

Manetho : What shall I say ?

Hathor : (Walking like a somnambulist and talking to herself) .

The court- room was quite bare, It was in the barracks of Camp Caesar. There were a hundred benches.

The crowd soon poured into the place which became packed with the angry mob. In the uproar were mixed the hoarse voices of furious men, the lewd laughter of indecent women and the shrill screaming of disgusting children . The atmosphere was choking with bad smells. On the rostrum sat

goes out , Hathor prays : “ o Isis ! Goddess of the sacred veil ! Bless her pure soul. Bless her mutilated body. Gather together her torn limbs as you have gathered those of your beloved husband. Lift her soul to the abode of the immortals, there to shine with the brightest stars of heaven by the holy intercession of your wondrous husband, Osiris Khenti Amenti, Lord of Hapu and Chief of the Westerners.”

Marina : Great zeus ! Answer the supplication of the holy Aphrodite.

Tafeeta : Great Ptah ! Answer the supplication of the holy Tefnut.

(Enter Emperor Achilles, Pharaonic dress but still retaining his Roman purple mantle, followed by Manetho who still retains his Greek costume , by Africanus, Apepi and Philammon who are all dressed in Pharaonic costume. Diogenes, Severus and Pompeianus follow, still accoutred in the Roman fashion. The women courtesy very deeply, almost touching the floor. As Achilles ascends the throne the Men also bow deeply. When Achilles makes a gesture with his hand the women rise up and the men stand erect.).

Marina : Whene'er a bark sails on the westward wave,

O mermaids of the sea, forsake your cave .

To bid it farewell in its western grave .

But oh ! without good-bye went Philammina.

Tafeeta : Whene'er the moon is down and black night hovers,

O mermaids of the Nile, forsake your rivers,

With tambourine awake the city-lovers.

To mourn with you the queen-moon Philammina.

Hathor : Enough of that, girls. Enough of that . Tears never bring back
the dead.

Tafeeta : There remains only one hope.

Marina : That A chilles strikes.

Tafeeta : Just one stroke.

Marina: To rid us of this Christian wolf.

Tafeata : It was upon his behest that they killed Philammina .

Marina : As they would kill an innocent dove .

Hathor : A sacred offering on Love's altar. (Going towards the right
door, she claps her hands crying : “ Frankincense! ” En-
ter a slave carrying a burning censer exhaling the smoke
of frankincense . The slave goes around the hall then

side of the throne sits Marina in Greek dress holding a small Greek guitar. Flute music sad and soft, is heard from the neighbouring Reception Hall, punctuated by the sad deep beats of a distant drum Hathor is silently sitting in Pharaonic dress on a sofa looking thoroughly afflicted and nervously wringing her handkerchief).

Tafeeta (Singing while playing) :

Whene'er the wailing wind means in the night .

The melancholy nightingales are put to flight .

Whene'er the rising sun pours in the light .

The sea - waves murmur calling Philammina.

Marina (Responding) :

Like autumn leaves my thoughts are shed and scattered .

My captive soul is bruised and bound and battered.

And in my tower'd palace dreams are shattered.

For she I love is gone, my Philammina .

Tafeeta : The garden of my love is dry and sere,

Dead are my roses, withered around the year,

And birds no longer twitter in my ear :

The one I love is gone, my Philammina.

ACT III

(The Throne Hall in the Palace of Achilles, Emperor of Alexandria. The Pillars are of the Pharaonic type with gilded lotus capitals. The two entrances on the right and the left are also of the Pharaonic type, equally high and both crowned by the emblem of the falcon Horus with outstretched wings. Each entrance is inlaid with gilded stalks always ending with a lotus flower. The fresco on the ceiling shows the zodiac, an exact copy of the zodiac in the Temple of Tentyra (Denderah) , but the dominant colours are turquoise and gold . Many lighted candles in brazen stalks of lotus hang in the corners of the hall. The Throne is placed in the centre of the back wall facing the spectators and on both sides of the throne there are two enormous windows whose glass shows delicately painted patterns. Steps covered with a most luxurious purple carpet lead up to the throne which has overhead the double crown of Menes, the crown of Upper Egypt and the crown of Lower Egypt. A Few pieces of Pharaonic furniture are scattered here and there . On the right side of the throne sits Tafeeta in Pharaonic dress, holding a huge Pharaonic harpsichord. On the left

proud of it because my pure love has made me see the light,
while your sinful love is hurling you into a bottomless pit .

Panofer : Oh ! The slut ! The Slut !

Martha : (**With a resounding voice**) : Come, all of you ! Come to see
Panofer, the great monk, wallowing in the mud (**Exit Martha**
through the right door thoroughly agitated).

Panofer (After a moment of silence) : Oh, my God ! What have
I done ? What have I done ?

(**As though talking to himself**) I have served God . I have
served men. I have only asked for my right to live .

Martha : You closed the doors of mercy, then you speak of love ?

I seek to repent and you say : thou shalt not be forgiven. Philammina asks to be pardoned and you say : justice before mercy.

Panofer (Forgetting himself) : One word from you could save her life.

Martha (Calling out at the top of her voice) : Come, all of you.

Come and witness. Panofer, the great hero, is bargaining over the life of a traitress.

Panofer (Lowering his head, covered with shame) : Forgive me.

Martha : I have forgiven you. Let this teach you to forgive others.

Panofer : Yes. Yes . I am damned . Only you can save my soul.

Martha : I Shall pray for you, Panofer, May you have peace.

Panofer : When shall we get married ?

Martha : I have chosen my lover.

Panofer (Anxiously) : Your lover ? Who is your lover ?

Martha : Christ is my lover.

Panofer (Furiously) : Heresy. Heresy . It is Constantine, you slut.

Martha (Biting her lip) : Yes, It is Constantine, and I am proud of it .

He came and went away like an iridescent angel, Yes . I am

You are an experienced woman. You know what life is . You have known many men. I have known no woman . Do you understand ? No woman. I have met a thousand women but took notice of none, until I saw you dancing in the Palace of Achilles.

Your wild perfume awakened in me something that devoured my soul and flesh, something that devours as faith devours, Yes, faith eats the heart, gnaws the mind, lacerates the body. So does sin. It is something devouring like faith. (He chases her across the room to take her in his arms) .

Martha : Don't come near me. (Sarcastically) What do you know about faith ?

(Pointing to her heart) It descends like an angel with luminous wings bringing peace and solace to the aching heart.

Panofer : Come to me. Without sin. Without sin, For you I shall cast away this frock.

We shall get married. Who said that love is a sin ?

Martha : What do you know about love , Panofer ?

Panofer : You will teach me, You will teach me.

Panofer : But men will never accept it .

Martha : Then I shall roam in the wilderness.

Panofer (Holding her arm) : If you do, I shall also roam with you to
the edge of the sandy infinite.

Martha (Suspiciously) : What are you saying, Panofer .

Panofer : Martha. Listen to me, I want to tell you something. (He
looks around him).

To you alone (He leaves her arm).

Martha : Go on. Speak. .

Panofer : Try to understand.

Martha : I shall understand everything you say.

Panofer (Pointing to his heart) : I am in love with you.

Martha : Impossible !

Panofer : Hopelessly. My doom is sealed. Come here. Come nearer.

Let me touch your exquisite flesh, Let me inhale your odor-
ous breath. (He takes her in his arms and kisses her
arm from shoulder to wrist),

Martha : (Fleeing angrily) ; Go away from me.

Panofer (Imploringly) : Don't ever leave me . If you do I am ruined,
utterly ruined.

Martha : Panofer !

**Panofer : And that you are more seductive in your dancing costume
than in this plain dress?**

Martha : Have you gone mad ? What are you talking about ?

**Panofer (Holding her face with his two hands) : Like a red ruby
radiating blazing flames and inspiring hectic dreams.**

**Martha : I don't understand all this talk. Dancing . Sorcery Beauty.
I never thought that Panofer the Monk would pay attention to
such things.**

**Panofer (Talking to the void) : Like a black diamond spreading fear-
ful darkness that dissipates the light of day .**

**Martha (angrily) : Why do you remind me of my past sins ? Have
you forgotten what I told you .**

Panofer : What ?

Martha : That I shall go to a convent .

Panofer : That is impossible .

Martha : What right have you to prevent me ?

Panofer : They will never accept you .

Martha : God has accepted my repentance .

Martha (Bewildered) : Are you talking to someone ?

(Panofer stares at her)

Panofer : Martha !

Martha : Are you unwell, Panofer ?

Panofer : Are you happy Martha ?

Martha : Happy ? Yes. I am happy. Why do yo ask ?

Panofer (Drawing still farther from her) : Never mind . Never mind .

Martha (Drawing near to him with great tenderness) : What ails you,
Panofer ?

(Panofer stares at her and remains silent)

Martha : Why do you stare at me like that ?

Panofer (Holding her arm violently) : Do you know ...

Martha (Screaming and laughing, disengages her arm) : You are
hurting me .

Panofer : .. that you are the finest dancer in Alexandria ?

Martha : (Smiling) : Indeed ? I have already forgotten .

Panofer : And the greatest sorceress ?

Martha (Reproachfully) : oh, please. Do not revive the past.

Panofer : And the most exquisite woman ?

Martha : Here is to Egypt (She drinks).

Panofer (Drinks) : And here is to Achilles.

Martha (Drinks) : Here is to Constantine.

Panofer (Stung with pain, drinks) : Here is to Martha.

Martha (Drinks) : Here is to Panofer.

Panofer (Sighing sadly) : The sad Panofer.

Martha (Surprised) : What saddens the heart of Panofer :

Panofer (Drinks pretending that he has not heard) : This one also is
to Martha.

Martha (Drinks, still surprised) : And I drink to your health, Panofer.

(Panofer draws far from her, His eyes vacantly turn in
the empty air and look at the ceiling).

Panofer : He is back.

Martha (Unable to understand) : Who is back ?

Panofer : It is he. It is he. Avaunt. Away. Away.

Achilles : How dare you remove their forces from the tower. Don't you know that the fleet...

Panofer : Yes, I know, but they are Romans.

Manetho : Why did you not wait for Achilles' orders ?

Panofer : You expect me to leave them to Diocletian to bargain with them ?

Achilles : And, may I ask, who will defend Pharos Palace ?

Panofer : Apepi and Philammon.

Manetho : With the mob of Alexandria ?

Achilles (To Manetho) : Leave him alone. All civilians must be evacuated from the Palace at once. I shall lead the army myself. Come on, Manetho. Come on. **(With bitter reproach)** Panofer is an uncrowned king. **(A guard sounds the bugle at the left door. Exit Achilles and Manetho through the same door).**

Martha : Panofer. Achilles is incensed against you.

Panofer (Nodding thoughtfully) : Perhaps. Perhaps.

Martha : What did he expect ? You were only doing your duty.

Panofer : He is angry because of Faustina,

Martha : He is jealous of your power.

Panofer : No. No. He will thank me when he knows everything. Let us drink to victory.

(He fills up two huge silver goblets from the pitchers placed on the marble table and gives one to Martha. He raises his cup) Here is to Egypt (He drinks).

Panofer : Not quite.

Achilles : Speak.

Panofer : My lady Faustina.

Achilles (Confused) : Where is she ?

Panofer : We have arrested her.

Achilles (Hiding his face in his hands for a moment, then saying in a low voice) :

Send her to the Royal Palace.

Panofer : She is with the war-captives.

Manetho : Panofer ! How dare you ? She is still her majesty the queen.

Panofer : No. No. She refused the crown of Alexandria. She did not attend the coronation ceremony. She escaped to the camp of the Romans.

Manetho : Then hand her over to her husband Achilles.

Panofer : We are in a state of war. Her place is with the war-captives.

Manetho (Threatening) : You damned...

Achilles (In extreme anguish) : Enough, enough. Tell him the news, Manetho.

Manetho : The latest news : The Roman garrison in Busiris has surrendered to Prince Tadrus; that of Coptos to Prince Timagenes. We have forty thousand captives from Coptos and Busiris.

Panofer (Jubilating) : Blessed be the Lord ! Now all the country is in our hands. At last the great dream is fulfilled. **(Murmurs a short prayer).**

Achilles : Is it true what I have heard of Diogenes and Severus ?

Panofer : Yes. It is true.

Guard (Pulling her gently by the arm) : Let us go.

Philammena : No. No.

Guard (Pulling her roughly towards the right door) : Come on. Let us go.

Panofer (Full of dread and tenderness) : Don't be afraid. Don't be afraid.

Philammena (Screaming as she goes out of the right door) :

Martha ! Martha ! Martha !

(Her voice vanishes gradually. Enter Martha hurriedly through the left door with the echoes of Philammena's call ringing in her ears. She fixes her eyes on the right door).

Martha : That is Philammena's voice.

Panofer : Yes

Martha : What have you done to the poor girl ?

Panofer : Nothing.

Martha : Then why was she screaming ?

Panofer : Because she is going to prison.

Martha : Panofer !

Panofer : I said everything will proceed justly. Don't be afraid.

Martha (Wringing her hands not knowing what to do) : Release Philammena, Panofer.

Panofer : Let us forget about that.

Achilles (Coldly) : Have you finished ?

(Martha realizes Achilles' presence. She courtesies very deeply, exclaiming : "My lord Achilles !")

Panofer (Looking at heaven) : I leave her to justice.

Manetho : Perhaps Achilles has another view.

Panofer : Achilles views only what the People views.

(Achilles goes up and down pondering with obvious displeasure).

Manetho : Who rules the country, Achilles or Panofer ?

Panofer : The People rules the country.

Philammena (Sarcastically) : And Panofer rules the People. (In calm grief, suffering with dignity) Do what you like. I shall face the people and cry at the top of my voice : Come, Take. I accept my martyrdom. If I am a criminal, then my crime is to have loved greatly. Love knows no bounds, no difference of creed or race or colour, no bars between the rags of the poor and the purple of the mighty. Love surpasses all things terrene because it flows from the Godhead.

Panofer : Come along. Take her away. (Enter guard. Panofer whispers in his ear).

Guard : Indeed, Sir, indeed.

Panofer : Follow him. Philammena.

Philammena (Suspiciously) : Where to ?

Panofer : He knows where to go. Don't be afraid.

Philammena : I shall wait with my lord Achilles.

Panofer : No. No. (Achilles turns his back and looks petrified).

Philammena : I shall wait until Martha comes.

Panofer (Ironically) : My lord the Emperor, Philammina is a brave girl. She confesses. She will confess before the court (Cruelly) that she is a traitress.

Philammina (Proudly) : Yes, I shall confess. Do what you like. You call this treason? Since when love is treason ? I understand nothing about your politics. Fighting fighting, this is all I see around me. Egypt, Rome, Rome, Egypt. All this does not concern me. When I eloped with Armanus we hid out in the church. Armanus kissed the cross. He took the sacrament. We were married by the priest. We were dreaming of having fair children, of making a happy home. For me my home is my sheltering nest, my brave kingdom, my country green. Roman or Egyptian, who cares ? He is God's creature. We are all God's creatures. To him I vowed my life. To me he vowed his love. I want nothing else, nothing. nothing.

Panofer (Speaking like a judge) : Love is not love unless it is blessed by God. The country's enemy is God's enemy.

Manetho : Philammina simply made an error of judgment.

Panofer : She will be justly tried.

Manetho : No. No. I beg her life from our lord Achilles.

Panofer : I said she will be justly tried by the People's Tribunal, to be an example to all traitors.

Manetho : Panofer ! You will not leave her to the mob !

Panofer (Sarcastically) : But if she goes on despising us we shall treat her as an Egyptian traitor. Do not forget that she is Achilles'wife, and Achilles now is an Egyptian.

(Philammon is about to leave with Faustina through the left door. Philammena follows).

Panofer (Staying her) : Where to, Philammena ?

Philammon (Before he disappears) : Leave her in my custody.

Panofer : Get along Philammon. **(Exit Philammon anxiously looking behind).**

Philammena : I shall follow my brother.

Panofer (Seriously) : Well said. How wise you are.

Philammena : Let me join my brother.

Panofer (Sarcastically) : Who taught you this wisdom ?

Philammena : Let me go.

Panofer : Did Armanus teach you a lesson in patriotism ?

Philammena (Defiantly) : You are wrong, Panofer. I wanted to join Armanus. but the soldiers protested and said "No women come on board".

Panofer : Ah ! So this is the reason why you came back.

(Sighing ironically) It is love. It is always love.

(Enter Achilles with Manetho and guards. Panofer bows and Philammena courtesies.)

Achilles (Smiling) : I hear words about love.

Severus (Angrily) : Yes. I refuse your hand.

Diogenes : Pompeianus was right.

Severus : No. No. Achilles will put everything right. (The Romans move to leave).

Panofer : Diogenes, before you go. Do you know Diocletian?

Diogenes : Yes.

Panofer : Personally ?

Diogenes : Yes, personally. Why do you ask ?

Panofer : Do you know that he is very cunning ?

Diogenes : Perhaps.

(Philammon approaches Panofer and whispers in his ear).

Panofer : Tell your lord Achilles.. (Hesitating) No need. No need. Go along before he lays his snares in your way. (They approach the left door) My lady Faustina waits. (Faustina stops midway).

(Exit Romans and Apepi through the left door. Philammon and Philammena are also about to leave but are stayed by Panofer. Bugle outside).

Panofer : One moment Philammon.

Philammon : At your service.

Panofer : On your way, put my lady Faustina with the war captives.

(Faustina spits contemptuously but no saliva comes out).

Panofer (Calmly) : She is a Roman. She will enjoy the privileges of an enemy prisoner. (Faustina waves her head and hand contemptuously).

a hunted man. Is there not an order for your arrest ? But we shall not hold you up at this critical time because you are a useful man; because we do not want to antagonize the mob.

Panofer (Cajoling him) : Don't be angry, my lord Severus. Try to understand the situation. It is an absolute necessity.

Severus : What necessity ?

Panofer : Let us speak frankly, You are Romans and we are Egyptians. You are partisans as you call it, but still you are Romans. To-day you may be against Diocletian. but tomorrow you may make up your differences with him. How can I leave the Palace in your hands ? No. No. Neither the Palace nor the walls of the city. Both must remain in Egyptian hands.

Severus : In short, we are captives.

Panofer : No. No. **(Reproachfully)** You have a suspicious mind, Severus. **(Offering him his hand)** This is a word of honour, Egyptian honour. Take the Roman garrison to the Palace of Achilles. He will dispose of you in the manner he likes. Perhaps he will ask you to defend the royal palace, or even the centre of the city. Anything but the coast and the city-walls. Are you convinced now ? You and your men are perfectly free. Do not then talk of Egyptian treachery. I gave you my word of honour. Do you refuse my hand ?

Apepi (Calmly) : Every sword back to its scabbard. You have a choleric temper, Panofer.

Panofer (Going up and down weighing the situation) : I beg your pardon. Apepi...

Apepi (Coming forward) : Yes, Panofer.

Panofer : Can you defend the tower ?

Apepi : With civilians ?

Panofer : Until Achilles comes.

Apepi : When will he come ?

Panofer : He is on his way to us.

Apepi : Yes, I can.

Panofer : And you, Philammon, you defend the coast : the front of the Palace
(To Apepi and Philammon) : Evacuate all the Romans from the Palace. Only the Egyptians will defend the Palace. All the Romans must withdraw to the interior of the city. None but the Egyptians shall remain in Pharos Palace. These are orders and they must be carried out strictly. Whoever resists, slay him to pieces.

Severus : Listen, Panofer. You are an ignorant man. You know nothing of the art of war. Don't you know that one Roman soldier is worth ten of your Egyptian rabble ? Alexandria will fall within one week of the siege. You bear the responsibility alone. If we were not making accounts with Diocletian we would have dealt with you adequately. Do not forget that you are

Diogenes : Let it be so. We shall not waste our time quibbling.

Severus : Achilles is the master of the country.. I shall surrender the standard to him personally.

Panofer : And where are the rest ?

Diogenes : They sailed to Diocletian.

Panofer : What ! sailed to Diocletian !

Philammon : Yes. They sailed to Diocletian.

Panofer : How many were they ?

Philammon : There were Armanus, Rufinus, ten centurions and three hundred footmen. The rest are in the tower.

Panofer (Angrily) : Why did you not arrest them ?

Diogenes (Sarcastically) : Why should we arrest them ? They are Romans. Free-born Romans. Do you understand ? They simply had a different point of view. They thought to serve Rome under the flag of Diocletian and we thought to serve Rome under the flag of Achilles.

Panofer (Furiously roaming about the room) : Vipers ! Vipers ! Martha was right. They are Romans serving Rome under the flag of Achilles. (Threatening with his fist) Apepi ! Philammon ! Arrest them. There are no Romans here. Achilles himself serves Egypt under the Egyptian flag.

Pompeianus (Draws) : Treachery ! Treachery ! On your guard, men. We are captives. (The Roman officers draw their swords instantly).

Panofer : No. No. All Romans go to Achilles. At once.

Diogenes : I said I am staying here with my men.

Panofer : And I said my men will defend the Palace.

Pompeianus (Sarcastically) : Your men ! Do not talk to us about your men. They are bands of mob armed with knives and axes.

Panofer (Furiously) : And yet they defeated you. I won't allow you I won't allow you. **(General confusion)**

Philammon : Be patient, Panofer. My lord Diogenes is right.

Panofer : Shut up. You are still green in judgment.

Apepi (Interfering) : The siege has begun, Panofer. This is not a battle for civilians.

Panofer : We are aware of that. Siege or no siege, the command must be changed.

Pompeianus : We are not captives, Panofer. We have come...

Panofer : Of your own free will. Yes. Yes. **(He ponders).**

Severus : We are Romans. Diocletian has disobeyed Rome, so we disobey Diocletian. This is the way we look at it.

Apepi : My lord Diogenes is right.

Panofer : Surrender your standard.

Pompeianus : No. The standard of the Romans remains in the hands of the Romans.

Severus : We are not captives, Panofer. We are partisans.

Panofer : Partisans. You say partisans. We are all subjects here, subjects to Achilles, Emperor of Alexandria.

Diogenes : You are still Achilles'wife Faustina.

Panofer : Let her give vent to her fury.

Faustina (Contemptuously) : Achilles is the puppet of the Egyptians. I am no longer his wife. You will all be led in the triumphal procession through the streets of Rome. Your heads will all be chopped off. As for you, dirty monk, you will be crucified on the road to Capua with slaves and brigands for vultures to feed on your carcass.

Panofer : Never mind. Never mind. (Turning to the group) Have you come to an agreement?

Apepi : This is General Diogenes. He is first in command here.

Panofer : Welcome to you, Sir. Welcome to you, my lord Pompeianus.
(Pompeianus looks at him superciliously and does not answer)

Philammon : And this is General Severus.

Panofer : Who does not know Severus the Conqueror ? You have agreed ?

Apepi : On everything.

Philammon : The Egyptian flag is now hoisted on the tower.

Panofer (Going round them and scrutinizing them with a questioning look) : Then you have accepted.

Diogenes : Yes, we have accepted.

Panofer : You will go at once to Achilles.

Diogenes : To Achilles ? Impossible. I am staying here with my men.

Pompeianus : My men will also defend the Palace.

Martha : Say it : the queen of prostitutes. I know that he is as lofty as the clouds, as unattainable as the mirage, as pure as the snow-caped pinnacles of Mount Sinai. That is why my soul was possessed by supernatural peace. Yes, this is the secret of my happiness : that I love in the spirit and not in the flesh. Do you understand now ?

Panofer (Tenderly) : Now, now. Go back to the company. They will miss you. I shall pray for you, Martha. (Exit Martha through the left door followed by Panofer's heavy breathing) No. No. Anything but the convent ! Anything but the convent ! (Enter through the left door Apepi with the Roman generals, among whom is seen Faustina and Philammina. One of the officers is carrying a Roman standard).

Panofer : Lady Faustina ! (He bows ironically).

Faustina (Angrily and arrogantly) : You filthy Egyptian ! (Murmurs of discontent).

Diogenes : There is no need for this, my lady.

Faustina : Shut up, you traitor.

Severus : You are now on Egyptian soil, Faustina.

Faustina (With disgust) : Shame ! Shame ! Severus, the conqueror of Gallia, surrenders the Palace. (She covers her face with her hands. With a trembling voice) : Traitors. All of you are traitors.

Panofer (Eagerly) : With whom ?

Martha : With Constantine.

Panofer (Drawing back) : Constantine !

Martha : Do not leave me.

Panofer : Martha !

Martha : From the first sight I knew I was enchained by his love. How my tears flowed and flowed, until my eyes became like dried up springs. Thorns of remorse grew in my heart, and pricked me like pointed thistles. I pray to Christ but I always see the face of Constantine.

Panofer : Enough. Enough.

Martha : Then a strange peace dwelt in my soul and saved me from the hounds of hell. His love purified me. I no longer thought of my body. Do you know how fresh we feel when we go out into wet weather when the spring showers have stopped raining ? This is how my body felt and with my body my soul. I knew that my tears have washed away all my sins. I knew that God has accepted my atonement. So. I vowed myself to Christ when the fighting is over.

Panofer : Stop it, you slut.

Martha : Panofer !

Panofer : You do not love Christ. You love Constantine.

Martha : Are you angry, Panofer.

Panofer : This is sheer madness. Constantine is in Byzantium the king of kings and you are here...

Panofer (Laughing hysterically) : Ha, ha, ha, ha ! Martha in a convent
! Ha, ha, ha, ha ! Martha in a convent ! Ha, ha, ha, ha !
Martha in a convent ! I suppose you will go to the convent in
your dancing costume with your guitars and cithars and
your band of chorus girls ! **(Frowning)** This is sacrilege..
sacrilege .. sacrilege. Do you understand ?

Martha : No, no, no.

Panofer : Do you think that the convent is like your Temple of Isis ?
Have you forgotten who you are, Martha ?

Martha (Trying to kneel down before him but he prevents her) :
Help me, Father ?

Panofer : (Helping her with his hand to rise) : No, no. Do not
confess. Your sins are numberless : as countless as the
sands of the sea; as countless as the stars of heaven. Do
not confess. It is no use. I shall pray for you. That is all I can
do for you. What happened to you, Martha ?

Martha (Sighing) : It is love, Panofer.

Panofer : Love ? And what is new in that ? You were born in the
Temple of love.

**(Gently caressing her hair with a mixture of tenderness
and lust)** You close your eyes on love. You open your eyes
on love. You breathe love with every breath you draw.

Martha : No, Panofer, no. Do not remind me of my sins. This is
something different.

Panofer : We shall see. We shall see.

Martha : From the first sight I fell in love with him. Panofer.

His eyes were blue, of the still sunny blue of Mariotis pool. His fair long hair reached down to his shoulders. His golden beard looked like waves of gold. It seemed to me I was talking to Prince Constantine. With panting breath I said : O Lord ! Why did you not appear to me before my days of thoughtless sin ? When I set eyes on you, love, like gentle lightning, lighted up my murky heart; and when you vanished from my sight my nights were sleepless and sunless were my days. I wept and wept until my eyes were dry and sere. Oh handsome Prince ! Oh holy spouse ! My dowry is my tears. To you I offer all my heart. Will you accept the offering ? He then smiled and patted my hand and answered thus : Precious is your dowry. Take this my ring, for you shall be my bride. And so I said : then you will be thereafter my lord and master. (Showing Panofer her left hand) Look at this ring ! Is it not beautiful.

Panofer (Gazing with amazement at her hand, he sees no ring) :

What ring ? I see no ring ? What happened to you, Martha ?

Martha (Like one waking from a dream) : Panofer ! After we seize the Palace, I shall go into a convent.

Panofer : What are you saying ?

Martha : I shall go into a convent.

Panofer : You go into a convent.

Martha : Yes, I.

Panofer : What are you talking about, Martha ?

Martha : The Virgin has accepted my repentance.

Panofer (Moving both hands before her eyes as though he wanted to wake her up from a hypnotic sleep) : This is magic ! This is magic ! This is magic ! You are under a spell, Martha.

Martha (With a resounding voice) : The Virgin has accepted my repentance. **(Her voice falls)** She lifted her finger, pointing to heaven, and said : My Son, if He pardons I pardon and if I pardon He pardons. I knelt down and kissed the trail of her gown.

Panofer (Bewildered) : Blessed be the Lord.

Martha : And when I asked Him...

Panofer (More bewildered) : You asked Him ?

Martha : Yes. He came and I asked Him. Don't you believe me ?

Panofer : Yes. No. No. I mean : yes. I believe you.

Martha : He came down from the heights, then He stooped down and held my hand saying "Rise up. Rise up. For the sake of the Magdalen all your sons are pardoned".

Panofer (Terrified as though he sees the devil) : You mean Christ !

Martha (Proudly) : Yes. He is now my Lord and Master.

Panofer (Terrified) : Martha ! This is heresy.

Martha (Smiling peacefully) : Do you know whom He looked like?

Panofer : Beware, Martha. Beware.

Martha : He looked like Prince Constantine.

Panofer : You.. saw.. the Virgin ?

Martha : Yes I saw the Virgin.

Panofer (Doubting the sanity of her mind) : Where ? Where ?

Martha : A little while ago. I fell asleep, then I woke up. Didn't you say
that I was weary ? Didn't you say that I should have a rest ?

Panofer : Yes. I said so.

Martha : I listened to your advice. I went out to the palace-garden to
have a rest. There I laid down under a fig-tree and fell
asleep. In my sleep I saw the Virgin all dressed in green.
Why do you teach us wrong things?

Panofer : All dressed in green ?

Martha : Yes. She was not in a blue gown as you always teach us.
She was in a green gown. On her brow there was a
crescent with three stars.

Panofer : That is not the Virgin.

Martha : Have you seen the Virgin ?

Panofer : No. No. Only in pictures.

Martha : I saw the Virgin and she was in a green gown. She smiled at
me and beckoned bidding me approach.

Panofer : Did she say anything ?

Martha : When I approached I asked her : "Is it too late ?"

Panofer : Too late ? Too late for what ?

Martha : She answered : "No." I asked her : "Is there still hope ?" and
she nodded, covered with smiles, saying : "Yes. Oh, yes".

Panofer (To Arius) : Go along with him, Arius. Let nobody do him any wrong. (Exit Arius and Officer. Panofer talking to himself) Martha was right. No negotiations. To-day we raise the Egyptian flag over the palace-tower. (Enter Martha through the left door. She crosses over to Panofer in a strangely serene calm).

Martha (Shyly) : Father Panofer !

Panofer (Tenderly) : Martha !

Martha : Bless me, Father.

Panofer : What is that on your face ?

Martha : Is there anything on my face ?

Panofer (Surprised) : Yes. I see a halo of light.

Martha (Exulting) : Blessed be the Lord.

Panofer (Still surprised) : Have you been praying ?

Martha : Bless me, Father.

Panofer (Turning away obviously tortured) : God bless you. In his boundless mercy may He bless all sinners.

Martha (Shyly) : Yes, I was praying, Why do you avoid me ?

Panofer (Looking intently at her face) : Why is this unusual peace ?

Martha (Dreamily) : I see the light.

Panofer : What light?

Martha : I asked her ...

Panofer : Asked whom ?

Martha : The virgin. Virgin Mary of course. Don't you believe me ?
I saw her and asked her.

Write that Achilles is chosen by the Egyptian people and therefore can only be deposed by the Egyptian people. Also write, Arius, that Egypt has honest enough judges to try the murderers of Rusticanus. Do not forget to say that Panofer is nothing but a poor monk who has no worldly desires... (Biting his nether lip) I mean who desires nothing more than the Kingdom of Heaven. (Staring at Arius and asking bitterly) Is it not so, Arius ? (Arius moves towards the right door) Arius ! Begin the missive : "From peace-loving Egypt, Independent and Sovereign (Exit Arius) (Enter through the right door two mariners and a soldier in a hurry crying : "The Roman Fleet ! The Roman Fleet has appeared". Panofer makes a gesture bidding them to be quiet).

Officer (Warningly) : Think well, Panofer.

Panofer (Roaring) : Is it part of your mission to threaten too?

Officer : No. No. My master, the Emperor, is a peace-loving man.

Panofer (With diabolical defiance) : Tell your master the Emperor : if he wishes to have Achilles, let him come himself and take him. (Softening) No. Tell your master to go back to his country if he truly loves peace. Men of Egypt !

(Enter rushing through both doors crowds of soldiers and citizens). To the tower. To the tower. Follow Philammon.

(Exit crowd chanting the anthem : "Glory be to Pharaoh". Enter Arius carrying a pen and an outspread scroll of papyrus, which Panofer examines carefully, then signs and hands over to the Officer saying : "Fine ! That is fine !").

Officer : My master, the Emperor, did not mention surrender.

Panofer : This is worse. Your master the Emperor wants treason. He wants me to join him and to destroy the nationalists, so that peace and security may prevail in his "beloved province of Egypt".

Officer : Is that not what the Egyptians want ? that they should be ruled by an Egyptian.

Panofer (With cunning sarcasm) : How shall we write back, Arius ?

Arius (Sending his sarcasm) : We give him what he wants.

Panofer (As though dictating) : Then write, Arius :

To my Lord and master, Diocletian, August Caesar of the East and sole Emperor of the two hemispheres. In the name of repentant Egypt I kiss the fringes of your purple mantle. No, no. That is not enough. I kiss the dust on which you tread. (Bursting with laughter) Ha, ha, ha, ha!

Officer (Angrily) : You are ridiculing my master, the Emperor, Beware, Panofer.

Panofer (Pacifying him) : Don't be angry, Don't be angry.

Officer : Then you refuse ?

Panofer (Dictating seriously) : Write, Arius, that peace and security perfectly reign in our beloved Egypt under the banner of our beloved Egypt. Write that all Alexandria cheers with the voice of one man : "Long live Emperor Achilles !" and that Panofer also cheers "Long live Emperor Achilles !"

"It is now our certain belief that the problems of our beloved sons of Egypt, exemplary in loyalty to the glorious Empire, can never be understood except by an Egyptian. Since you, Panofer, enjoy the confidence of our beloved Egyptian people, we have thereupon deposed the unjust and rebellious son of Rome, Lucius Domitius Domitianus, better known to you by the name of Achilles, and it is our pleasure to instate you in his place as Prefect of Alexandria and Viceroy of Egypt on two conditions : First, that you surrender to us this traitor together with his rebellious associates, yielding all those who have taken part in the foul assassination of our faithful servant Rusticanus to the justice of glorious Rome; Secondly, that peace and security should prevail in our beloved province of Egypt. Should you need a striking hand, you will find our fleet waiting outside the harbour for you to command".

Arius : Then... the Roman fleet has actually arrived.

Panofer (Laughing sarcastically) : The sly fox. The sly fox. The cunning Diocletian. He is trying to bargain.

Arius : He speaks of anxiety and unrest. He does not recognize the revolution. He speaks as though he is still the master of the country.

Panofer : He is trying to bribe me, Arius. Ha ! ha ! ha ! If you surrender we make you Prefect of Alexandria and Viceroy of Egypt. Ha ! ha ! ha !

Officer : Which of you is Panofer ?

Panofer : I am Panofer.

Officer (Taking out of his doublet a sealed message which Panofer breaks and peruses) : My master, the Emperor, is waiting for the answer.

Panofer : Where is your master, the Emperor ?

Officer : The Roman fleet is waiting outside the harbour.

Arius : That is a lie. There is nothing outside the harbour.

Officer (Politely) : Beyond the horizon, venerable monk.

Panofer (Reading slowly and aloud) : "From Diocletian, Emperor of glorious Rome, to the pious Monk Panofer:

"Our greetings to you and the greetings of the Roman People to the beloved Egyptian People".

"It has come to us that you are beset by various anxieties and causes of unrest. We have taken note of the many acts of persecution, tyranny, and injustice that have been lately inflicted on our beloved Egypt, the gem of the Empire. We wish it to be Known to all Egyptians that Roman Justice is unscrupulously impartial and for ever awake, ready to smite evil doers and blast the enemies of Roman peace; that the unsheathed sword of Romulus will never go back to its scabbard until every injustice is redressed and all our subjects feel safe to worship their various gods in perfect freedom".

Panofer (With a dangled head) : No. She knows nothing.

Arius : You break your pledge to God.

Panofer : I shall put away the monk's apparel.

Arius : No. No. Never lose hope in God's mercy. Leave everything.

Retire into a monastery, and pray and pray and pray.

Panofer : Leave everything ? Impossible. We must finish what we have started.

Arius (Approvingly) : Yes. You are right.

(Philammon appears at the left door)

Philammon (Looking puzzled) : A messenger from Diocletian. He asks to see Panofer.

Panofer : From Diocletian ?

Philammon : So he says.

Panofer : Have you examined his credentials ?

Philammon : Apepi examined them.

Panofer : (Stepping forward) : Arius, ask him what he wants.

Philammon : He wants to see you personally, Panofer.

Panofer : Grant him safe passage. Has the Roman fleet arrived ?

Philammon : No. Nothing yet in the horizon.

Arius : It is a stratagem. Turn him away. Arrest him.

Panofer : No. No. Give him safe passage. Remember this.
A messenger's person is sacred.

Arius : No doubt Diocletian is threatening fire and destruction.

Panofer : Why did he not go to Achilles ?

(Enter a Roman officer. Philammon waits at the door).

Arius (Drawing back) : Panofer !

Panofer (Stammering) : Come. Let us pray for Martha.

Arius : Yes, indeed. She needs our prayers. (He mutters).

Panofer : She has known many men. (He mutters).

Arius (Raising his eyes to heaven) : God's mercy is infinite.

Panofer : Stay where you are. (Kneeling down before him).

Arius (Puzzled) : Panofer !

Panofer : Pray for me, my son.

Arius : Panofer !

Panofer : Yes. Yes. Panofer is in love. Hopelessly and irretrievably in love. Have you heard me ? I am in love. I love Martha. I loved her since the day I saw her in the Palace of Achilles. Do you remember how she danced for Achilles ? (Stung with pain) For Constantine ? Her body twisted in mortal coils like a seductive snake. Oh, the rhythm ! the rhythm ! Do you remember the rhythm ? And her perfume. It awakes my senses, like a thousand red roses. No. It is black magic. Like a thousand snakes twisting round my body, squeezing, squeezing, squeezing. I no longer pray, my son. (Looking at the ring on his left ring-finger) Oh, mother of God ! Boundless is your mercy. (He bursts into tears, sobbing aloud).

Arius : My God. This is the curse of the Patriarch !

Panofer : The curse of the Church.

Arius : Rise, Panofer, rise. (Helping him to rise) Have you told Martha anything about this ?

Arius : What is the matter, Panofer?

Panofer (Pointing to his heart) : My heart, My heart.

Arius (Shouting) : Send for a doctor !

**Panofer (Laughing hysterically) : This is madness, madness, utter
madness.**

Arius : What is it ? Speak, man.

Panofer : You will never understand. You will never understand.

Arius : Speak, for God's sake. I beseech you. What is it ?

**Panofer (Scours the room staring in the void and pointing to the
ceiling and the corner. The devil ! The devil ! Look ! Look !**

Arius (Bewildered) : What has come upon you, Panofer?

**Panofer : Don't you see it ? It is there. Floating in the air. Here.
Lurking right in that corner. There, there. Hidden in the
ceiling. Can't you see ? (Examining his cape) Right here in
this frock. Yes, in this frock. (Pointing to the left door) No.
No. It has left. It has gone out of that door.**

**Arius : You are delirious. Pull yourself together. The doctor will soon
come.**

Panofer (With hollow laughter) : Come here, my son.

Arius (Drawing near) : Do you want something ?

Panofer : Have they ordained you to receive the confession ?

Arius (Surprised) : Yes. Why do you ask ?

**Panofer : You are twenty years younger than I, but never mind. Come.
Come. Let me confess to you.**

Panofer (Cruelly) : Justice is above mercy,

Martha (Sighing) : Love is blind, Panofer.

Panofer : Yes. Yes. Love is blind, Martha. (He feels weak and staggers. Arius rushes to support him by the arm).

Martha (Anxiously) : What is wrong ? Are you ill?

Arius : Are you sick, Panofer.

Panofer : No. No. Just a passing fit.

Arius : Your face is pale.

Martha (Putting her hand on his forehead) : Your forehead is burning. You have a fever. (She wipes his sweat).

Panofer (Recovering and pulling himself together) : Yes, Martha. Love is blind. Love is deaf and dumb. Love listens only to its own reasons. (Thundering) So is my love for Egypt. It is blind, deaf and dumb. it listens only to its own reasons. Philammina escaped to the camp of the enemy. I have no mercy for traitors.

Martha : Think of her poor brother.

Panofer : Enough. Enough of that. Go, now. Go.

(Exit Martha with her followers through the left door.

Panofer is alone with Arius. He is overtaken again by the fit and almost collapses but is supported by Arius).

Arius (At the top of his voice) : A doctor. A doctor. Call for a doctor.

(A bustle is heard near the right door. A head appears through the door then disappears, obviously to bring medical assistance).

Panofer (Sadly) : No. No. There is no medicine to cure my sickness. I am lost, lost, lost.

Panofer : Marcus Sextus has twenty men-of-war. If they join us we might be able to prevent the siege.

Martha : Let it be as you think.

Panofer (Looking at her face with extreme tenderness) : Martha, your eyes...

Martha (Turning away her face) : Yes, Panofer.

Panofer : Your eyes are swollen. Have you been weeping ?

Martha (Wipes her eyes with her sleeve) : No, no.

Panofer : You look tired, Martha.

Martha : Yes. Yes.

Panofer : You should take a rest.

Martha (Aside with a low hysterical voice) : Eternal rest.
(To Panofer) After Victory we shall all rest.

Panofer : Philammon and Apepi are at the tower. Join them. The people shall fight side by side with the army.

Martha : What about the question of Philammona ?

Panofer (Angrily) : I said no intercession for traitors.

Martha (Trying to calm him down) : Philammona is simply a mad girl.

Panofer : She will have a fair trial.

Martha : You are not going to leave her to the mob if they will tear her to pieces if she falls into their hands.

Panofer : I said she will have a fair trial.

Arius : Do not plead for a criminal.

Martha : I plead for mercy.

Panofer : To the palace-tower, brave citizens.

Martha : To the coast-wing, brave citizens.

Panofer : No, Martha. To the palace-tower.

Martha : Have you seized the coast-wing?

Panofer : No. No. That we attack last.

Martha : What is your idea?

Panofer : There are fifteen hundred Romans in the tower and three
generals.

Martha : Diogenes and Pompeianus?

Panofer : And Severus too.

Martha : All the more reason why we shall attack the coast-wing. This
way we intercept them. They will be stranded in the tower.

Panofer : I said no. We are negotiating with them to surrender the
Palace.

Martha : What negotiations. Kill them off. Kill everyone of them!

Panofer : No, Martha. They might join us.

Martha : We don't need them.

Panofer : Yes, we shall need the fleet.

Martha : Is the Admiral with them ?

Panofer : Yes, he is. Diocletian sailed from Latakia a week ago. He
has a hundred men-of-war. Diocletian is leading the
expedition himself. (General agitation. Confused words.
Shouts of "Down with the tyrant" "Down with the
butcher" ! Martha makes a sign to keep them quiet).

not a light to guide. It is a fog that makes us go astray. Follow your heart, Arius. Do not ask : where is the right road. Just follow your heart, Arius. By faith I fight; by faith the Patriarch preaches peace. One of us will go to hell. Perhaps both of us. Come on. Waste no time, my lads. To you swords. To the gruesome battle. Philammon, take your men and join Apepi.

Philammon : Panofer !

Panofer : Yes, Philammon ?

Philammon : For the tenth time, I want a promise that Philammena be secure.

Panofer : I promise nothing except justice.

Philammon : Write to Achilles.

Panofer : No. no, no. I cannot mediate for a traitor.

Arius : Come on, brave heroes. To victory behind Panofer, our hero of heroes. All the people shout : "Panofer and liberty ?"

(Exit Philammon through the left door followed by his soldiers. As soon as they disappear, Martha rushes through the right door carrying a flag and followed by an armed crowd of citizens. Martha is wearing a long black garment of the type worn by Egyptian peasant women).

Voices : Martha and liberty !

Panofer (Greeting Martha) : All the people cheer : "Martha and liberty !"

Arius : Martha and Panofer !

Martha (Shouting) : Egypt and liberty ! Remember nothing except Egypt and liberty.

(The crowd cheers : "Egypt and Liberty !")

Arius : What has come upon you, Panofer ?

Panofer : But the Patriarch forgets that we are one of the scourges God has sent upon the Romans. With sinners He destroys sinners. God is eternal peace, and yet he suffers war to ravage the world. He is eternal goodness, and yet He suffers evil to prevail. He is eternal mercy, and yet He lets loose the hounds of hell. This is God's justice. He punishes us on earth and in heaven.

Do not think too much, Arius, or you will be confused and damned. This is the great riddle. How can the perfect create the imperfect ? How can good beget evil ? Once upon a time I heard a monk, who was about your age, saying : "He who can remove evil but does not do so is himself evil". He was piteously raving. He kept on asking : "Why does God not remove evil ? Is He lacking in goodness ? Is He lacking in power ? " Then I said : "Peace, young man. For some purpose God created evil and left Satan to corrupt the world". Do you know, Arius, how he answered ? He said : "Then He is trying with us. Then we are mere puppets on His stage and He pulls all strings to construct a show coherent to His mind Alone". I said : "No. No. This is heresy. He suffers with us, because He is within us". To this he answered : "Then He is the play-wright, the actor, and the spectator, all at once". I say do not reason much. Reason is

Philammon : No. Arius, but your turn will certainly come.

Panofer (Still stunned) : My God ! The curse of the Church !

Philammon : He also said that you corrupt the faith of Christ.

Panofer (Dreamily) : What have I done ? Is not redemption the faith of Christ ? All I said was : every Egyptian who redeems Egypt with his blood will go to paradise.

Philammon : And he declared that you are defrocked.

Panofer (Looking angrily at his clothes) : Impossible ! No one can defrock me. (Examining his left ring-finger dreamily). This ring which I wore the day I was betrothed to the Virgin, I shall never take off until the day of my death.

Arius (Sarcastically) : Our father the Patriarch is raving. He wants to drive the Romans out by fasting and praying. I heard him once say : "God alone will send his scourges upon the Romans and rid the country of their evil. All we have to do is to pray contritely and await God's will." When I asked him : "Why did God not send his scourges upon them till now ?" he looked at me suspiciously and said : "Are you trying God, Arius ? If we were not sinners like the Romans, my son, He would have saved us from them long ago".

Panofer : The Patriarch is right, Arius. You do try God with your questioning spirit and your cold ratiocinations.

Second Soldier : Yes. Yes, by Jupiter.

Apepi : This is a miracle.

Panofer : Or a trick.

Second Soldier : No, by Jupiter. This is true. They want to negotiate the surrender of the Palace.

Panofer : Arius, come here. No. No. Apepi, you come here. Ask Diogenes to meet you outside the tower. (Exit Apepi through the left door followed by the Egyptian crowd and the Roman soldiers. Panofer and Arius alone. Enter Philammon through the right door panting and extremely terrified, followed by three Egyptian soldiers brandishing their arms).

Philammon : Panofer ! Panofer ! Woe to you Panofer !

Panofer : What happened ?

Philammon : Don't you know ?

Panofer : Speak, man. What happened ?

Philammon : The Patriarch

Panofer : Where is he ?

Philammon : When he saw thousands of Egyptians carrying arms and disregarding his commandments, he was seized by rage, shouting in the Chapel at the top of his voice : "Panofer is an accursed spirit forever raging and roaming restlessly over the earth. He will never find rest except in the bottom of hell"

Arius : Did he say anything about me ?

Second Soldier (Flabbergasted) : The rest. The rest.

Fourth Soldier : If I am penniless, I go with Christin a

Third Soldier : What about the fifth ?

Fourth Soldier : Jasmina ?

Third Soldier : Is her name Jasmina ?

Fourth Soldier : That is the wife I run away from. **(Singing) :**

Maria has a lovely treat;

Sophia is a warm retreat;

Rosina is plump and sweet;

Christina's a poor man's treat;

Jasmina's a shrew to beat.

(Enter Panofer, Arius, and Apepi, drawn, through the right door, leading a band of armed mob. A fight ensues, lasting only two minutes, after which the Roman soldiers lay down their arms. Some of them shout "We are on your side").

Panofer : Leave them alone. They are drunk.

Apepi (Pointing to the crowd) : Follow me.

Panofer : Proceed carefully, Apepi.

Second Soldier : They are all in the tower.

Panofer : To the tower.

Second Soldier : You do not need to assault them.

Panofer : What. do you mean ?

Second Soldier : Severus, Diogenes, and the Admiral are for Achilles.

Apepi : Marcus Sextus !

Third Soldier : I am for myself.

Fourth Soldier : And I am for all.

Second Soldier : This is a problem. How do you solve it ?

Fourth Soldier : It is very simple. I fight with the winner.

Third Soldier : And I never fight at all (He makes a gesture denoting that he always dodges in a real fight).

First Soldier (Frowning) : I am for Diocletian.

Second Soldier : What are you waiting for ? Go. Run along before the Egyptians catch you.

First Soldier : What will you do ?

Second Soldier : As soon as they arrive we shall lay down arms of course. (Exit First Soldier through the left door).

Third Soldier : Rufeia is a sweet girl. (Pointing to the marble tables and screaming : "Wine ! Wine !" They all rush to the pitchers and the goblets and drink greedily).

Second Soldier : Like sugar-candy.

Third Soldier (To Fourth Soldier) : Do you have a girl friend?

Fourth Soldier : Ha. ! ha ! ha ! Five. Four Egyptians and a Greek.

Third Soldier : Amazing !

Second Soldier : This is a problem. How do you solve it ?

Fourth Soldier (Taking a coin out of his pocket to illustrate his method) : Very simple. I throw up the coin. If it is heads, the night is with Maria. If it is tails, the night is with Sophia. If it falls on its edge, the night is with Rosina.

Philammena (Proudly and with disgust) : Yes, the Egyptian. Better than your Roman women. I follow my husband to the end of the world.

Armanus : Pharos Palace is overrun by the mob. If you do not hurry to the tower they will soon overtake us.

Pompeianus : What about our men ? What shall we do with them.?

Severus : They are free-born Romans. No forced loyalty. Those who want to join Achilles, let them stay in the tower.

Pompeianus : What about those who want to join Diocletian ?

Marcus Sextus : I shall give them a man-of-war to sail in.

Pompeianus : Agreed.

Armanus : Let us go. Let us go.

Pompeianus : No. I am staying here. I have changed my mind. Marcus Sextus is a shrewd man. If Achilles is left alone with the Egyptians he will be at their mercy.

Armanus : What shall I do, my noble Commander ?

Pompeianus : Sail at once with Rufinus to Diocletian. He needs your experience.

(Exit Roman generals hurriedly through the left door.
Enter through the right door, almost instantaneously,
four Roman soldiers).

First Soldier : Are you for Achilles ?

Second Soldier : I am for the Egyptian Rufina.

First Soldier : And you ?

Rufinus : It is time to come to a decision. Pompeianus.

Pompeianus : I am for Diocletian.

Rufinus : And you Severus.

Severus (With hand on hilt) : I am a free-born Roman and I shall never return to Rome before the tyrant Diocletian falls. I am for Achilles.

Rufinus : What do you say, Diogenes.

Diogenes : I am with Severus. If my capital is not Rome, then let it be Alexandria. I am for Achilles.

Rufinus (To Marcus Sextus) : And my lord the Admiral ?

Marcus Sextus : I am for Achilles, because Achilles is for Rome.

Pompeianus : How is that ? I thought you said...

Marcus Sextus : Achilles needs us to protect him from his Egyptian wolves. Achilles needs Romans.

Pompeianus (Deliberating) : Ah ! I see.

Rufinus : I am with Pompeianus.

Armanus (Stepping forward and unsheathing his sword) : And I am with Pompeianus.

Pompeianus] : Armanus !
Diogenes]

Armanus (Coming forward and leaving Philammina behind) : Yes, I am able to escape from the Lazaretto. Philammina helped me out and escaped with me.

Rufinus : The Egyptian !

Voices: A Christian ?

Diogenes: No. No. You do not understand Diocletian. I know him better. All he is interested in is power. He brings offerings to Jupiter and the Roman gods to please the Romans. He condones the excesses of the Christians to please the slaves of the Empire. But in his heart of hearts he holds only one thing sacred, and that is Diocletian. He looks calm and clement, but in reality he is more cruel than his two partners. Maximian and Galerius. He never takes by force what he could take by diplomacy and gentle words. Yet he is fiercer than a tiger when he meets with effective resistance. When he wants to destroy an opponent, he gets Maximian and Galerius to arrange for massacres and assassinations, then he interferes like a merciful father to repair the damage caused by his partners. This is how the Dalmatian slave came to be the Emperor of Rome .

Rufinus: That is true. Frisca is a secret Christian. So is his daughter Valeria. These are not mere rumours. They are facts. Do you know that four of his eunuchs in Nichomedia are Christian ?

Diogenes: Everyone knows that Frisca and Valeria have filled public offices with their fellow-Christians.

Pompeianus: And the royal centurions. Half of them now are of this accursed fraternity.

Rufinus: Alas ! the twilight of the gods has set in. Diocletian has let loose the Christians and permitted them to hold their rites in the open. They have increased and multiplied and become a public menace, both rich and poor flock to their faith. The army itself is full of their venomous propaganda.

Diogenes: Reports come every day of soldiers laying down arms and refusing to fight, claiming that killing is against their Christian conscience. What keeps silent, Marcus Sextus ?

Pompeianus: Marcus Sextus is thinking of his dear fleet.

Marcus Sextus: Yes. The fleet has become a hot-bed of Christian mutiny. I think Rome stands on the edge of a disaster. If this mutinous spirit spreads amongst the soldiers, we shall not be able to defend the Empire against the incursions of the barbarians.

(Armanus and Philammena appear at the right door unobserved).

Rufinus: You know, I am beginning to suspect that Diocletian is (His voice falls as though letting out a secret) a Christian .

Even the great Julius and Augustus himself did not attribute to themselves divine titles. But Dicoletian learned all this empty pomp from the kings of the orient since his wars with the Persians. We have lived to see the free-born Romans ruled like the slaves of the east.

Severus: The tyrant has put an end to the Republic.

Diogenes: And destroyed the Senate.

Severus: Yes. Yes. Diogenes. He forfeited the liberties of the Romans and sent their patricians into exile .

Pompeianus (Sighing in grief) : Worse. Worse. He moved the Capital of the Empire from eternal Rome to Asia Minor. Diogenes. Severus. Enough of this. To me this was the most horrible crime perpetrated by this foreign slave. Nevertheless, my mind is made up. I shall fight under his banner until it pleases the great Jupiter to rid us of Diocletian.

Severus: I am a free-born Roman. I shall never fight for the rule of eunuchs in the Eastern Empire.

Rufinus: I, Rufinus, high-priest of the great Jupiter, hate Diocletian more than anyone does ; and yet I say we must fight under his banner for Rome's sake. I ask you : who threw discredit on the great gods ? It was Diocletian. Who let accursed Christianity creep like a venomous snake everywhere in the Empire ? It was Diocletian. And yet I say : for Rome's sake fight under his banner.

Severus: Rufinus. I heard it said that his wife Frisca was secretly converted to Christianity .

Diogenes: If ? Consider it already lost .

Pompeianus: Then we shall not be able to divert the India trade-route to Libya .

Severus: Listen Pompeianus. We have completely lost control of the interior of the country since our garrison of Thebes surrendered. All that remains to us is this wing of Pharos Palace. Let us face it.

Diogenes: I say we should evacuate this hall. The Egyptians have seized the palace-garden, the stables, the cellars, and the kitchens. In fact, all we have now is the tower and the coast-wing. If we hold out we must expect to bleed heavily.

Severus: Pompeianus, my opinion is to surrender the Palace and side with Achilles.

Pompeianus: This is utter madness, Severus. Emperor Diocletian has sailed with his fleet from Nichomedia. If we hold out two days reinforcements will certainly come.

Severus (Contemptuously) : You know my opinion of your August Emperor. I shall never fight under the banner of this Dalmatian slave. You have more reason to resent Diocletian than we have, Pompeianus. Did not your uncle Anulinus buy him as a child from the slave-market?

Pompeianus: Do not remind me, Severus. That was in Diodé where he was born. My uncle bought his father and mother for fifty pieces of silver. The whole family: father, mother and son for fifty pieces. And now think of it. He is the master of the world. Do you know what they call him now ? Your Majesty !

ACT II

(A hall in the Pharos Palace - where Ras-el-Teen Palace now stands - with one door on the right and another on the left. A door in the centre leads to a terrace overlooking the Palace garden. Close to the middle of the right and left walls are two identical narrow but elongated marble tables with high, curved legs. Each table carries an enormous mirror which is set into the wall. Near the back wall stand two marble benches somewhat spaced and in the corners there are armchairs made of alabaster. The hall has four columns of the Roman style in its four corners. At the deep end of the right wall is a high Roman arch obviously leading to a corridor, and opposite it is an identical arch in the left wall. The Roman generals : Severus, Diogenes, Pompeianus and a number of staff-officers are with Marcus Sextus, admiral of the Roman fleet at Alexandria and Rufinus, high-priest of Jupiter, discussing the surrender of the Palace) .

Pompeianus: And the situation in Busiris ?

Severus: Very critical.

Pompeianus: And in Coptos ?

Severus: Worse .

Pompeianus: If we lose Coptos .

tians and sends his drunken soldiers to desecrate and sack their churches. Also do not forget to mention the bribes he used to extort from wealthy Egyptians to spare them his ugly persecution. Mention everything in detail ...

(Bustle outside. Enter Philammon in a great hurry through the right door panting and extremely pallid) .

Philammon: Sir ! Sir ! Rusticanus is murdered. They found his body on the great marble steps of the Palace with a dagger in his back. **(General confusion).**

Achilles (After a moment of silence) : Write nothing, Manetho. **(Shaking his head regretfully)** Rome will now think that we are a band of killers and assassins. In the morning we shall deliberate what to say to Diocletian and the Senate. But until the morning comes, let everthing proceed according to plan.

(CURTAIN)

Africanus: What is the meaning of these enigmas ? Woe to us if we listen to soothsayers .

Achilles: Go , now, Martha. Get ready for the party. Go with her Philammon and tell them to be hospitable to her, then come back as soon as you can. (Martha, bowing, almost touches the ground. She retreats with her back to the right door preceded by her female assistants. Achilles looks at Constantine, then at the vanishing Martha) One more word, Martha. You may also tell Alexandria that there is a place for Christ among these gods (He points to the busts of the Roman gods. Martha takes another deep bow, then leaves followed by Philammon) . Apepi, come here .

Apepi (Approaching) : Sir.

Achilles: Immediately after the party you begin the arrests. Start with Rusticanus.

Apepi: Certainly, Sir.

Achilles (Slowly as if dictating) : And you, Manetho, write a letter to Diocletian, Emperor of Rome, concerning Rusticanus. Tell Diocletian that we have dismissed and arrested him because it was proved to us beyond all doubt that he, though Commander of the garrison of Alexandria, speaks insultingly of the gods of the Egyptians and, instead of maintaining peace in the city, he foments endless trouble. Tell him that he daily violates the old Imperial licence granting absolute freedom of worship to all citizens of the Empire and that he is constantly plotting to prepare massacres for the Chris-

or. She examines his face, half conquettishly and half in deep earnest, and strikes him on the cheek with her silk scarf).

Martha: And who is this handsome cavalier ?

Achilles: How curious you are, Martha!

Martha (Speaking like a fortune-teller) : I read great secrets in his eyes.

Achilles: So you read fortune as well as dance.

Martha: Yes. I learned soothsaying in The Temple of Isis. I read in his eyes that he will change the face of the earth.

Panofer (Goes to one side of the stage and mutters in an audible voice. Spellbound, his eyes move between Martha and the ceiling) : A vision ! A vision !

Africanus: What does he say?

Panofer: I see a jet-black dove coming from the orient, from the Temple of the Sun; thirsty, thirsty, she flutters over the water; she falls into the sacred pool, then comes out as white as the snow on the pinnacles of Mount Sinai, as effulgent as the Holy Ghost. She perches on the altar of the Lord, singing : " I am the Offering, Hallowed be His name".

Africanus: The man is raving.

Achilles: What do you say, Panofer?

Panofer: Nothing, Sir. Nothing.

Martha (Equally spellbound as though she understands his words) : Amen ! Amen !

Achilles (Embarrassed) : Quite obvious. Quite obvious. But if your lady Faustina prefers another dancer, what am I to do ?

Martha (Back to her rage) : Prefers ? Prefers ? **(Proudly)** I am the best dancer in Alexandria. The question is :? Martha is a Christian. **(Showing with diabolical defiance a small gold cross hanging on her breast).** This is it. Have you seen it ? No Place in the court for a Christian dancer. That is Faustina's opinion. All Egyptians know that. If that is also Achilles' view let him speak out frankly. Alexandria is waiting for the answer .

Achilles (Looking in bewilderment to Constantine and the others) : What can I say ? It is not my custom to interfere in such matters. But do not be disturbed, Martha. You shall dance to-night in the court party. **(Soft rhythmic string-music is faintly heard from the interior. Martha performs a brief dance across the whole stage and concludes the last movement by prostrating herself at the Prefect's feet. The Prefect takes her by the hand and helps her to stand up, patting her hand). (This scene can be further enlivened by two female dancers, of Martha's troupe, ...flitting through the right door in Craeco-Roman dress to join their mistress in a ballet dance).**

Achilles: You may tell Alexandria that there is a place in the court for a Christian dancer.

(Martha, magnetized, draws very closely to Prince Constantine, as though attracted to him by a magic pow-

main unperturbed, smiling placidly) .

Achilles (Making a gesture to the two guards to leave) : Leave her alone. (Exit the two guards through the right door).

Come here. Draw nearer. Who are you ? What do you want ?

Martha: Are you the Prefect ?

Achilles: I am the Prefect .

Martha (Confused by his imperturbability) : I .. am .. I am Martha. Martha the dancer.

Achilles (Looking at her intently) : Ah, we have heard much about you. You are more famous in Alexandria than the Prefect.

Martha (Shyly) : I beg your pardon, Sir.

Achilles: What is it you want from the Prefect ?

Martha (Back to her former rage) : They refused to let me in. Hathor, the high-priestess of the "goddess" Isis (biting her nether lip at the word "goddess"), agreed with me to dance to-night in the court party. I came with my band and instruments and the chorus-girls assisting me, but when we tried to go into the reception hall the guards stopped us saying that I am not to enter the Palace by order of Faustina ... I mean my lady Faustina, your wife. They tried to throw me out by force. (Proudly) But I am Martha (her hands clench convulsively); Martha .. a tigress when provoked (she suddenly moves in a calm seductive rhythm with her hands vampishly interlacing behind her head), but, when pleased, as gentle as the April breeze .

great Byzantium, rightful seat of the saintly Helena; and when I have restored the unity of the world under one sceptre, I swear to move the seat of the Empire to Alexandria. Only then shall I wear the Double Crown of Pharaoh, my noble ancestor. Let this be my solemn pledge to you .

Apepi (Dreamily) : Glory be to Pharaoh !

Philammon: Lord of the two lands.

Manetho (Enthusiastically) : Alexandria is your crown .

Apepi: Egypt is your throne .

Philammon: The whole earth is the dust you tread on .

Manetho (Recovering his former mood as though from a delirium and soliloquizing in a low voice) : Thus we used to sing for Aemilianus.

(A great noise is heard near the right door and the voice of a woman in fury screaming "Let go : Let go my arm; I must see him", mixed with male voices crying "Impossible". "Come back; come back". Enter Martha the dancer, dressed in dancing costume, rushing inside and crying; "Noble Prefect ! Noble Achilles! She is followed by two guards who look perplexed, their clothes disordered as a result of the dancer's physical rage. Martha is a violent young woman, about twenty-five, full of animal femininity. In her turbulent disposition and shifting moods, she can be as gentle as the April breeze and as ferocious as the wild tigress. Her entrance causes a general commotion. Only Achilles and Constantine re-

high-priests must be present in person. Remember that Achilles will sit on the throne of Pharaoh. If they do not appear in the investiture, their subjects will never accept your authority as lawful.

Manetho (Disturbed) : What is this, Africanus ?

Panofer (With a thundering voice) : No one but an Egyptian shall sit on the throne of Pharaoh.

Arius: No one but Constantine shall sit on the throne of Pharaoh .

Manetho: Achilles, you shall wear the Imperial Crown, but not the Crown of Pharaoh.

Achilles: Yes. Yes. I shall rule in the name of Empress Helena the Egyptian.

Panofer: Until Constantine comes back to us ...

Apepi (With a thundering voice) : To sit on the throne of his ancestors.

Arius: (With a thundering voice) : This was our pledge to the people.

Achilles: Yes. Yes.

Panofer (Enthusiastically) : The Great Constantine.

Arius: God's flaming sword.

Constantine: I Constantine, son of the noble Constans and the pious Helena, will not come back to you until I recover my father's throne and rule with righteousness and justice from farthest Britain to drowsy Hibernia and the Pillars of Hercules. I shall not come back to you before I recover the Imperial Crown of Rome, my rightful inheritance usurped by the butcher Maximus; not before I have driven the slave Diocletian out of

Manetho (Sadly) : But the worshippers of Ammon, Ptah, and Thoth will not follow him to death without hesitation .

Apepi (Disgusted) : My lord Maenetho sees nothing but darkness everywhere .

Manetho (Angrily) : Watch your manners, young man.

Apepi: If we listen to him we will do nothing.

Manetho (Appealing to Achilles) : Sir, do you allow this ?

Achilles: More respect to the wisdom of old age, Apèpi.

Manetho: The country is torn by a hundred factions who distrust each other. They all hate the Romans but each of them wants independence for its own advantage. Each faction asks : what will become of us if others seize power .

Panofer: Secret agents work in the dark, setting one Egyptian against another. Those of Thoth hate those of Ammon; those of Ammon hate those of Ptah; all hate the Christians and the philosophers hate all. The city is full of foreign gods .

Manetho: Keep calm, Panofer. Do not fan the fire.

Achilles: Very soon all shall live in peace. Foreigners as well as Egyptians shall live in peace. Freedom of faith for all. Justice and equality for all.

Manetho: For this we fight.

Achilles: Manetho. Ask the high-priests of Ammon, Thoth, and Ptah to tour the country urging their adherents to support Prince Tadros.

Africanus: Not yet, Achilles. Have you forgotten the coronation ceremony ? They can only leave after your coronation. All the

The greedy Zenobia sold us to the Romans. She extended her dominion to Egypt and accepted to rule us in the name of Emperor Aurelian. A foreigner chasing a foreigner, most naturally takes his place. I depend on no allies. I depend only on myself and the gracious gods .

Achilles: No, Manetho, no. You are too pessimistic. Had this great queen known that your common struggle was the only way to freedom, she would have spared you all those disasters.

Apepi: With 50,000 warriors we can defend the South .

Manetho: Zealous words of zealous youth. You mean with pacts and alliances we try to defend the South. Not more than seven years after the failure of Timagenes, Firmos of Alexandria led his revolt and expelled the Romans. But he made the same mistake .. the same mistake. He depended on Palmyra's troops and on the Blemmyes tribes. In my opinion, Zenobia should withdraw her troops from Rafa and Sinai to defend her own country and to defend Antioch and Palmyra.

Constantine: Manetho is right. You should open a second front in Syria. Send to Zenobia to besiege Palmyra and to try to capture the great arsenals funded by Diocletian in Antioch, Emesa, and Damascus. Timagenes will defend the Thebaid all by himself and Prince Tadros must shift his headquarters to Tanis, east of the Delta. Tadros is the idol of the Christians and they will follow him to death without hesitation.

Zenobia? Waballath. The Nubians. The Blemmyes. Alas !
All this reminds me of poor Aemilianus and his sad revolt .

Africanus (Reproachingly) : Manetho !

Manetho: Shall I hold my tongue, Achilles ?

Achilles: In short, Manetho would rather have us wait.

Constantine: Until when ?

Manetho: Until we have trained an army of peasants, at least 100,000 men. Only the Egyptians will liberate Egypt. Have you forgotten Aemilianus ? He was strong and sure of himself; as strong and sure of himself as you are, Achilles. But he thought of Alexandria and forgot Upper Egypt. When the Ax-
iomites invaded the Thebaid and he withdrew his forces from Alexandria to repel them, he left it defenceless for Theodotus to recapture and raise to the ground. Then think of the noble Timagenes. Consider why he failed. Only seven years after the tragedy of Aemilianus, when this great Egyptian prince revolted against Emperor Claudius he had to appeal for help to Zenobia, Queen of Palmyra, who sent him general Zabda With 70,000 men.

Damon (Enthusiastically) : Say not a word against the noble Timagenes. Did he not rout Phrobus' army at Babylon ? And was not Egypt about to achieve her independence?

Manetho: "About". This is precisely what I meant. Each time "about" to achieve her independence. But has she achieved it ? No.

Touaregs will emerge from the desert to combat the Romans in Numidia and the Atlas Mountains.

Constantine: Our chances are great. The little fleet, loyal to Empress Helena, has secretly sailed from Byzantium. Nineteen men-of-war will reach Canopus tomorrow. You will supply them with Egyptian uniforms. I want no leakage of the news. It will jeopardize the position of Helena and will give Diocletian a pretext to destroy the Empress.

Achilles: Indeed, Sir. If everything goes well, Alexandria is sure to fall into our hands in twenty-four hours.

Manetho (Shaking his head ruefully): The problem is not in Alexandria.

Constantine: Where is the problem?

Manetho: Speak, Achilles.

Achilles (Patting him on the shoulder): You have no need to worry, Manetho.

Manetho: The problem is in Luxor and Rafa.

Achilles: But the Blemmyes tribes have pledged themselves not to invade Luxor from their positions near the Red sea as they did in the time of Aemilianus' Revolt, and the Nubians promised not to push further north than Aswan.

Manetho (Gloomily) : Then prepare yourselves for the auction. Achilles bribes the Nubians and the Blemmyes to remain neutral. Diocletian bribes them to invade Aswan and Luxor. What do you think will happen if Diocletian's bribe exceeds that of Achilles. Then how do you trust Waballath, son of

nus has proved to me that you were responsible for the riots that took place in the temple of Jupiter and Juno .

Panofer: The gods of the Romans are the gods of the enemy .

Achilles: You forget that they are the gods of the men I command.

Panofer: (Does not answer)

Achilles: This is why I signed a warrant for your arrest .

Panofer (Taken aback with bewilderment) : But

Achilles: Make out your plans with Africanus, then hide out before daybreak. You are warned not to be seen in Alexandria by my soldiers after sunrise. Achilles rules by one law : freedom of worship for everyone, justice and equality for all. Where were we Manetho ?

Manetho: Here is a proclamation to all Roman soldiers of divided loyalty between Achilles and Diocletian, pledging security of person and property if they lay down arms and take no side in the battle. (Unrolling another scroll) And this is the decree appointing Prince Timagenes governor of the Thebaid and Upper Egypt. The remaining decrees are in your office .

Achilles: Send a copy of this to everyone concerned.

Manetho: Shall I notify Diocletian ?

Achilles: As from tomorrow, it will be no concern of Diocletian's in Nichomedia whom we appoint to office in independent Egypt .

Constantine: Any news from your allies, Achilles?

Achilles: All is in perfect unison. They will all rise at the same time: Julian in Carthage, Kama in Mauretania, and fifty thousand

procession of the slave Diocletian and burn offerings to the idols of Rome. If they find me out they would tear me to pieces. But the Egyptian Helena has taught me to wear a hundred masks until God's will be done.

Arius (With a terrible voice) : Christ also said : "Think not that I am come to send peace on earth : I come not to send peace, but a sword" .

Panofer: But the Patriarch does not-understand this. He is living in an ivory tower. He speaks of the strength of the meek, of the power of the disarmed, of the conquests of the spirit. Fortunately, my followers everywhere are ready to carry arms. However, His Holiness promised to help in another way. He promised to order all Christian soldiers to lay down arms and leave the Emperor's legions to live for Christ.

Constantine: For this we shall fight .

Apepi: I humbly beg your pardon, Sir. Not for this, but for Egypt we shall fight. (Everyone looks at him) .

Achilles: Tomorrow each shall worship his god in peace. Africanus, when we finish, go with the Monk to my office and discuss the plan with him. Give him all the arms he asks for to distribute among his men. One last word, Panofer.

Panofer: Yes, Achilles

Achilles: Raise your arms against the enemies alone.

Panofer: This is what I do.

Achilles: No. Your fiery spirit needs to be strongly bridled. You complain of persecution, and yet you persecute others. Rustica-

use. (While Panofer recites the verses from the Sermor on the Mount, Constantine Kneels down; Achilles and Philammon follow his example, muttering a short prayer; they all rise when they finish).

Constantine (Hiding his face in his hands) : Enough, enough. Religion is one thing and the State is another.

Panofer (To Achilles in amazement) : So you are one of us, Achilles !

Achilles (In profound grief) : Yes. Yes. (He looks at Manetho, Damon, Frisca and Apepi distractedly, then walks like a somnambulist to the busts of the Roman gods nearest to him and gently passes his hand over their faces). How happy you must be, Manetho, to be able to worship your god in the open. And you, Apepi, you walk proudly and unafraid to the Temple of your god Tnoth whenever it pleases you. As for me, I worship my God in closest secrecy, when I am left alone to myself in my bed-chamber. Even in my bed-chamber I fear the watchful eyes of my pagan wife, Faustina. In the halls of my own palace I look right and left that I may not be seen by anyone. I, the Prefect, Emperor Diocletian's deputy, I have to burn offerings to these idols because my Emperor worships the gods of Rome. Miserable me. Miserable me.

Constantine: And I, Constantine, am I less miserable than you, Achilles? My mother, the pious Helena, nurtured me since the cradle in the faith of the One God and of our Saviour Jesus Christ. Yet I have to conceal my faith when I walk in the

Panofer (Sadly) : Twenty sided with his Holiness the Patriarch and twenty sided with me. Our father the Patriarch said : "No Christian shall carry arms. Passive resistance is the way to salvation". I said : "The Romans sow the seeds of evil in the country and therefore they must be uprooted". His answer was: "Christ said: Ye have heard that it hath been said An eye for an eye, and a tooth for a tooth : But I say unto you that ye resist not evil: But whosoever shall smite thee on the right cheek, turn to him the other also' ". I said we must hate the enemies of the country. He answered : "Your lord and mine said : 'Ye have heard that it hath been said: Thou shalt love the neighbour, and hate thine enemy. But I say unto you. Love your enemies, bless them that curse you, do good to them that hate you, and pray for them who despitefully use you, and persecute you' ... Blessed are the meek: for they shall inherit the earth... Blessed are the peacemakers: for they shall be called the children of God .. Blessed are ye, when men shall revile you, and persecute you, and shall say all manner of evil against you falsely, for my sake' " When I said : "The Romans plunder our riches and use us as beasts of burden" the Patriarch repeated : "And if any man will sue thee at the law, and take away thy coat, let him have thy cloak too. And whosoever shall compel thee to go a mile, go with him twain' ". We argued to no end. It was no use, no use, no

in the Holy Concilium. His religious ideas do not appeal to them. But this young monk is fire and thunder when he speaks to the multitudes. When he is full of pathos, their tears flow down on their cheeks; when he is full of wrath, their blood burns in their veins. He also can argue with the holy fathers for ten hours and never flinches. I say there is a spark of the Godhead in him, (He shrugs his shoulders) but they do not like him much in the concilium.

Constantine (Showing interest) : What displeases them in his religious ideas ?

Arius (Lifting his finger as if he were talking from the pulpit) : I say that God did not suffer in Christ. I say that Christ who was crucified and who suffered was a mortal man of flesh and blood, that the mortal body is only a shadow, a mere appearance. But the essence of Christ is the Spirit and the Word of God, and the essence cannot be crucified nor can it suffer. I say he was only crucified in appearance. I say that Christ the Word was raised to heaven, but Christ the mortal man was crucified on earth. Yet the simple-minded imagine that the Spirit of God suffered in the body of Christ and that Christ was raised to heaven soul and body .

(Achilles, Constantine, and Philammon look disturbed).

Constantine: No wonder they do not like his ideas.

Achilles (To Panofer) : Why did you bring him here, Panofer?

Panofer: Because he is my right arm in organizing popular resistance.

Achilles: And what is the opinion of the Concilium ?

out by Apepi and Philammon directed by Damon of Armant. The rest of the plan is with my lord the Prefect (**Bowing deeply to Achilles**) I mean my master Emperor Achilles of Alexandria .

Achilles (Chiding him, gently): Not so soon, Africanus, not so soon. (Enter officer through the right door and announces : "The Monk Panofer.. The Prefect nods. Exit officer and enter Panofer, a monk-with a black, bushy beard, a black tunic, a black cape, and a black turban on his head, age about forty with Panofer enter a young monk, slightly over twenty, dressed exactly like him. They hail in the Egyptian manner).

Achilles: What was his answer, His Holiness the Patriarch?

Panofer: He said he cannot do it. He said he serves with the spirit and not with the Flesh, but he will pray for you, Achilles. He said he will shut himself up in the white chapel for three days to fast and pray for you. (**Seeing Prince Constantine he is struck with amazement**) Lord and Master ! (**He rushes to him and kisses his hand**).

Achilles (Warning him with his finger on his lips, then pointing to the young monk): Who is your friend ?

Panofer (Still gazing at Constantine) : Perhaps my Lord Constantine can persuade our father the Patriarch. (**Turning to Achilles, then to the young monk**) This is .. Arius. He is my gift to you, Achilles. The Monk Arius, the shining star of the new generation of the order. They do not like him much

him, some equally surprised) . This is indeed a great surprise .

Manetho: Control yourself, Apepi. This is the night of great surprises and you will have much work to do. I know that you have been waiting impatiently for this moment, but do control yourself. (Unrolling a third scroll which Achilles takes, scrutinizes muttering “Fine ! Fine” then gives it to Africanus) : This is the decree dismissing Rusticanus and appointing Africanus in his place as commander of the garrison of Alexandria. (A fourth scroll is examined by Achilles who gives it directly to Damon of Armant).

Achilles (To Damon) : Damon, go through the names. 38 names. Arrest them all to-night, immediately after the party.

Damon: Immediately, sir.

Achilles: Africanus.

Africanus: Yes, Sir.

Achilles: You may tell them now.

Africanus (Addressing himself mainly to Manetho, Damon, and Frisca) : Everything is set : The hour and the minute. The dawn is the zero hour. The three commanders Agrippa, Lysias, and Maximus will occupy Canopus, Cleopatra, and the harbour respectively. You Frisca will be stationed in the lazaretto and you Damon will occupy Camouz. You may not leave your posts before the garrison completely surrenders. Agapius will spread his cavalry legion from Bacchus to the harbour. As for the arrests, they will be carried

to be persuaded.

Manetho (Unrolling Panofer's warrant of arrest) : The warrant to arrest Panofer. I have sealed it .

Achilles (Examining it) : No objection. **(Sighing)** It is better that he should bear the blame **(Achilles passes the scroll to Africanus whispering in his ear; Africanus in turn passes it on to Philammon, who takes it reluctantly).**

Africanus (Laughing, then in a low voice) : I see you hesitate, Philammon. If Christ gives an order and the Prefect gives another, which of the two would you obey?

Philammon (Embarrassed) : Christ. I mean the Prefect. I mean to say Christ .

Africanus (Laughing, with a significant look) : If you continue to be so undecided, you will please both Christ and the Prefect.

Philammon (Smiling) : I understand, Sir.

Achilles (Seriously but calmly) : The other warrant, Manetho Is it ready?

Manetho (Unrolling the papyrus) : Yes, Achilles. **(Achilles scrutinizes it and is about to pass it on to Africanus. Manetho shakes his head in sad warning).** Have you fully considered the matter, Achilles?

Achilles (Smiling, shakes his head in the affirmative) : Stop worrying, Manetho. **(He passes the scroll to Africanus who reads it then Gives it to Apepi)**

Apepi (Frenziedly surprised after reading the scroll): By the great Amon I am ordered to arrest Rusticanus ! **(They all look at**

names they take from their holy book, such as Luke, Matthew, John, Mark, Zacchary, Miriam, Martha ...

Achilles: What a strange idea !

Manetho: And that every Christian carry the sign of the cross branded on his wrist.

Constantine: For what purpose ?

Manetho: He says this way it would be easier to distinguish them and segregate them. Now, he says, the followers of Christ still go on calling themselves Atum, Pahor, Panofer, and this makes it extremely difficult to distinguish them from the followers of Ammon, Thoth, and Ptah. He also wants to ban the Egyptians calling themselves by Greek and Roman names. He describes this as cheeky presumption that ought to be stopped .

Constantine: This man is mad.

Achilles: Even the Emperor himself cannot issue such a law. However, this is my wife Faustina's idea.

Manetho: Rusticanus also says that if the riots do not come to an end, he will have to ask for the arrest of the Patriarch himself and all the members of the concilium and propose the revocation of the imperial licence granted to the Christians to hold their religious rites publicly, even if he had to go to Nicomedia in person to persuade Diocletian.

Achilles (Sarcastically but calmly) : Or to Rome to persuade the Senate. Diocletian will have to come himself to Alexandria

:

Manetho (Advancing with Constantine and conversing with him like old friends) : And how is my mistress, Empress Helena?

Constantine: The inconsolable Helena is still seeking solace in the memory of a vanished glory and dreaming of a greatness dimly foreshadowed.

Achilles: My lord Constantine, this is Damon of Armant.

Constantine: We have heard much about your valour in fighting the Blemmyes, noble General. (Damon bows).

Achilles: And this is Frisca, conqueror of the Nobadae .

Constantine: And you, sir, your loyalty to Achilles has been the talk of every court. (Turning to all of them) Empress Helena sends her greetings to you and to her beloved Egyptian people. She hopes that you will firmly rally round Achilles and that you will follow her counsels faithfully so that Alexandria might become again the seat of the world .

Manetho: All her orders are strictly obeyed, my noble Prince. Shall I proceed, Achilles?

Achilles: Yes, indeed.

Manetho (Unrolling his papyri) : This is a decree prepared by Rusticanus for the arrest of the Monk Panofer” He asks you to seal it . My lady Faustina too asks that Martha, the dancer, be exiled from the country. Oh, yes. Rusticanus also has another strange request. He wants a decree issued, no, a law passed compelling the Christians to call themselves and their new-born infants by the strange new

altar, kill as many as we can, then set fire to the place.

Achilles (Nodding thoughtfully) : Sunday is many many days ahead .

Africanus: My lord Achilles has a surprise for you. Here he comes.

(Enter through the left door Prince Constantine, son of Emperor Constans, a tall and extraordinarily handsome young man of about twenty-three. As soon as he appears Manetho, Damon, and Frisca start and stare with surprise, at once pleased and awed. Manetho rushes to him and kisses his hand).

Manetho: My lord and master Prince Constantine !

Damon (Staring at him) : Crown Prince of Byzantium !

Constantine (Making a gesture with his hand) : No. No. No.

Frisca (Aside) : Son of the Egyptian Helena.

Damon (Aside) : Unhappy Empress.

Frisca (Aside) : Her sorrows are felt by every heart. Abandoned by the ambitious Constans to please the treacherous Diocletian, she is now cloistered in her little palace on the shores of the Bosphorus, shedding bitter tears over her ruined home and pouring curses on Theodora who usurped her place. If it were not for the wicked Diocletian, the Egyptian Helena might have now been seated on the throne of the Empire,

Achilles (Overhearing them) : Enough. Enough. My lord constantine has come to us incognito. You are warned not to speak a word about his arrival. He lives in Africanus' quarters under the name of the officer Narcissus. He will go back to the court of Diocletian in Nichomedia in a day or two .

through the left door. Philammon is also about to leave, but is stayed by Manetho. Enter rather hurriedly through the right door Damon of Armant and Frisca, two Egyptian generals).

Damon: We are deeply sorry we are late. Has the Prefect come.

Manetho: Welcome Damon. Welcome Frisca.

Frisca: When Will he arrive?

Manetho: Any minute now.

(Enter through the left door the Prefect Domitianus, popularly known as Achilles, a Roman of a quiet disposition, age about fifty, accompanied by Africanus, Commander of the Palace garrison, Alexandrian-born but of unidentified nationality, probably a Moor. All present salute in the Egyptian fashion).

Manetho: My lord Achilles, I have brought all the documents.

Achilles: Later, Manetho, later. (Beckoning to Apepi to come nearer) What news of Rusticanus, Apepi ?

Apepi (Approaching) : His fury mounts higher and higher every day . His thirst for blood has become unquenchable. He now openly sets Romans against Egyptians and insults our gods on every occasion. As for the Christians, he is seized with a paroxysm when they are mentioned. He is now planning a massacre of Christians in the district of the Prophet Daniel next Sunday . I am ordered by him to invade their church with twenty cavalry men, on the pretext of searching for a Christian who has deserted from the army, and smash their

Philammon: Setting fire to churches and monasteries.

Manetho: Even the sacred temples of the immemorial Egyptian gods were not spared. They stationed their horses in the great Temple of Ptah, and after setting fire to the Temple of Isis, they enthroned on the altar of the great goddess a Cyprian prostitute, utterly naked, and brought her offerings in the midst of roaring laughter and cries of ridicule **(He perspires heavily and is overtaken by vertigo).**

Philammon: How can we ever forget.

Manetho (Forgetting himself): And the pertinence. How can we ever forget ? **(Coming back to his senses).** No, no. Let us not dwell on these unhappy memories. We are all loyal subjects to the Emperor. All loyal to Rome. **(Loud bugle. Each straightens himself. Manetho to Armanus and Philammon) :** Stop bickering, my sons. We are all brothers. **(Enter Apepi through the left door to take Armanus' place) .**

Apepi: General Rusticanus has sent me to take your place **(Almost whispering)** because of the mission. The Monk, Penofer, has an audience with the Prefect. Don't arrest him in the Palace, I warn you. Wait until he goes out .

Manetho: You will soil the honour of the Empire if you arrest the Prefect's guest. **(Mockingly)** Besides, if you do, you will cause us endless trouble with the mob who worship him .

Apepi (To Armanus) : I will send you the warrant properly signed. **(He hands to Manetho a rolled papyrus. Exit Armanus)**

when my step-father made me a page in the retinue of the Prefect. On the day of his coronation, Aemilianus sat on the imperial throne in that wretched hall and I saw him wear the imperial purple, while I carried the censer and walked behind the high-priest singing in the choir your abominable anthem : "Glory be to Pharaoh ! ... "

Philammon (Forgetting himself) : "Lord of the two lands ! Egypt is your seat ! Alexandria is your crown ! The whole world is the soil on which you tread !"

Armanus (Sarcastically): Pharaoh ! Pharaoh ! Where is Pharaoh now ? But one year had passed and Alexandria was all in ruins : fire and ruins everywhere.

Manetho (Stung by the memory) : Fifty thousand stout heroes fell at the walls of Alexandria in the harbour, in the streets behind barricades, at door- steps ...

Armanus: Indeed, fifty thousands of your mutinous Egyptian rebels and our perfidious Roman traitors and of mercenaries of every kind fell in the infamous battle. I saw my step-father fall at the palace-gate. Had not my mother escaped with me to the camp of the conqueror Theodotus, bearer of the Emperor's sword, I would have died a traitor among traitors.

Manetho (Shaking his head full of rueful memories) : I still remember this unhappy city overrun by Theodotus' soldiers, drunk with wine and blood

Philammon: Slaughtering women and old men .

Manetho: Carrying children on their spears like hoisted flags

"You have the courage of the inexorable Achilles; you have the strength of the doughty Hercules". I am sure if you did not fear his sword you would say to him "You are as Almighty as Jupiter himself". But the noble Domitianus will not be corrupted by your flatteries because he is a Roman soul and flesh.

Philammon (Insinuating) : Exactly like our master, Diocletian.

Armanus (Looks at him suspiciously) : What do you mean, Philammon ?

Philammon (Still equivocally) : Have I made a mistake ?

Manetho (to Armanus) : No insinuations meant, my son. We are all loyal subjects to the Emperor of Rome .

Philammon: He is blinded by his anger .

Armanus (Continues) : Of course. I am nothing but a junior officer who has no right to speak his mind in the presence of Manetho. the Grand Chamberlain. But this is the truth. Before Domitianus, did you not deceive the poor Aemilianus and proclaim him Emperor of Alexandria ? **(Pointing in the direction of the coronation hall)** Did you not crown him there, right there in the coronation hall, and incite him to un-sheath his sword and defy his master, Emperor Gallienus? Where is poor Aemilianus now. A skeleton with a severed head, tombless and accursed. An infamous name inscribed in the scroll of traitors. Even now, I remember the broad-fronted Aemilianus walking in the pomp of purple through the halls of the palace, with rows of courtiers on both sides taking deep bows. **(Dreamily)** I was then a boy of eight,

Philammina.

Philammina: Yes, my lady .

Faustina: Is Isidorus among the guests ?

Philammina: Yes, my lady. So is his wife. I sent the invitation to the high gymnasium.

Faustina: Cancel the invitation .

Manetho (Protesting) : No. No. The Rector of the University of Alexandria always attends court ceremonies and festivities.

Faustina: I said cancel the invitation, We shall teach this trouble-maker not to disturb our master the Emperor with absurd petitions for a legislative assembly in Alexandria, (Sarcastically) pleading that it was a gift of Pharaoh to his people from ancient times that was taken away by the Romans .

Philammina (Perplexed) : But my master the Prefect

Faustina: Your master the Prefect is a kind-hearted man. He feeds serpents. Let us go through the guests-list. (Sighing) In the Past Philammina did all these trifles, but now I must attend to everything myself. I must. One has to be very careful; (Her voice falls) even the butlers, the cup-bearers, the cooks... (Exit Faustina with Hathor through the left door, followed by Philammina. Distant bugle).

Philammon: The Prefect Achilles.

Armanus (Sarcastically) : Achilles ! Achilles ! Domitius Domitianus is his name: a true son of Rome; Emperor Diocletian's deputy. But he will not be deceived by your tricks and wiles. You say to him : (Changing his voice to imitate flatterers)

nine. **(Sighing)** She was the cleverest-girl of them all and, when she picked up everything, she left us. They said she fell in love with a Christian publican in the district of Cleopatra, but I knew since, that Martha is crazy only about two things : **(Laughing)** art and sex.

Faustina (Angrily) : I know that she is a dangerous woman. She is the rage of the town, why do the mob worship her ? Manetho, ask the Prefect to exile her from Alexandria. No, from the country.

Manetho (Stunned): Martha is a complicated woman, but she committed no crime.

Faustina: I said ask the Prefect to exile her .

Manetho: What will people say ?

Hathor: Martha is a good girl. She shares her riches with the poor .

Faustina: Precisely. This is why we should put an end to this witch .

Hathor: Is that a crime ?

Faustina: They say that she cures the sick .

Hathor (Laughing): So much the better. That saves the Prefect sending doctors to the slums.

Manetho: The lady Faustina is right. This spreads superstitions among the simple-minded. I once heard it said that Martha is a saint who wanders in the dark and visits the hovels of the poor before the dawn to leave them their daily bread. But to exile her is another matter.

Armanus (Contemptuously) : This is Christian propaganda, my lady .

Faustina: We shall see. We shall see. This is an order, Manetho. Phi-

Hathor (Coldly) : If you wish, Faustina .

Faustina: Tafeeta, Philammena, Marina, go and fix the curtains in the reception hall .

(Exit Tafeeta and Marina through the right door) No, you wait, Philammena.

(To Hathor) Who is the dancer in tonight's party ?

Hathor: Martha .

Faustina (Both anxiously and wrathfully) : Martha ? The Christian Martha ? Couldn't you find anyone better than this Christian prostitute?

Hathor: She is not Christian .

Faustina: Then why does she call herself Martha ?

Hathor: Her real name is Myrt Ammon, the Beloved of Ammon, so people nickname her Martha. However, Christian or no Christian, she is the best dancer in Alexandria.

Faustina: No. Hathor. I refuse. She lives by black magic. The mob worship her. The nobility prostrate themselves to kiss her feet. Even the Roman patricians leave their wives to drink wine in her shoes. Haven't you heard the obscene songs sung by the soldiers about her ? "Christ has a beautiful paradise; Come and visit his paradise with Martha: . She is a dangerous woman .

Hathor: There is no need to exaggerate, Faustina. You know very well that the Christians detest love. Martha learned the sacred dance in the Temple of Isis. I taught her all the rites myself since her mother brought her to the Temple at the age of

flesh and blood ; but you cunning Alexandrians call him Achilles to dupe him.

Philammon: Speak softly .

Armanus: Let me speak .

Philammena: It is my lady Faustina, the Prefect's wife .

(Enter Faustina, the Wife of Domitius Domitianus, age about thirty, beautiful and arrogant. She is followed by two ladies-in-waiting, Tafeetā, an Egyptian, and Marina, a Greek, both about twenty-five. In her retinue there is also Hathor, high-priestess of the goddess Isis, a woman of fifty who still retains some damaged vestiges of a once unequalled beauty. Hathor speaks to Faustina with marked self-assurance emphasizing her words with movements of her hands and head, but her voice is inaudible. Philammena courtesies, while Philammon, Armanus, and Manetho salute Faustina).

Faustina: Philammena, have you sent out the invitations to all the ladies of the court ?

Philammena: Yes, my lady ' since the morning .

Faustina: And how are you, Manetho ?

Manetho: Quite well, Faustina.

Faustina: And my new dress ?

Philammena: It is ready, my lady, and I have removed the Egyptian pleats around the waist.

Faustina (To Hathor): From now on the fashions come from Rome
Enough of this courtesy to the Egyptians .

Manetho: We are all the Emperor's loyal servants, Rusticanus.

Rusticanus: What god do you worship, Manetho ?

Manetho: Don't you know ?

Rusticanus: Remind me .

Manetho: I worship Thoth, like Apepi, your faithful aide-de-camp.

Rusticanus: Then why has insurrection spread among the sect of the
god Thoth ?

Apepi (Correcting him politely): Insurrection has spread among all
the sects, my noble commander.

Rusticanus: You are right, Apepi. Thoth, Ammon, Ptah, Christ, your
philosophers of Plotinus. Treason is rampant everywhere.
There are traitors in every nook. I shall eradicate them. But
the most horrible of them all are the Christians. They multi-
ply with frightful rapidity . Even Rome is full of them. Every-
where the mob rally around them. They have infiltrated even
into the Imperial Court. But I swear I shall eradicate them,
(With hand on hilt) utterly, I say utterly, before this cancer
destroys the Empire. (Exit Rusticanus through the left
door, followed by Apepi. Distant bugle).

Manetho (Sighing): Ye gods, save us from this scourge .

Armanus (Frowning): What did you say, Sir ?

Manetho (Faltering): I meant the insurrection. I meant the scourge of
the insurrection. (Second bugle) .

Philammina: The Prefect !

Philammon: The Prefect Achilles !

Armanus: You mean the Prefect Domitius Domitianus. He is a Roman

Philammon(quickly): No Sir. No Sir. I am the Emperor's most humble servant. Your most obedient servant, Sir.

Armanus (Joyfully but in a low voice) : Grace be to Jupiter. (He looks thoughtfully at the bust of Jupiter):

Rusticanus: What did you say ?

Armanus: Nothing, my noble Commander.

Rusticanus (To Philammon): Are you a Christian ?

Philammon (Hesitatingly): Yes Sir .

Apepi (Interfering): But he is loyal to our master the Emperor .

Rusticanus (To Manetho with affected politeness, pointing to his papyri) : If you please, as soon as the Prefect comes, show him the warrant for the Monk's arrest to sign it. Treason ! Mutiny ! Treason and mutiny everywhere. Even in the Prefect's palace itself. Maybe in his privy council. But thanks to the gods, (He puts his hand on the hilt of his sword) the army is still intact. If I had had my way, I would have torn this horrible Monk to pieces, torn the Patriarch to pieces, torn all the Christians to pieces, (Forgetting himself in the crescendo) torn all the Egyptians to pieces.

Apepi (Smiling politely): Sir !

Manetho (Sarcastically): I do not think that our master the Emperor would be pleased to hear such words.

Rusticanus: I beg your pardon, Apepi. I did not mean the loyal ones, like yourself, (Turning to Manetho with a vague questioning look) and like Manetho ?

hear your monks say: "Marry her in Church".

(Footsteps outside)

Philammon (Warning): Hush. Back to your post.

(Each of them assumes his former posture) .

(Enter through the right door Rusticanus, Commander of the garrison of Alexandria, a-hundred-per-cent Roman, age about fifty, followed by his aide-de-camp, Apepi, a handsome Egyptian officer of about thirty, who is exceedingly cunning. Apepi had enlisted in the Roman army and gained Rusticanus' absolute confidence, They are followed by the aged Manetho the Prefect's Grand Chamberlain, over seventy, who moves slowly with all the dignity and impressive appearance of old age . Manetho wears a long, white, fluffy beard and is carrying rolls of papyri. As Rusticanus enters, Armanus and Philammon salute him in the Roman fashion).

Rusticanus (To Armanus and Philammon): To-night you arrest him.

Armanus (Puzzled): Arrest whom, Sir ?

Philammon (Equally puzzled and at the same time): Arrest whom my noble commander ?

Rusticanus: The Monk, you idiot. The Monk, you idiot.

Philammon (Terrified): Panofer ! (Philammona nervously shrinks, but subdues her pain while Armanus looks boyishly gleeful).

Rusticanus (Noting their different reactions, to Philammon sarcastically) :

Any objection ? Are you one of them ?

that Holy Concilium gave it out last week that Christians may not marry pagans .

Philammena: Then poor Maria will not be able to marry Apepi, Rusticanus' aide-de-camp.

Philammena: No. No. The ban applies only to marriages between Egyptians and foreigners. As for Egyptians, the Concilium is divided in opinion. His Holiness the Patriarch and a minority on his side want the ban to be categorically enforced on all mixed marriages between Christians and pagans even among Egyptians. But the Monk Panofer caused a great hubbub and left the concilium crying: "This is treason. This is treason against Egypt" .

Armanus: I call this treason against the Emperor. I call this mutiny. Who rules here ? The Emperor of Rome or your cunning Concilium and your bands of mutinous monks and your secret congregations who meet in catacombs among the ruins, and in the necropolis of the city and talk of a new crucified god who was levitated to heaven. If the Prefect knew about this, he would certainly order the Patriarch himself to be arrested. Mixed marriage is a custom sanctified by our Emperor Constans, Jupiter's faithful servant, who, on visiting Egypt thirty years ago, was ravished by the beauty of the Egyptian Helena, mother of our lord Prince Constantine, made her leave the convent and share with him the throne of Byzantium. When he conducted her to the Temple of Venus, we did not then

Philammina (Rushing to Philammon): Well ? Have you come to an agreement ?

(Philammon does not answer but gesticulates shaking his head and shoulders purporting : No).

Philammina: What happened, Philammon ?

Philammon: I said : "Each keeps to his religion.. He said : "No".

Armanus (Dryly): The Monk stipulates that I become a Christian. (He stretches his lips with disgust) Impossible.

Philammon: The Monk says: "New orders" .

Armanus (Approaching them): I said : "We will be married in the Temple of Venus". He said: "you will be married in Church". I said: "Neither Temple nor Church; We will be married by the notary public". He said: "You will be married in Church". I said: "Then we will be married in both Temple and Church".

His answer was : "You will be married in Church and in nothing else". **(Angrily)** What does he think, this b... **(He proudly restrains himself)** I am a Roman and I keep to the religion of Jupiter, the religion of my ancestors. I say each keeps to his religion and the children choose for themselves. Have you seen greater tolerance than this ? Who are the fanatics ? The Romans or the Egyptians .

Philammina (To her brother): What happened, Philammon ? Didn't John of Fayoum marry his pagan cousin Nephthys .

Philammon: All this is quite well-known. But the Monk Panofer says

maraissee enjai taik-mait-ooro.. (Her voice falls) Pait aihnâk maraif shopi, em-evreety khain et-vai, naim heejain pi-kâhi .. (Her voice gradually vanishes) Pain-ôyk entai ressti meef nân em-vo-oo.. (She continues to mutter audibly for a few seconds) Amen .

(She rises, hides the cross in her clothes, and takes out a picture of the Virgin after rummaging her clothes for it while muttering to herself: "The picture of the Virgin .. Where is it". She then goes to the bust of Diana and places the picture on Diana's head, kneeling down and praying).

Philammena: Oh Mary, Mary, Mother of God, for the sake of your beloved Son, open Aman's eyes to see that God is One and that Jesus Christ is His true son.

(Her voice fades away. She murmurs a few seconds' then proceeds with a clear voice) . Teach him to forsake his idols and bless our love in the name of Him Who carried the cross to redeem us from everlasting fire. (Footsteps outside. Angry voices and fulminating discussions. She rises terrified and hides the picture in her clothes. Enter Armanus and Philammon through the right door. Armanus looks furious and resumes his previous posture at the left door. Philammon, an Egyptian officer in the Royal Guard, is about thirty and is dressed, like Armanus, in Roman attire. He stands sentinel at the right door) .

every day in spite of your silly beliefs. When shall we get married, my sweetheart ?

Philammena (Walking away and looking up to heaven as though in a trance) : When you realize that there is only one God, Arman. When it so pleases God. **(Laughing gently)** Or should I say when it so pleases Jupiter ?

Armanus (Distastefully) : What has Jupiter to do with marriage? Oh, you Christians! You drag in Jupiter in everything. You should pray for the blessings of Venus, you idiot.

Philammena: Hurry, hurry. If you want us to get married you must hurry.

Armanus (With disgust) : The one god ! The one God !

(Exit Armanus through the right door)

(Philammena looks quickly right and left with great caution and looks through the left door to make sure that no one is watching her, then gives a sigh of relief. She takes out of the folds of her dress a wooden cross, one foot long, and places it on the bust of Jupiter then kneels down and prays with joined palms, her eyes fixed to the cross) .

Philammena: Our father which art in heaven, Hallowed be thy name. Thy kingdom come. Thy will be done, on earth as it is in heaven **(Her voice gradually fades away until it is heard no more, then it rises again audibly as she repeats the Lord's Prayer in Coptic) .**

Painyôt ait khain ni-viouwwee maraif-tovoo enjai paikran,

Philammina : Rape ! Rape ! That is all you know, you Romans ! Even your gods

Armanus (Warning) : Philammina !

Philammina : Forgive me. For a moment I forgot that you are a Roman, and that we are in the Viceroy's palace. However, let us stop this nonsense, Armanus. My brother Philammon is waiting for you .

Armanus : Where is Philammon ?

Philammina : At the Great Gate with the Monk. (She utters the word "Monk" ecstatically) .

Armanus : How can I leave my post ? The other shift will not be here before an hour.

Philammina : It will be perfectly safe. It will only take you a quarter of an hour. I have much work to do with my lady Faustina, the Prefect's wife. Hurry .You must hurry .

Armanus : All right. All right. (He takes her in his arms and kisses her without making any attempt to put away his sword or spear. He is intoxicated with the kiss). Philammina, sweetheart! When shall we get married ? (Pressing her violently, he feels a hard body hidden within the folds of her dress. (He leaves her angrily) . What is that you are hiding in your dress ?

Philammina (Defiantly) : Arman! you know very well what I am hiding in my dress.

Armanus : Forgive me, Philammina. My love for you grows stronger

Armanus (Musically) : Philammena, Philammen, not too fat and not too lean.

Philammena (Warning With her finger) : Hush! Is our master here ?

Armanus (Leering) : There is no one here. Come. Come here my little duck. (He opens his arms without moving) Come in my arms, Philammena .

Philammena : Not unless you unbuckle your sword and put away your spear .

Armanus: Unbuckle my sword ! Put away my spear !

Philammena : Yes, Unbuckle your sword and put away your spear .

Armanus (Approaches her laughing coarsely): Two spears have I. Which of them do you want me to put away ?

Philammena (Shyly) : Stand off, you rogue. (Reproachfully) Listen, Arman. If you do not stop your dirty-minded obscenities, I shall never marry you. (Shrugging her shoulders) But you are a Roman and lewdness is in your blood .

Armanus : Your prudish Egyptians are not so innocent, you know .

Philammena (Sighing) : If I did not love you, Arman

Armanus (Still laughing coarsely) : Come here. Don't let my spear frighten you .Come. Give me a (He makes a noise with his lips meaning : "a kiss") .

Philammena: I said put away your arms you get a (She makes the same noise).

Armanus (With the same coarse humour) : A Roman soldier never puts away his arms, even if he were in bed with Venus .

Philammena : And an Egyptian Venus never surrenders herself to Mars until he puts away his arms .

Armanus : Have you forgotten that Mars raped Venus ?

ACT I

(A hall in the Palace of the Roman Prefect, L. Domitius, popularly known as Achilles, at Alexandria. The date is A.D. 296 The Columns in the four corners of the hall are of the Corinthian Type. The fresco of the ceiling and the decorative patterns on the doors are all gilded. The door on the right leads to the reception hall, that on the left to the coronation hall. On both sides of each column, there are niches carved in the walls, and in each niche a marble bust of a Roman deity. The busts are, in order, those of Jupiter and Juno, Mars and Venus, Apollo and Diana. The two front columns have one bust each, placed on the interior side of each column. Otherwise, the hall is completely bare. The floor is made of immense quadrangular tiles, alternately black and white. Armanus, sometimes called Arman for Short, a Roman officer of the Royal Guard, age about forty, is standing sentinel at the left-hand door, fully armed and restlessly knocking the floor with his long spear .

Philammena, pronounced Philammeena, a lady-in-waiting to Faustina, the Prefect's wife, is a young Egyptian maiden of about twenty-three. She looks caustiously right and left and, on seeing: (Stands Armanus, stands still, obviously embarrassed).



Louis Awad

The Monk

A Historical Drama in Three Acts

Bibliotheca Alexandrina



0749539

تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي

